أساطير شعبية

من قلب جزيرة العرب

الجزء الأول

بقلم

عبد الكريم الجهيمان

دار أشبال العرب

الرياض - المملكة العربية السعودية

الإهـــداء

إلى الأجيال القادمة أهدي هذه الألوان من الاساطير التي سوف يستشف القارئ من خلالها كيف كان الآباء والأجداد يفكرون .. وكيف كانوا يحلمون .. وما هي أهدافهم وأمانيهم في الحياة ..وكيف كانوا يتعاملون وكيف يتخاصمون . وكيف يتصالحون...

وما هي الأسس التي كانت تقوم عليها علاقات بعضهم ببعض في حالات الرضا وفي حالات الغضب .. في أوقات السلم .. وفي أوقات الحرب .. وإذا اختلف بعض هذه الأسس فكيف كانوا ينظرون إلى هذا الخلل .. ؟؟!

وكيف كانوا يعالجونه ..

كل هذه الألوان .. وألوان أخرى غيرها من العادات والتقاليد والأفكار سوف يجدها القاريء الكريم في تضاعيف هذه الأساطير .. التي أهديها إلى القاريء العربي في كل مكان !!

المؤلف



في النقد الذّاتي

«كان المفروض ان أصوغ هذه الجمل الآتية في أبيات شعرية أرضى بها وأرضي عنها .. ولكنه تراءى لي ان أبيات الشعر لن تستطيع استيعاب هذه المعاني.. وبالشكل الذي أريده فتركتها جملاً منثورة كما ترى .. قد تفسر هذا - أيها القارىء الكريم - بأنه عجز مني في الجانب الشعري.. لا ضير في ذلك .. فسر هذا بما تشاء.. واحكم بما تشاء .. فليس هناك من يستطيع ان يحول بينك وبين ما تريد ان تحكم به »

يا صاحبي .. هذا ظل جسمي يبدو أمامك في هذه الصورة ..

وهذه ملامح وجهي قد تكون بادية عليها آثار البراءة .. الطيبة .. والابتسام للحياة ..

أو هكذا يظهر لي .. أو هكذا أحاول أن أظهر ..

فهل يا ترى باطني مثل ظاهري ؟!!

هل روحي خيرة أم شريرة ؟!!

هل هي محبة محبوبة .. أم كارهة مكروهة ..؟!

إن روحي سر مغلق بالنسبة لي ، فما بالك بها بالنسبة للآخرين ...

وأنا لا أستطيع أن أحكم لها أو عليها ...

لأنني لا أعرفها ...

والحكم على الشيء فرع عن تصوره - كما يقولون في القواعد - الفقهية -

لا .. لا .. إنني أستطيع معرفتها من خلال تصرفاتها .. من من خلال علاقاتها، وأستطيع أن أصدر عليها حكماً .. إلا أن حكمي لها أو عليها لن يكون منطقياً يوافق الحقيقة من جميع وجوهها .. ولا سيما في نظر الآخرين،

لأنني قد أنخدع .!.

قد يضلني الهوى.!.

قد يحجب بصري حب الذات..

قد تنحرف بي الأنانية عن وضع نفسي حيث يجب أن تكون ..

فقد أكون فقير فأرى أنني أستحق الغنى .!!

قد أكون مغموراً فأرى أنني أستحق الشهرة. !!

قد أكون مكروهاً فأرى أنني أستحق الحب ..

قد أكون مبخوس الحق من بعض الجوانب . فأرى أنني لا أستحق هذا الحرمان ..!!

هذه نظرتي إلى نفسي .!!

وهي نظرة كما ترى يا صاحبي تجمع مزيجاً من المفارقات.. بين واقعي .. وآمالي ..

بين ما أريده أنا ..

وبين ما بين تريده لي الأقدار. !!

وهذه المفارقات قد يغلب فيها جانب الباطل والانحدار تارة. !!

وقد يغلب فيها جانب الحق والسمو تارة أخرى. !!

فماذا ترى يا صاحبي.؟!

إنني انحي حكم نفسي على نفسي سواء لها أو عليها جانباً واترك الحكم لك.

فأنت أقدر مني على إصدار حكم في هذا الشأن .. بعيد

عن التأثرات والتأثيرات الذاتية ... التي لا يكاد يخلو منها بشر...

مهما حاول أن يتسامى عن رذائل بشريته . !!!

المؤلف

المقدمة

لم يكن عند آبائنا وأجدادنا صحف ولا مجلات .. ولا راديو ولا إذاعات .. وليس لديهم سينما ولا منتديات .. وبالجملة فليس لديهم أي لون من ألوان التسلية البريئة المعروفة في هذا العصر بحيث يملأون بها أوقات فراغهم على قلتها: فقد كانت حياتهم كلها منصبة على العمل .. على الركض في سبيل لقمة العيش التي لم يكونوا يكسبونها إلا بالجهد والعرق ولم يكونوا ينالونها في بعض الحالات إلا انتزاعاً من أفواه الوحوش.

أما أوقات فراغهم - على قلتها فإنهم كانوا يقضونها نهاراً في الراحة أو بعض العاب القوى .. وأما الفراغ في الليل فقد كانوا يقضونه في الحكايات والأساطير التي يصوغون فيها أحلامهم وأمانيهم ويحلقون بها في أجواء السماء .. وينطلقون بها إلى شتى أقطار الأرض .. وكان لتلك الأساطير والقصص مقام كبير لديهم كما أن لها أهدافاً كثيرة .. منها ملأ الفراغ ومنها التسلية.. ومنها إطلاق العنان للأماني والرغبات والأحلام .. ومنها علاج بعض المشاكل الأجتماعية بطريق التلويح .. أو بطريق محاورة بين جماد وحيوان أو بين جماد وجماد.. وفي بعض الحالات يجعلون تلك الحكم والتجارب تنطلق من لسان أبله أو مجنون لا يعبأ بشأنه لا يلتفت إلى ما يصدر عنه مهما كانت خطورته ، لأنه في نظر كل أحد قد رفع عنه القلم فلا يحاسب

بما يقول .. ولا يؤاخذ فيما يتصرف فيه من أعمال .. وقد كانوا يزعمون أن كل شيء كان يتكلم في سالف الزمان ولهذا فلا غرابة إذا تكلمت الأشجار والوحوش والأطيار.

وهذه هي المجموعة الأولى من هذه الأساطير الشعبية، صغتها بحسب ما سمعتها لم أزد فيها ولم أنقص منها وقد جعلتها بأسلوب عربي ليفهمها القاريء العربي في كل قطر من أقطار العروبة ما عدا بعض الأناشيد أو الحكم المسجوعة فقد أبقيتها كما هي لم أغير فيها ولم أحور .. وأعتقد أنه في استطاعة القاريء العربي أن يفهم هذه الأناشيد والحكم من القرائن التي تحف بها في القصة ومن الجو الذي تدور فيه أحداثها .. كما أنني سوف ألحق بذيل الكتاب جدولاً بالكلمات الشعبية الواردة في هذه الأساطير وإيضاح معناها بما يقابلها من الكلمات في اللغة العربية حتى لا تخفى على أي قاريء عربي...

وقد تختلف هذه الأساطير طولاً وقصراً بحسب رواية الراوي فالروايات تختلف والرواة يختلفون وهذا أمر بديهي لا يعيب هذه الأساطير .... ولا ينقص من قيمتها التاريخية والاجتماعية والثقافية..

وعناوين هذه الأساطير تنقسم إلى قسمين قسم بعنوان سالفة ومعناها الحادثة الماضية التي سلفت وانتهت والقسم الثاني بعنوان سبحونه وهذا الاسم مشتق من مطلع الأسطورة ومبتداها الذي يكون غالباً بذكر الله وتمجيده وتسبيحه .. ومن هذا الافتتاح اشتقت التسمية.

وقد يلاحظ بعض القراء أنني شققت الكلام واطلت

الحديث في تحليل بعض المواقف من تلك الأساطير وأنا أجيب على هذه الملاحظة بأنني لم آت بجديد وإنما أتيت بما يفهم من وراء تلك السطور ...

وما يسبح فيه خيال السامع القديم عندما تقص عليه تلك الأقاصيص .. ووصفت بعض الأجواء التي يشعر بها السامع عندما يحضر حلقة من تلك الحلقات .. وتتابع في ذهنه تلك الصور والأحداث .. الواحدة تلو الأخرى.

وهناك جانب جوهري قد يعترض به أحد القراء وهو أن يقول:- ما فائدة هذه الأساطير التي معظمها من نسج الخيال .. والتي كان معظمها لملأ فراغ أوقات الأطفال .. وأشباه الأطفال في تلك العصور التي لا مجال لملأ الفراغ فيها إلا بأمثال هذه الخزعبلات من الأساطير الخرافية .. التي لا فائدة فيها ولا جدوى من جمعها وطبعها والأنفاق على توزيعها ..ثم ما هي الفائدة منها في هذا العصر الذي ساد فيه العلم وتحققت فيه المعجزات . وصارت فيه خيالات الماضي من الطيران على جذوع النخل ... والسير على سطوح المحيطات صارت هذه الخيالات حقائق يتمتع بها كل مواطن وينعم في ظلها معظم الشعوب .. ثم إن هناك فروع العلم على مختلف درجاتها ومستوياتها .. وهي أولى بالدراسة .. وأحق بأن تنفق فيها الأوقات ، وتبذل في سبيلها النفقات والجهود ..

وأنا على وجاهة هذا الرأي واحترامي لمن سيدلي به أقول :- إنني لا أوافق صاحبه . فأنا أرى في هذه القصص والأساطير

جوانب هامة يجب تسجيلها وحفظها من أجل ذلك..

فهي أولاً - تمكن الدارس الاجتماعي من دراسة أحوال المجتمعات الماضية من خلال هذه الأساطير ..

ما هي مشاكل هذه المجتمعات ..وكيف يفكرون ...

وكيف يعالجون مشاكلهم وما هي أحلامهم ..

وأمانيهم في الحياة .. وكيف يتعاملون .. وكيف يتخاصمون .. وكيف يتصالحون .. وما هي الأسس التي تقوم عليها علاقات بعضهم ببعض .. وإذا اختلت بعض هذه الأسس .. فكيف كانوا ينظرون إلى هذا الخلل وكيف كانوا يعالجونه ..

ثم من ناحية ثانية فإن أحلام الماضي صارت حقائق هذا الزمان .. ولولا أحلام الماضي في نظري لما صارت حقائق الزمن الحاضر .. ولولا الأفكار والتفكير في التطور والتطوير لما صار التطوير..

وجمع هذه الأساطير وطبعها وتوزيعها سوف يكون له فائدة جلى لمن يريد أن يدرس أحوال المجتمعات الماضية من اقتصادية وسياسية واجتماعية كما أن في جمعها أيضاً ضرب من ضروب التسلية البرية والتفكه المفيد.

فالحياة ليست كلها جد .. والذي يأخذ الحياة على أنها جد متواصل هو في نظري إنسان معذب .. يعيش في هذه الحياة كالآلة الصماء التي تدور .. وتدور . وتدور .. حتى

يتكامل دورها في الحياة في أسرع وقت واقصره .. ثم يرمى بها في سلة المهملات .. أو ترمى في أتون المحروقات.

تم أن عظائم الأمور .. وحقائق الكون لا يصح أن تستبد بكل جهودنا عن صغائر الأمور .. وخيالات الأحلام فكم من حلم صار حقيقة.. وكم من أمر صغير دفع إلى أمور كبار .. وكم هزل قاد إلى جد .. وكم جد قاد إلى هزل ..

والذي يأخذ الحياة على أنها حقائق وأعمال وجد متواصل قد يقف في منتصف الطريق فيكون كالمنبت الذي لا ظهراً أبقى.. ولا أرضاً قطع..

وخالق هذا الكون جل شأنه خلق القشور وخلق بجانبها اللباب .. خلق الطود العظيم .. وخلق بجانبه الصخرة الصغيرة وخلق الحيوانات النافعة وخلق بجانبها الحشرات الضارة .. وخلق الشجرة المثمرة النافعة .. وخلق مقابلها الشجرة الشائكة المؤذية ..

كل هذه الأمور تدلنا بطريق البداهة على أن الحياة يجب أن تكون خليطاً من الأمور الكبار والصغار .. الجد والهزل .. الخيال والحقيقة وبهذا يكون التنقل من حال إلى حال .. فيتجدد النشاط وتنطلق الأفكار من عقالها .. وتتفاعل الأماني والأحلام فتتحول بعد مرورها بطور بعد طور إلى حقائق نافعة تدفع إلى ألوان جديدة من ألوان الحياة التي يجب أن تكون متجددة على الدوام...

بعد هذا العرض السريع لأهمية هذه الأساطير ومزاياها التي

يعرفها الدارسون ويقدرونها حق قدرها .. التي قد يبنون عليها الكثير من البحوث والاستنتاجات عندما يريدون دراسة طور من أطوار حياة الآباء والأجداد.

بعد هذا وبعد إيراد ما قد يعترض به أي معترض على أن هذه الأساطير التافهة لا تستحق كل هذا الجهد والعناء الذي يبذل في سبيل نشرها . وتوزيعها ... بعد هذا كله أقدم إليك أيها القاريء الكريم هذه الأساطير فاقرأها على أنها رجوع إلى الماضي وفي الرجوع إلى الماضي سلوة وتهرب من مشاكل الحاضر.. أو أقرأها على أنها خيال .. وفي الخيال راحة من الحقيقة التي قد تكون مؤلة .. وثقيلة في كثير من صورها وأشكالها.

أو أقرأها على أنها خزعبلات وخرافات وهذه طبعاً هي أقل درجة يمكن أن توضع فيها هذه الأقاصيص .. فقد يجد المرء في أحاديث الخرافات والخزعبلات قوة دافعة إلى الأمام.

وعلى أي حال فإن مخالفة المخالف لا تقدح في أي عمل من الأعمال .. فالناس قل أن يتفقوا على أمر من الأمور .. وإذاً فمن شاء أن يقرأها فليقرأها ومن شاء أن يهجرها فليهجرها.. ومن شاء أن يمدحها فليمدحها ومن شاء أن يذمها فليذمها .. فإنها إن كانت تستحق الحياة فسوف تبقى رغم قدم القادحين .. وإذا كانت ليست لها مقومات الكائنات الحية فسوف تموت ولن يحييها مدح المادحين ولا ثناء المعجبين ..!!

بيروت في ١٣٨٧/٦/٥هـ عبدالكريم الجهيمان

سبحونـــة :

١- حصان أخوي خضير

اجتمع الصبية في ليلة من ليالي الشتاء حول نار أشعلت في حجرة في أسفل المنزل والتفوا حول جدتهم طالبين منها أن تقص عليهم قصة من قصص الأولين أو سبحونة من السباحين واقترح أحد الصبية أن تكون قصة هذه الليلة سبحونة حصان أخوي خضير فتنحنحت العجوز وعدلت من جلستها وعدلت من وضع الأطفال حولها حتى لا يفوت أي واحد منهم أية كلمة تقولها لئلا يضطروها للإعادة والتكرار .. قالت الجدة :

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي توفي والده وخلف وراءه قصراً كبيراً وحصاناً اسمه خضير وبنتاً اسمها جوزاء .

وكان هذا الولد يعيش في ثراء واسع خلفه له والده ويتمتع بسمعة طيبة ومكانة رفيعة بين قومه وذويه ..

وكانت أخته جوزاء من أجمل أهل زمانها وأكملهم أخلاقاً

وكان حصان أخيها متجنساً (أي جني في شكل حصان) وكان يحب جوزاء حباً عظيماً بحيث إذا رآها فقد عقله واتزانه وصار يقوم بتصرفات مزعجة من الصهيل والقفز والجلبة والحركة الكثيرة التي تهز البيت من أسفله إلى أعلاه لأن اصطبل الحصان في أسفل البيت ولهذا فقد حرص أخوها أن يبعدها عن هذا الحصان وأن يجعلها لا تظهر له ولا يراها أبداً لأنه في هذه الحالة يهدأ ولا يقوم بحركات مزعجة بل يسير في حياته وأكله وشربه وحركاته سيراً عادياً ليس فيه أي شذوذ أو ازعاج...

وكان هذا الأخ يحب أخته ويحب حصانه لأنه حصان أصيل معروف بالسبق حتى لا يلحقه طالب ولا يفوته هارب .. وكان الأخ قد أوصى أخته بأن لا تبدو لهذا الحصان وأن لا يراها في أي حالة من الحالات وأسكن أخته غرفة في أعلى البيت وجعل عندها جارية تخدمها وتأتي لها بطعامها وشرابها وجميع ما تحتاج إليه حتى لا تضطر لكثرة الدخول والخروج فتتعرض لنظرات الحصان وكان من عادة أهل جوزاء أن يضعوا لها أكلها وعليه من أطايب اللحم في اناء منفرد ويضعوا أكل الجارية وفوقه العظام والعصب في أناء آخر فتجلس كل واحدة منهما تأكل من أنائها .. فاشتاقت جوزاء إلى عظم مما في أناء جاريتها لتعرشه وتمص مخه لأن غذاءها ليس فيه عظام وإنما هو لحم صاف .. كما أن غذاء الجارية ليس فيه إلا العظام والعصب ونفايات اللحم فقالت جوزاء لعبدتها أعطيني عظماً وأعطيك هبرة فاتفقتا على ذلك وصارتا تتبادلان لحماً بعظم وأخذت



جوزاء وجاريتها في أعلاه الشجرة
والحصان يحاول الصعود إليهما
فلا يقوى.؟!

جوزاء أحد العظام فعرشته ثم أرادت أن تكسره لتمص مخه فلم تجد ما تكسره عليه إلا حجلها الفضي (خلخالها) فصارت تضرب بالعظم بقوة على حجلها (خلخاها) لتكسره ولكن العظم كان قوياً فضربته بالحجل بقوة كانت سبباً لانخراق السقف وكان هذا السقف لسوء الحظ فوق اصطبل الحصان فرفع رأسه فرأى جوزاء فجن جنونه وصار يصهل ويخبط بيديه ورجليه على الأرض ويحاول الصعود على الحيطان ليرقى إلى جوزاء فارتاعت جوزاء وسدت الثقب بشيء من ثيابها..

ولكن الحصان لم يهدأ بل صار يتزايد جنونه وحركته القوية التي ترج البيت وتقلق راحة كل من فيه وجاء أخو جوزاء إلى البيت فرأى ..!! ويا لهول ما رأى ..!! رأى الحصان قد فقد صوابه فلا يميز سيده من غير سيده ولا ينصاع لأوامر سائسه ولا تهدأ له حركة لا في ليل ولا في نهار..

كان الأخ قد نبه أخته إلى هذا الخطر وقال لها في جملة ما قال: إن الحصان إذا رآك في المستقبل فأنه لا سبيل إلى اعادته لحالته الطبيعية بتاتاً ولا قدرة لنا على التخلص منه وليس هناك من حل للمشكلة إلا أن تأخذي كلما تحتاجينه من هذا البيت وتأخذي عبدتك وتذهبي في أرض الله الواسعة..

كان قال لها هذا الكلام وعندما حصل ما حصل قال يا أختي خذي ما تشائين من هذا البيت وخذي عبدتك وانجي بنفسك وأنا بعد ثلاثة أيام من خروجك من البلد سوف اطلق الحصان من رباطه وأترك له كامل حريته وهو لا شك ان لديه

حاسة شم قوية ولديه نظر حاد فيشم أثرك .. ويتتبع آثارك حيثما تذهبين فعليك أن تواصلي سرى الليل بسير النهار حتى تصلي إلى مأمن قبل أن يلحق بك فاستجابت لما قال أخوها وأخذت كلما تحتاجه في طريقها وسفرها الطويل مما يخف حمله وتدعو له الضرورة وأخذت عبدتها ومشتا في الصحراء.. وصارتا تواصلان ليلهما بنهارهما طلبا للنجاة .. فلما جاء اليوم الثالث من أيام رحلتهما قالت لجاريتها: - يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي .!! قالت العبدة أنني أرى شيئاً يسير في حجم العناق.. فجدتا في السير وحثتا الخطى ثم بعد فترة قالت جوزاء:-

يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي قالت الجارية إنني أرى شيئاً يسير بحجم العنز وأخذ منهما الخوف كل مأخذ وبعد فترة من السير قالت لجاريتها: - يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي.!! قالت إنني أرى شيئاً يسير بحجم الشلو جوّنا في السير بكل قوة تستطيعانها وبعد فترة قالت السيدة لجاريتها «يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي» قالت أرى شيئاً يسير بحجم العجل فجدتا في السير وأخذتا في الحوقلة والتسبيح والتهليل والابتهال إلى الله أن ينجيهما منه فهو المالك لكل شيء والقادر على كل شيء .. وبعد فترة من السير قالت السيدة: - «يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي» قالت هذا هو حصان أخوك خضير .. وعندئذ أخذ الخوف منهما كل مأخذ وكادت اقدامها إن لا تحملهما ونظرتا يميناً ونظرتا شمالاً فلم تربا شيئاً يلجآن إليه.. ويحتميان به من هذا الخطر الداهم.

وزاد الخوف والخطر لأن كل دقيقة تمضي دون التوصل إلى حل تقرب الخطر إليهما وتجعل الأمل في النجاة ضعيفاً.. وأخيراً رأتا شجرة طويلة على جانب الوادي فأسرعتا إليها ووقفتا تحتها وقالت جوزاء مخاطبة الشجرة:- يا شجيرة البر تقيصري تقيصري وأمك القصيرة .. فصارت هذه الشجرة تهبط إلى الأرض قليلاً قليلاً حتى لامست أغصانها التراب فقذفت جوزاء جميع حوائجها على ظهر الشجرة ثم تسلقت إلى أعلاها هي وجاريتها وعندا استقرتا فوق ظهر الشجرة قالت جوزاء مخاطبة الشجرة «يا شجيرة البر» تطيولي تطيولي وأمك الطويلة ..

فصارت هذه الشجرة ترتفع إلى أعلا قليلاً قليلاً حتى جعلتهما في مأمن من جميع الأخطار .. ووصل الحصان الذي كان يتبع الأثر ويتبع الرائحة .. رفع رأسه فرأى جوزاء في أعلا الشجرة فحاول الصعود إليها ولكنه لم يستطع وصار يقفز ويكرر المحاولة مرة تلو أخرى .. ولكنه يفشل .. وعندما يئس من الصعود على الشجرة صار يحفر بحافره في جذع الشجرة محاولاً قلعها .. ويضرب في جذعها محاولاً كسره.. حتى صارت تلك الشجرة العملاقة تهتز من آثار ضرباته القوية وجوزاء وجاريتها في أعلى الشجرة يرقبان تحركاته .. وينتظران أن تخور قواه من الضرب فيهدأ .. وأن ييأس من الوصول إليهما فيذهب ..

ولكن قواه تتجدد وأمله يقوى وحركاته العنيفة لا تزداد إلا عنفاً .. عند إذن أطلت عليه جوزاء من أعلى الشجرة وقالت له: - يا حصان أخوي خضيرفق أثمك وأطيح فيه » ففتح فمه

فرمت فيه عبائتها فابتلعها وكانت جوزاء تؤمل أن تسد العباءة حلقه فيموت .. ولكنه بلعها ثم عاد إلى حالته الأولى من الضرب في جذع الشجرة حتى صارت تتمايل ذات اليمين وذات الشمال بسبب ضرباته القوية ..

فقالت له جوزاء «يا حصان أخوي خضير فق أثمك وأطيح فيه» ففتح فمه فرمت فيه قدراً في باطنه بعض الأواني الصغيرة فابتلعه ثم رجع إلى نشاطه ومحاولاته في اقتلاع الشجرة .. فأطلت عليه للمرة الثالثة وقالت: « يا حصان أخوي خضير فق أثمك وأطيح فيه» ففتح فمه فجمعت بعض الأواني ولفتها في أحد أثوابها وقذفت بها فابتلعها كسابقاتها وعاد إلى ما كان عليه من المحاولات الجبارة لاقتلاع الشجرة فنظرت السيدة جوزاء إلى ما تبقى معها فلم تجد شيئاً ما عدا مقص كان لا يزال معها .. فتركزت أمالها في هذه المقص للقضاء على الحصان فهو آخر أمل لها تقذفه في فيه .. وآخر سلاح تستعمله للتخلص من هذا المحب العاتي والوحش الكاسر الذي شردها من بلادها وفرق بينها وبين أهلها وعرضها للضياع والهلاك في مجاهل الصحراء.

ففتحت المقص على مصرعية وربطته بخيط شقته من ثوبها ثم قالت «يا حصان أخوي خضير فق أثمك وأطيح فيه» ففتح فمه فألقت المقص فيه مقروناً بكثير من الابتهالات الحارة في أن تكون منية الحصان بسبب هذا المقص .. وفعلاً استجاب الله دعواتها المخلصة .. والإبتهالاتها الحارة فاعترض المقص في فم الحصان فحاول أن يبتعله فلم يستطع وحاول أن يخرجه فلم

يستطع بل صار كالمنتحر الذي كلما تحرك حركة أدنته من منيته. وضيقت عليه الخناق .. فما زال الحصان في صراع مع هذا المقص الذي اعترض في حلقه حتى قضى عليه وتمدد على الأرض فاقداً الحياة وعندما رأت الجارية توقف حركات الحصان علمت يقيناً انه مات فقالت لسيدتها هيا يا سيدتي فلننزل فقد مات الحصان فقالت السيدة أخشى أن يكون عمله خدعه وأنه لم يمت حتى إذا نزلنا على الأرض قام وهجم علينا في وقت لا نتمكن فيه من النجاة .. ولهذا فلا والله لا ننزل حتى نشم عفونة جسمه .. وعندئذ نتيقن هلاكه فبقيتا في أعلا الشجرة إلى اليوم التالي .. فانتفخ بطن الحصان وصعدت من جسمه روائح العفونة إلى أعلا الشجرة فشمتاها.

عندئذ نزلتا وشقتا بطن الحصان واستخرجتا منه جميع ما رمتاه فيه .. ونشرتا ملابسهما على الشجرة لتجف وقطعتا من كبد الحصان وأطايب لحمه فصارتها تشويان وتأكلان إلى أن شبعتا .. وأخذتا من لحمه كلما تستطيعان حمله وواصلتا البحث عن مدينة أو بستان يلجآن إليه .. وأدركهما الليل وهما لا تزالان في مجاهل الصحراء .. فلجأتا إلى غار ؛ طلباً للدفء والراحة فيه وبحثتا عن كبريت لأشعال النار وطبخ الغذاء والدفء فلم تجدا .. ونظرتا يميناً وشمالاً فرأتا ضوء نار بعيدة تلمع تارة وتخبو تارة أخرى.

قالت جوزاء لجاريتها أذهبي يا سعيدة إلى أهل تلك النار وأتينا منهم بجمرة نوقد منها النار فذهبت سعيدة أمتثالاً لأمر

سيدتها تسير في ظلام الليل قاصدة تلك النار فلما قربت منها وجدت أنها في داخل منزل في وسط الصحراء فقرعت الباب وفتح لها شخص وقال لها: - ماذا تريدين فقالت أريد جمرة نوقد منها ناراً فقال أدخلي فدخلت وأعطاها شرارة على راس ظفرها... وقال لها أذهبي فاشعلي ناركم من هذه الشرارة فخرجت سعيدة بهذه الشرارة متوجهة إلى سيدتها ولكن الرياح العاتية أطارت تلك الشرارة وأطفأتها فرجعت سعيدة إلى صاحب النار وقالت له أعطني جمرة فقد أنطفأت الشرارة التي أعطيتني.. فأعطاها شرارة أخرى على راس ظفرها وقال لها مهدداً منذراً أن رجعت إلي مرة ثانية أكلتك فخرجت بالشرارة فاستقبلتها الرياح وأطارتها وأطفأتها فعادت إليه ثانية لأنها لم تصدق أنه سوف يأكلها بل ظنت أنه يمازحها وعندما طرقت عليه الباب وقالت أن الريح أطفأت الشرارة وأنا لا يمكن أن أعود إلى سيدتي بدون نار فما كان من هذا الشخص إلا أن قال لها أدخلي فدخلت.. وأخذ السكين فذبحها وسلخها وعلق جلدها على أحد الأبواب ليجف.. وطبخ لحمها فأكله.. ثم نام..

أما جوزاء سيدة الجارية فقد انتظرت عودة سعيدة، فلما طال انتظارها ذهبت بها الظنون كل مذهب .. ظنت أنها ضاعت أو أنها قتلت أو أنه قبض عليها فلم تستطع العودة إلى سيدتها فما كان من جوزاء إلا أن جمعت متاعها وحملته على ظهرها وتوجهت صوب تلك النار التي ذهبت إليها سعيدة .. وواصلت السير حتى وصلت إلى ذلك المنزل المشئوم ... فدقت

الباب فخرج إليها ذلك الرجل .. وعندما رآها بهره جمالها وقال لها أدخلي وقبل أن تسأله عن جاريتها رأت جلدها معلقاً على الباب. فأسقط في يدها وعلمت أن المحذور قد وقع وأنها قد نجت من خطر ووقعت في خطر آخر .. وأن عليها في هذه الحالة أن تعمل الرأي والحيلة وأن تكون ثابتة الأعصاب هادئة الحركات حتى إذا سنحت لها الفرصة انتهزتها بالسرعة المطلوبة في مثل هذه المواقف حتى تخرج من هذه الورطة كما خرجت من سابقتها .. وعندما صارت داخل البيت راودها هذا الرجل عن نفسها فقالت له إنني لم آتك في بيتك إلا لهذا الشأن ولكنني جائعة وقد أضناني التعب فأمهلني لأستريح قليلاً .. وقدم لي شيئاً من الطعام يعيد إلى حياتي ونشاطي وبعد ذلك سوف تجده مني كلما تحب قالت له هذا في دلال وادلال لأنها رأت في نظرات عينيه ولمحات وجهه ما دلها على أنه مأخوذ بجمالها .. مسحور بدلالها .. هائم في دنيا غرامها.

عند ذلك أوقد الرجل التنور ووضع فيه حطباً كثيراً ليستوي الأكل بأقصى سرعة وعندما أهوى إلى التنور ذات مرة ليضع خبزاً غير ناضج ويأخذ خبزاً قد نضج .. في هذه الحالة قفزت جوزاء مسرعة ووقفت خلف ظهره ثم دفعته بقوة إلى قعر التنور فجعل يستغيث بها لأنقاذه ووعدها وعوداً خلابة أن هي فعلت ولكنها لم تعره إلا أذناً صماء .. فلما مات صارت تتجول في غرف البيت فوجدت مخزناً قد خصص لجثث السيدات ومخزناً آخر للرجال .. ومخزناً ثالثاً للأطفال فارتعش بدنها من هول

تلك المناظر .. ولكن الشدائد وأهوال الصحراء قد أكسبتها كثيراً من قوة البدن ومتانة الأعصاب والصبر على الأهوال .. فأخذت من هذا البيت ما أرادت من غذاء وكساء .. ولبست جلد جاريتها حتى صار من يراها يظن أنها الجارية سعيدة.

ثم أخذت تضرب في مجال الصحراء بحثاً عن أقرب مدينة منها .. فسارت على هذه الحالة عدة أيام .. وعندما أصبحت ذات يوم ونظرت وإذا هي ترى خضرة بستان بعيد فتوجهت إليه حاثة الخطى مسرعة السير .. حتى وصلت إليه .. فوجدته بستاناً كبيراً قد أحيط من جميع جهاته بسور عال لا يستطيع المرء أن يقفز من فوقه .. ودارت على السور بحثاً عن منفذ إلى الحديقة من باب يمكن فتحه أو ثغرة يمكن الولوج منها .. وفي أثناء دورانها وجدت مجرى السل إلى الحديقة .. وقد سد بأعواد وشوك فباعدت بعضها عن بعض وولجت إلى الحديقة من خلالها وعندما صارت داخل الحديقة رأت منظراً عجباً .. إنها حديقة غناء مختلفة الأشجار ساجعة الأطيار يجري الماء في جوانبها كالأنهار فانبهرت بهذا المنظر البهيد .. وأحست بنسمات الراحة والسعادة والحياة تهب عليها من كل جانب من جوانب الحديقة ..

وأخذت تقطف من ثمارها وتأكل إلى ان شبعت ..

ثم اختفت تحت شجرة ملتفة الأغصان وبقيت مختفية إلى أن جنها الليل .. وكانت في منتصف الشهر فسطع نور البدر في الحديقة .. وصار يرسل أشعته الهادئة الحالمة إلى أرجائها فغمرتها

البهجة والسرور وخرجت من مكمنها وأخذت تتجول بين أشجار الحديقة بعدأن نام كل من فيها حتى أشجارها ونباتها استسلمت للنوم تحت ذلك الضوء الخافت الذي يبعثه القمر ..

وفي أثناء تجوالها وجدت بركة عظيمة مملوءة بالماء الصافي النقي فخلعت ملابسها والقت نفسها في وسط البركة .. وبقيت في الماء حتى لأن جلد جاريتها سعيدة الذي كانت قد تقمصته فخلعته عن نفسها ونظفت جسمها تنظيفاً كاملاً فخرجت من البركة خفيفة نظيفة تكاد أن تطير من البهجة والسرور بالحالة التي هي فيها بعد تلك الشدائد والأهوال التي مرت عليها أثناء هربها في مجاهل الصحراء .. وأخذت تتجول في الحديقة وتتمتع بتلك المناظر الخلابة وتبحث عن مكان تختفي فيه فوجدت في وسط الحديقة بيتاً خالياً فدخلت فيه ثم بحثت عن أكثر الزوايا اهمالاً في البيت فوجدت بيت الدرجة فدخلت فيه وكان بإمكان الذي يختفي فيه أن يبصر الداخل والخارج من البيت في الوقت الذي لا يبصره أحد لأن الظلام يستره عن العيون .. وجاءت أثناء النهار ولكنها لم تستطع أن تخرج من مخبئها خوفاً من صاحب البستان وخدمه الذين رأتهم يدخلون ويخرجون من البيت ويعملون في الحديقة ..

وعندما قرب المساء جاء خادم بقصعة من الطعام ملأى ووضعها بغطائها في جانب من جوانب البيت .. فما كان من جوزاء إلا أن سحبت نفسها بخفة وكشفت غطاء الطعام فوجدته ثريداً وفوقه ست بيضات قد طبخن بالماء فأكلت ثلاث بيضات

وأكلت نصف ما في القصعة من الطعام ثم أعادت عليه غطاءه ورجعت إلى مكمنها بعد أن شبعت من هذا الطعام الشهي اللذيذ الذي طالما حرمت من تناول مثله في أيام الشدة والهرب وبعد اختفائها بفترة جاء صاحب البستان لتناول وجبته وعندما كشف غطاء الطعام تعجب من فقدان نصفه فأكل الموجود وظن مختلف الظنون فمرة يتهم الخادم الذي يأتي به بأنه هو الذي أكله ومرة أخرى يظن أن أهله هم الذين نقصوا من الكمية لظروف قاهرة .. والخلاصة أنه أسرها في نفسه وسكت.

وعندما جاء اليوم الثاني جيء بالأكل في موعده فخرجت جوزاء من مكمنها وأكلت نصف الطعام ونصف البيض ثم أعادت كل شيء على ما كان عليه ورجعت إلى مكمنها .. وجاء الرجل على عادته وما أشد دهشته عندما وجد الطعام قد أكل نصفه .. وعندئذ علم أن الأمر ليس صدفة فسأل أهله هل نقصتم من طعامي فقالوا لا إننا نرسله على العادة .. وسأل الخادم هل أنت تأكل شيئاً من طعامي فأجاب بالنفي .. وعندما جاء اليوم الثالث وجيء بالطعام خرجت جوزاء وأكلت كالعادة ثم عادة إلى مخبئها وعندما جاء الرجل للمرة الثالثة فوجد الطعام قد أكل نصفه علم أن في الأمر سراً .. فأكل الباقي وسكت..

فلما جاء الغد اختفى في مكان منزو بحيث يرى الداخل والخارج ويرى الطعام عندما يوضع .. ويرى كل من يمكن أن يقرب حوله .. وجاء الخادم بالطعام فوضعه في مكانه المعتاد

وخرج ففوجيء صاحب البستان بخروج تلك المرأة الشابة من بيت الدرجة ثم بجلوسها بجانب قصعة الطعام وأكلها نصفه ونصف البيض ثم إعادة كل شيء على ما عليه وعندما همت بالذهاب إلى مخبئها خرج عليها الرجل وأمسك بطرف ثوبها وقال لها :-

أسألك بالله هل أنت جنية أم أنسية فقالت له أنا أنسية من خيار الأنس .. وكانت ثيابها رثة لا تكاد تستر جسمها فرمى عليها بعض الأثواب والبسها عباءته وأخذها إلى بيته . وعندما استقرت في البيت وعاد إليها هدوءها وراحة بالها عرض عليها الزواج فأجابت بالقبول فذهب بها إلى قاضي البلد وقص عليه قصتها وطلب منه أن يعقد النكاح بينه وبينها بعد موافقتها فسألها القاضي فأجابت بالقبول فعقد الزواج وزفت العروسة إلى زوجها في حفل بهيج لم يحضره إلا أقارب الزوج وأصدقاؤه.

أما أقارب الزوجة فقد كانوا في بلاد أخرى لا يعلمون شيئاً من أحوال أبنتهم وعاش الزوج وزوجته في سبات ونبات ورزقوا الكثير من البنين والبنات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وعاد الراوي من ربوعهم وهو لا يحمل إلا جميل الذكريات.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.



سبحـــونة :

٢- القطية

وفي ليلة أخرى تجمع الأطفال حول جدتهم وطلب منها أحدهم أن تقص عليهم سبحونة القطية ... تصغير قطاة وهي طير صحراوي سريع الطيران في حجم الحمامة وفي لونها تقريباً.. إلا أنه لا يعيش إلا في مجاهل الصحراء .. فعدلت الجدة من جلستها واستعدت لسرد هذ السبحونة كما أن الأولاد قد أخذ كل منهم مكانه وأنصت بسمعه وبجميع حواسه ومشاعره، فعيونهم شاخصة إلى جدتهم وآذانهم صاغية والهدوء الشامل يخيم عليهم وذلك لئلا تفوتهم كلمة من الكلمات .. أو يشذ عن أذهانهم معنى من المعاني وقالت الجدة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي تزوج امرأة فجاءت منه ببنت .. ثم أراد الله عليها فماتت . وبقيت بنتها في حضانة الأب .. الذي بقي بلا زوجة فترة طويلة من الزمن وفاء لذكرى زوجته الراحلة ومحافظة على الود القديم .. ولكنه أخيراً ضافت به هذه الحال .. أو هو

ضاق بها لأنه شعر بالفراغ .. وشعر بالوحشة في بيته بعد أن كان يأنس فيه بشريكة حياته المرحومة .. ويجد في ظلها كل عطف وحنان ورعاية فدفعته هذه الحالة النفسية التي يعيش فيها إلى أن يبحث عن زوجة لتشاركه في حياته وتعتني بشئون بيته وترعى ابنته التي تحتاج إلى كثير من الرعاية والعناية .. فذهب إلى إحدى الخاطبات وأفضى إليها برغبته وذكر لها بعض الصفات التي يرغب أن تتحلى بها شريكة حياته المقبلة .. فلبت الخاطبة دعوته وأجابت طلبه .. وصارت تبحث عن الزوجة التي تتمثل فيها تلك الصفات المطلوبة..

وبعد بحث دام عدة أيام أخبرته بأنها وجدت طلبه في عروس ذات جمال وحسب ووصفتها له بكل صفة يريدها. وكان الرجال في تلك الأزمان لا يرون زوجاتهم بعيونهم الخاصة قبل الزواج .وإنما ينظرون إليهن بعيون الخاطبات والقريبات .. وبعد عقد الزواج ودخول الرجل على المرأة قد يجدها كما يريد ويهوى وقد يجدها بخلاف ما وصفت له فهو كما يقول المثل الشعبي كدساس يده في الجحر إما أن يجد فيه حية رقطاء يكون في أنيابها القضاء على حياته .. وإما أن يجد زوجة صالحة يسعد بها في جميع أوقاته .

وذهب الرجل إلى أهل الزوجة وخطب منهم ابنتهم فأجابوه إلى طلبه وزفت إليه عروسه في حفل بهيج أحاطت به دقات الطبول ونغمات الفرحة والابتهاج.. ونقلها في صباح ليلة الزواج إلى بيته.. وكان كل شيء في نظر الزوج يبدو مريحاً؛ فهو يجد



الفتاة زينب محبوسة في غرفة مظلمة .. والقطة أمامها
تواسيها وتوفر لها جميع وسائل الراحة

من زوجته عطفاً وحناناً كما تجد ابنته منها رعاية وعناية كبيرة سعدت بها وارتاحت لها ثم رزق الزوج بنتاً من زوجته الجديدة فقلت الرعاية والحنان الذي كانت تبذله لأبنة زوجها وتوجهت بجل عنايتها إلى ابنتها من بطنها .. ثم بعد عام وبضع عام رزقت بنتاً ثانية فانصرفت بكل رعايتها وحنانها إلى بنتيها وأهملت بنت زوجها اهمالاً يكاد يكون كاملاً .. ثم صارت تقسو عليها وتستعملها في أعمال المنزل دقيقها وجليلها فلا.تكاد تترك لها وقتاً ترتاح فيه أو تتمتع باللعب مع أترابها..

وكانت إذا أظهرت شيئاً من الفتور أوالتكاسل ضربتها .. فإذا لم يفد الضرب وشت بها عن أبيها ووصفتها بالصفات التي توغر عليها صدر الوالد فيضربها ويقسو عليها في الكلام فعاشت الفتاة بين نارين بل بين عدة نيران لأن إخواتها من أبيها ينظرن إليها نظرة احتقار وازدراء .. ولا يرين فيها إلا خادمة لهن منفذة لأوامرهن .. ويا ويلها إذا تكاسلت أو رفضت أو أرادت أن تأخذ بثأرها من إحدى أخواتها اللاتي يعتدين عليها دائماً ويسمعنها كل ما تكره ..

ورأت أخيراً أن تصبر وتتحمل جميع الأهانات والمتاعب تسليماً بالأمر الواقع الذي لا مفر منه وانتظاراً للفرج الذي لا بد أن تأتي به الأقدار فاليسر يتبع العسر والفرج يتبع الشدة .. ولا سبيل لها إلا هذا لأنها كلما أرادت أن تنتصر لنفسها وأن تأخذ بحقها الواضح من أخواتها انعكست الآية فصارت هي المخطئة وإن كانت مصيبة وهي المعتدية وإن كانت معتدى عليها .. فلم

تر خروجاً من هذه المآزق إلا بالصبر الجميل وانتظار الفرج العاجل من هذا البيت الذي لا تجد فيه ناصراً حتى والدها صار ضدها .. وعاشت في هذا الجحيم صابرة مترقية للفرج الذي وعد الله به عباده الصابرين .. «إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسراً»..

وسارت الأمور على هذه الوتيرة وهذه الفتاة المسكينة تكد وتكدح في هذا البيت كخادمة لا أجر لها ولا حتى نظرة عطف توجه إليها .. وكبرت الفتاة المسكينة وكبر أخواتها .. وصارت كل واحدة من الأخوات الثلاث تترقب شريك حياتها ليطرق عليها الباب ويطلب يدها وكان أمل الوالدين يتركز في الفتاتين الصغيرتين لأن كل شيء طيب لهما من طعام وشراب ولباس أما الفتاة الثالثة والكبيرة فهي تعتبر في نظر أهل البيت من سقط المتاع فهي تعيش في أسمال بالية وبنفس محطمة .. وجسم ضعيف نحيف قد أنهكته الهموم والأحزان .. مما يلقى من ألوان الاحتقار والحرمان .. ولو كان لها مفر من هذا الجحيم لهربت منه ولكن أين المفر.؟! فهي فتاة والفتاة مقيدة بقيود اجتماعية متعددة لا تستطيع أن تجتاز واحدة منها فضلاً عن أن تجتازها كلها .. ولو كانت ولداً لأتيحت لها فرص الهرب في دنيا الله الواسعة .. والرزق على الله .. ولكن هاكذا أراد الله لها .. فلترض بما قسم الله لها .. ولتتحمل ما قدر الله عليها إلى أن يحل مشكلتها أو مشاكلها الزمن والظروف القادمة ..

كان والد الفتيات الثلاث من هواة الصيد .. وكان يخرج

إلى الصحراء .. ويضرب في مجاهلها بحثاً عن أي صيد يراه.. إلا أن معظم صيده كان من القطا لأنه يعرف لهذا النوع من الطير موارد من الماء خفية .. فيأتي إليها وينصب شباكه حولها.. ويأتي القطا فيقع في تلك الشباك فيأخذه ويأتي به إلى أهله مذبوحاً يأكلون منه عدة أيام فإذا نفد عاد إلى الصحراء للاتيان بصيد جديد ..

وخرج ذات يوم إلى الصحراء وصاد من القطا كمية لا بأس بها فذبحها كلها ما عدا ثلاث تركهن أحياء ليعطي كل واحدة من بناته قطاة لتلعب بها .. وتتسلى بحركاتها .

وجاء الأب بصيده الكثير وهديته الثمنية لبناته وأعطا زوجته القطا المذبوح وأعطا كل واحدة من بناته قطاة حية ربط في جناحها خيطاً لتمسك الفتاة بطرفه فتترك للقطاة حرية التحرك والطيران في حدود طول الخيط .. واخذت كل فتاة قطاتها وتفرق الفتيات في المنزل كل واحدة فرحة بقطاتها حيث ترخى لها العنان لتركض وتقفز وتطير .. بينما الحبل مشدود في جناحها ترخيه لها كلما جذبته وتتبعها به حيثما توجهت .. وفي خلوة من خلوات الفتاة الكبيرة التي نسينا أن ندعوها بأسمها من أول السبحونة وهو زينب .. في خلوة من خلواتها بالقطاة وفي زاوية منعزلة من زوايا البيت قالت القطاة لزينب أطلقي سراحي .. وفكي الحبل من جناحي ودعيني أذهب إلى أهلي وأولادي .. وسوف أكافئك مكافأة كبيرة على انقاذ حياتي من الموت المحقق .. فقالت لها زينب إنني أخشى من والدي أن

يضربني .. ومن زوجة والدي أن تتخذ من هذه الحادثة منقصة لي ومفخرة لبناتها .. فقالت لها القطاة أما ضرب والدك فأنني سوف أقيك منه بجناحي .. وسوف أتلقى كل الضرب عنك فلا تحسين بأي شيء .. وأما شماتة أخواتك وأمهن بك .. فلا يضيرك ذلك فأن العاقبة سوف تكون لك ..وسيأتي اليوم القريب الذي تخرجين فية من حالتك التي أنت فيها إلى حالة من الرفعة والسعادة والمجد .. قد لا تتصورينها الآن.

فأطلقت زينب سراح قطاتها .. وودعتها بنظرة عطف وحنان وهي تحلق في الهواء متجهة إلى وطنها وأهلها وذويها.. وكانت قبل أن تطير قد أعطتها كلمة السر إذا وقعت في مشكلة أو أرادت منها أي عون أن تقولها .. فإذا قالتها فإن القطاة سوف تكون عندها بأسرع من لمح البصر ورجعت زينب إلى أخواتها وفي يد كل واحدة منهن قطاتها فسألنها عن قطاتها .. فقالت أن الخيط بعد أن انقطع وطارت القطاة .. وأظهرت التحسر.. وأجهشت بالبكاء .. وأرسلت دموعاً مصطنعة لعل فيها ما ينقذها من عقاب شديد ينتظرها .. أو على الأقل يخفف عنها من آلام الضرب والشتم والتوبيخ الذي لا شك أنها ستلقاه من والدها ولا شك أن زوجة والدها سوف تزيد الطين بلة .. والنار اشتعالاً بما ستقوله لزوجها ..

وطار الفتاتان إلى أمهما ليزفا لها الخبر .. وتلقت الأم هذا الخبر بكثير من التجهم والشماته .. وقالت لابنتيها اذهبن وقلن لها لتأت إلى بسرعة فذهبن إلى زينب ودعونها فجاءت وهي تعلم

ما ستقابلها به زوجة والدها .. وتعلم أيضاً أنها سوف تستغل هذه الحادثة أسوأ استغلال وأشنعه لا في الحاضر فحسب .. ولكن في الحاضر والمستقبل .. ولذلك فقد ذهبت خائفة مرتعشة واعتذرت لزوجة والدها وطلبت منها أن تخفف من غضب والدها .. وأن تكون عوناً لها في الخروج من هذه الورطة.. فوعدتها بالعون بلسانها ولكن قلبها كان ينطوي على غير ذلك .. وعندما جاء الأب من السوق بادره البنات الصغار بالخبر وفي يد كل واحدة منهن قطاتها .. ودخل الرجل إلى زوجته فقصت عليه القصة وقالت كل ما يوغر صدر الوالد على ابنته .. فما كان من الأب إلا أن أخذ زينب من يدها وادخلها غرفة مظلمة وجاء معه بعصا صار يضرب بها زينب ضرباً مبرحاً وكانت زينب عندما أحست بدنو الخطر قالت كلمة السر فحضرت القطاة وصارت تقي زينب بجناحها فلا تحس بوقع العصا على جسمها .. لأن القطاة تتلقى تلك الضربات فلا يصل إلى زينب منها أي ضرر أو ألم .. ثم بعد الضرب اقفل عليها والدها في تلك الغرفة القذرة المظلمة وتركها وحيدة واقسم أن يتركها اسبوعاً كاملاً في هذا المكان وأن لا يعطيها في النهار إلا وجبة واحدة وكانت زوجته تشجعه على هذا التصرف وتريه أن هذا الأجراء وأمثاله يؤدبها ويهذبها ويجعلها تشعر بالمسؤولية .. وتهتم بما يراد منها أو يطلب .. وبقيت القطاة بجانبها في محنتها هذه لأنها هي السبب فيها فنظفت القطاة تلك الغرفة ورشتها بأنواع المطهرات وجعلت منها ملاذاً مريحاً تهدأ فيه اعصاب زينب بعد طول ارهاق وتوتر يثيره كل تصرف من تصرفات الصغار

والكبار في هذا البيت على السواء .. فهم أن قسموا لم يعدلوا في القسمة وإن وزعوا الأعمال المنزلية لم يعدلوا في التوزيع .. إما العواطف والحب والحنان فهذا شيء لا عهد لها به منذ ان جاءت هذه الزوجة إلى بيت والدها .. ولهذا فقد شعرت زينب بالراحة التامة .. في عزلتها هذه وصارت القطاة تأتي إليها بأنواع المأكولات والفواكه والحلويات .. فكانت مدة الحبس هذه بالنسبة إليها اجازة لذيذة ارتاحت فيها أعصابها وارتاح فيها بالها.. وارتاح فيها جسمها .. واستعادت فيها بعض الشعور بالشخصية والإحساس بالثقة بالنفس .. والقطاة طيلة المدة بجانبها تؤآنسها وتقص عليها مختلف القصص وتأتي إليها بأنواع المسليات .. وتقوي من نفسها وتشد من عزيمتها إلى أن انتهت مدة العقوبة .. فخرجت من هذا الورطة بروح من الكفاح صلبة قوية .. وصممت على تحمل الصعاب في هذا البيت الذي لا تشدها إليه الأبوة ولا البنوة وإنما تشدها إليه الضرورة التي لا مهرب منها .. والظروف القاسية التي لا يحلة فيها .. وأعطتها القطاة كلمة السر بعد خروجها وذهبت إلى حال سبيلها واستمرت زينب في البيت تعمل ليل نهار فتقوم إلى العمل صباحاً مع أول القائمين . ولا تترك العمل حتى ينام آخر فرد في العائلة ..

وكان في المدينة التي تسكنها عائلة زينب ملك كريم عادل لم يرزق من الأولاد إلا ولداً واحداً فهو يهتم به اهتماماً زائداً .. في تأديبه وتهذيبه وإجابة طلباته وتحقيق رغباته ، التي لا تعود

عليه بالضرر .. ويعده والده الملك ليكون خليفته على المُلك . وحافظ كيان الأسرة من التفتت والضياع .. وكبر هذا الابن وبلغ مبلغ الرجال .. وأحب أن يتزوج .. وهو يريد له أجمل فتاة في المدينة وأكملهم خلقاً وخلقاً.. وأشرفهم نسباً وحسباً .. فاستشار الملك بعض ثقاته في أفضل طريقة يتوصلون بها إلى غرضهم هذا فقال هذا الثقة ان الرأي عندي أن يعلن في المدينة أن الملك سوف يزوج ابنه وولي عهده ..وأنه لذلك سوف يعمل حفلة ساهرة في ليلة كذا الموافقة كذا وجميع سيدات المدينة مدعوات إلى هذه الحفلة كبارهن وصغارهن .. ولن يحضر هذه الحفلة من الرجال إلا ولي العهد .. وبعض ثقاته .. فسار الخبر في المدينة وبدأت كل شابة ترشح نفسها لتكون العروسة المنشودة.. وبدأت كل عائلة ترشح بناتها لنيل هذه المكانة السامية.. وأخذت المدينة كلها تستعد لهذا الحفل الساهر النادر بالملابس والحلي وأنواع الطيب الفاخرة .. وصارت العوائل تنفق في هذا السبيل بكرم وسخاء لم يسبق له نظير .. وكل عائلة تريد أن تفوز بقصب السبق في هذا الحفل البهيج..

وجاءت الليلة الموعودة .. وبدأت العوائل منذ غروب الشمس في النظافة واللباس وتنسيق الحلي ووضعه في مواضعه من الأجسام .. واستعدت زوجة والد زينب وبناتها .. للذهاب إلى الحفلة .. أما زينب فكأنها ليست في الوجود فلا ملابس ولا استعداد .. ولا أمل لديها في حضور هذا الحفل البهيج .. وتم استعداد زوجة الأب وبناتها من بطنها .. وأزف

وقت الاحتفال فأخرجت الزوجة قدراً مملوءاً بحب الحنطة وقالت لزينب اطحني هذا على الرحا وإياك !! إياك!! ان نجيء وفيه حبة لم تطحن .. فلبت الدعوة وأخذت الحب إلى الرحا وبدأت في إدراة الرحا على الطحين ... وخرجت زوجة الأب وبناتها في كامل زينتهن .. وبقيت زينب في البيت وحيدة مكسورة الخاطرة تنتابها الوساوس والآلام وتلفحها لواعج الحرمان. وتتعجب من هذه الأنانية في زوجة والدها وهذه القسوة في قلبها.. وخطرت على بال زينب خاطرة .. لماذا لا تقول كلمة السر وتحضر القطاه .. فلعل لديها حلاً لهذا الوضع الشاذ الذي تعيش فيه زينب.. ان لها نفساً تواقة إلى حضور مثل هذا الحفل والتفريج عن قلبها من بعض هموم المنزل .. ومشاهدة سيدات البلد وهن في كامل زينتهن ..

وترددت قليلاً .. واستمرت في الطحن خوفاً من زوجة أبيها .. التي لا تعذر ولا ترحم ولكنها أخيراً لم يستطع كبح جماح تلك الرغبة الجارفة لديها .. في حضور هذا الحفل الذي قد لا يجود الزمان بمثله في مستقبل الأيام . فقالت كلمة السر وبأسرع من لمح البصر حضرت القطاة .. وقالت لها ماذا تريدين يا فتاتي أخبرتها بقصة الحفلة كما أخبرتها بصنيع زوجة والدها وبناتها .. فما كان من القطاة إلا أن هدأت من ثائرة زينب ووعدتها بكل خير وقالت لها إنني سوف أغيب عنك بضع ثوان لإحضار ما يلزمك لهذا الحفل فاتركي الرحا فإنها سوف تدور بنفسها وتطحن الدقيق .. وقومي فتنظفي وتهيأي لحضور

الحفل.

فقامت زينب وهي بين المصدقة والمكذبة ، هل تستطيع في بضع ثوان ان تعد نفسها اعداداً يتناسب مع مستوى هذه الحفلة التي اخذت سيدات البلد شهراً كاملاً وهن يعددن لها العدة .. وهل تستطيع ان تدرك جميع البرامج فلا يفوتها شيء .. ثم هل يخفى ذهابها على والدها وزوجته وبناته فلا يحدث ما يعكر صفو الأسرة في هذه الأيام البهيجة ..؟ كل هذه التساؤلات خطرت على بال زينب .. ولكنها من جانب آخر كانت تعرف قدرة قطاتها على صنع المعجزات .. واختراق الحواجز والموانع التي تعترض طريق الإنسان لبلوغ آماله .. وفي اثناء هذه الفترة التي قضتها في هذه التساؤلات كانت القطاة قد حضرت وأحضرت معها حقيبة ملأى بالملابس والمجوهرات .. وأنواع الإصباغ والزينة.

فأخذت فتاتها إلى الحمام ونظفتها تنظيفاً كاملاً .. ثم عطرت جسمها كله بنوع فاخر من أنواع العطر .!! ثم أخذت تلبسها تلك الملابس الفاخرة التي احضرتها لها والتي لا وجود لمثلها في جميع انحاء تلك المملكة .. ثم البستها أنواع الحلى الخفيف اللطيف .. الذي يعطي جمالاً ورونقاً ويدل على ذوق رفيع واختيار بديع .. ثم البستها فوق ذلك معطفاً من الفرو الفاخر الثمين .. والبستها حذاء ذهبياً واحضرت لها حصاناً أشقر يجر عربة مذهبة وراكبتها في العربة وركبت بجانبها توصيها وتعطيها التعليمات التي يجب اتباعها..

نظرت زينب إلى نفسها في مرآة معها فأخذت منها الدهشة كل مأخذ .. وكادت أن لا تعرف نفسها .. وأخذت تتساءل هل أنا زينب تلك الفتاة المنبوذة المهضومة الحقوق المظلومة؟! لا إنني لا أصدق إنني إياها .. أو أنها إياي .!!

ثم راجعت نفسها وقالت لم لا وقطاتي السحرية تستطيع أن تصنع المعجزات .. وأن تتخطى جميع الحواجز والحدود، بمالها من قدرة كبيرة وسرعة فائقة .. وأخيراً اطمأنت إلى انها تعيش في حقيقة لا خيال .. وإلى انها سوف تنتصر على عوامل التحطيم التي تعيش في بحبوحتها .. وإن هذه الخطوات التي يخطوها بها الحصان في تلك العربة الذهبية هي الخطوات التي تصعد بها درجات المجد وتبعد بها عن ذلك المستوى الوضيع الحقير الذي كانت تعيش فيه بين أفراد أسرة قد تنكروا لها واستخدموها وحرموها من أبسط الحقوق التي تتطلبها فتاة مثلها..

وبينما هي في هذه الأفكار والأحلام اللذيذة .. وإذا بالعربة تصل إلى مكان منزو بجانب قصر الملك .. وإذا السيدات ما زلن يدخلن إلى القصر .. ومعنى هذا أن الحفل لم يبدأ بعد .. ولم يفت زينب منه شيء .. فتوجهت إلى القصر الملكي بخطوات رشيقة لطيفة بعد أن أخبرتها قطاتها بالموعد الذي يجب ان تنصرف فيه والبستها في ذراعها ساعة لظبط الوقت .. وبلغت زينب درجات القصر فكانت تصعدها درجة درجة وحذاءها الذهبي لا يكاد يلامس الدرجات من خفة

الحركة .. وكانت قدماها الرشيقتان تصعدان بها إلى القصر وآمالها وآمانيها تحلقان بها في دنيا من الأحلام اللذيذة التي تتطلع إليها وتعيش فيها بأفكارها وعواطفها ومشاعرها ..

ووصلت زينب إلى مكان الاحتفال فاختارت من الأمكنة أحسنها واقربها إلى ردهة الرقص والموسيقي ... فجلست في مكانها هادئة مطمئنة بعد أن القت التحية على من حولها وردوا عليها التحية بأحسن منها وصارت تنظر إلى من حولها لتعرف مكانها من هذا المهرجان .. ورأت الناس ينظرون إليها .. ويكررون النظر .. وهي تتجاهل تلك النظرات .. وتعرف أن من تلك النظرات ما مصدره الأعجاب وأن منها ما مصدره الغيرة والحسد .. ولكنها تجاهلت هذه وتلك .. ووجهت نظراتها إلى ردهة الموسيقي التي بدأت في العزف وتحريك الأوتار وصارت تلك النغمات تملأ مكان الحفل بالبهجة .. وتفيض عليه معينا من الفرح والمسرة ..

وتتابعت برامج الحفل وتتابعت نظرات المعجبات والحاسدات إلى زينب .. وكانت تلك النظرات لا تزيدها إلا ثقة بنفسها .. واعتزازها بشخصيتها .. وترفها عن أهواء النفوس الصغيرة التي لا تقوى على كبح جماح النوازع الشريرة التي لا تكاد تخلو منها نفس بشرية وإنما يتفاضل الناس بالقدرة على تهذيبها وتشذيبها وتوجيه اندفاعها إلى ما فيه خير أو دفع ضرر.

وكانت تدفع زينب رغبة ملحة إلى رؤية زوجة والدها وبناتها.. ولا تقول اخواتها .. لأنها لا تحس نحوهن بعاطفة

الأخوة.. ولا برابطة النسب لأنهن يرين أنفسهن في مستوى أرفع منها.. وكانت لا تلقى منهن طيلة الأيام الماضية إلا كل جور واحتقار وازدراء ولذلك فهي ترغب ان تراهن في موضع منزو لتتشفى منهن. ولنشمت بهن لأنهن طالماً شمتن بها .. وطالماً اذقنها الجور الواناً ولكنها تعود إلى نفسها الطيبة وعنصرها المتسامح فتقول لنفسها إنني يجب ان لا أشمت بهن .. ويجب أن لا أتشفى منهن ويكفي أن يرينني في وضع أحسن من وضعهن .. فإن في هذا أكبر أنواع الشماته .. وأبلغ ألوان التشفى .. وامضى سلاح لتحطيم ذلك الغرور والتعالي الذي كن يعاملني به طيلة الأيام الماضية .. وسيبقين يعاملني به ما دمت على وضعي الماضي تحت أيديهن .. وتحت رعاية والدي الذي يتجاهل ابسط حقوقي ويتركني تحت رحمة هذه الذئبة الشرسة وبناتها الشريرات.

هكذا فكرت وهكذا رجحت جانب التسامح على ما عداه من النوازع البشرية التي قد تضطرم في بعض النفوس والتي قد تحرق صاحبها وتحرق منافسة على حد سواء.

ورأت زوجة والدها ورأت اخواتها جانب منزو من جوانب الحفل لا يلفت إليهن أحد .. ولا يحس بوجودهن حتى من حولهن .. وأحدث في نفسها هذا المنظر شيأ لا تدري ما هو .. الا أنه زادها قوة واعتداداً بالنفس وثقة بها لا حد لها..

وانتهت برامج الحفل التقليدية .. وجاء دور الراقصات من المدعوات .. وصرن يقمن الواحدة تلو الأخرى وكل واحدة

منهن تعرض أمام المشاهدين أبهى ما تعرفه من أنواع الرقص.. وبعد أن قاربت أفواج المدعوات من الانتهاء من رقصاتهن .. قامت زينب واتجهت إلى المسرح بخطوات ثابتة رشيقة .. وأدت رقصة كانت مثار إعجاب جميع المشاهدين .. وكانت زينب ساحرة حقاً بحركاتها .. وبلبساها وبحليها وباشراق وجهها الذي بهر جميع من حضر .. وكان ولي العهد يشاهد الحفل ولا يفوته مما يجري فيه دقيقة ولا جليلة .. وسحر الأمير بجمالها وقال لأحد ثقاته انظر إلى هذه الشابة واتبعها حيث تسير واعرف لي مكان منزلها..

وكاد الحفل ان يختم .. ونظرت زينب في ساعاتها فإذا موعد انصرافها قد حان .. فقامت من مكانها مسرعة واتجهت إلى باب الخروج لتستقل عربتها .. وأحست في هذه الأثناء بأن شخصاً يتبعها كظلها فأسرعت الخطا فسقط أحد حذاءيها فلم تلتفت إليه .. بل اندست في غمار الخارجين . . ولم يستطع هذا الموكل بمتابعتها أن يعرف أين اتجهت .. ولكنه وجد دليلاً مادياً قد يدل عليها .. وقد يعرف به شخصيتها .. لقد وجد إحدى نعليها فأخذها إلى الأمير وأخبره بالخبر فقال لا عليك .. إن رجل الديك تأتي بالديك كما يقولون في الأمثال .. وسوف نهتدي بهذا الحذاء إلى صاحبته.

فأما زينب فركبت عربتها الذهبية التي يجرها الحصان الأشقر واتجهت كالريح إلى منزل أبيها . وعندما وصلت وجدت القطاة في انتظارها ... فضمتها في حضنها وهنأتها بالسلامة ..

وتمنت أن تكون تمتعت بما شاهدت .. فقصت عليها زينب كلما شاهدت كلما عملت وأخبرتها بالتابع الذي جعلها تسرع الخطى حتى فقدت إحدى نعليها .. فقالت لها القطاة لا عليك من الحذاء .. وخلعت ملابسها الجديدة وألبستها اسمالها القديمة .. وجلست زينب بجانب الرحا تطحن ما كلفت بطحنه .. وعاد كل شيء في البيت على ما كان عليه .. وجاءت زوجة الوالد ومعها بناتها .. وهن يتحدثن عن تلك الفتاة ذات الحذاء الذهبي والرقصة الساحرة .. وقد رشحها كل من حضر الحفل لنيل شرف القران بولي العهد ...

وسرت زينب بهذا الثناء والأطراء الذي توجهه زوجة أبيها وأختاها إليها من حيث لا يشعرن أنها هي المقصودة بهذا الثناء.. وصارت تستزيدهن من هذا المعلومات فيزدنها ما يملأها سروراً وأملاً واستبشاراً..

أما ولي العهد فقد انشغل باله بذات الحذاء الذهبي .. ولم يدر كيف يهتدي إليها .. وأخبر والده بأنه لا يريد إلا صاحبة هذا الحذاء فأخذه الوالد وجمع مستشاريه وأخبرهم بما يريد فقال أحدهم أن لديه رأياً في الطريق الصحيح للوصول إلى هذا الغرض.. فهو يعرف عجوزاً دلالة لا تترك بيتاً في المدينة إلا وتدخله فما علينا إلا أن نعطيها هذا الحذاء ونطلب منها أن تبحث في اثناء تجوالها بين البيوت عن صاحبة هذا الحذاء .. وبهذا نصل إلى ما نريد بطريقة بسيطة وغير لافتة للأنظار فاستحسن الحاضرون هذا الرأي .. وطلب الملك من مستشاره

احضار العجوز فحضرت ... واخبرها بما يريد . ودفع إليها الحذاء .. فاخذته ووعدت الملك بأن تبذل غاية الجهد للوصول إلى معرفة صاحبة هذا الحذاء .. وبدأت العجوز جولتها الأولى بكل البيوت التي تظن أنها تجد فيها طلبتها من الطبقة الراقية.. ولكنه خاب أملها .. ثم أخذت تدور وتبحث عنها في بيوت الطبقة المتوسطة وما أشد دهشتها حينما أخفق سعيها .. فأخذت تبحث عنها في بيوت الطبقات الفقيرة .. والحت في البحث والطلب .. ولكنه خاب أملها أيضاً .. ورجعت إلى الملك واخبرته بأنها لم تترك بيتاً من البيوت إلا دخلته وتأكدت أن صاحبة الحذاء الذهبي ليست فيه .. ولم تترك في المدينة شق نملة إلا دخلته لتحقيق رغبة الملك ولكنها اخفقت..

ثم تذكرت فقالت أن هناك بيتاً صغيراً لرجل فقير صياد هو البيت الوحيد الذي لم ادخله .. لأنه من المستحيل أن تكون ذات الحذاء الذهبي في هذا البيت الصغير الحقير .. فقال لها الملك اذهبي إلى ذلك البيت فلعلك تجدينها فيه .. فذهبت العجوز إلى ذلك البيت وهي لا تؤمل أن تصل إلى نتيجة فيه .. ودخلت فسلمت على ربة البيت وقالت أن لدي فردة حذاء أريد أن أقيسها على أقدام الفتيات اللاتي في هذا البيت .. فقالت المرأة حباً وكرامة وأسرعت إلى بناتها من بطنها وطلبت منهن أن يتنظفن .. وأن يأتين لرؤية الحذاء الذهبي وتجربته على اقدامهن .. وكانت تؤمل أن تفوز إحدى بناتها .. وجاءت الفتاتان وقيس الحذاء فلم يطابق قدم واحدة منهن .. فقالت

العجوز هل يوجد في هذا البيت فتاة غير هاتين فقالت لا يوجد إلا فتاة شبه يتيمة وهي دائماً مزوية لا تحب رؤية أحد ولا أن يراها أحد .. فقالت العجوز اقنعيها بأن تأتي عندي لحظة لأقيس عليها هذا الحذاء .. ثم تذهب إلى زاويتها المفضلة ..

فأجابت المرأة طلب العجوز على كره وأرسلت إحدى بناتها لدعوة زينب .. وجاءت زينب في اسما لها تمشي على استحياء.. وجلست أمام العجوز في خجل .. وقالت لها العجوز إني أحب أن أقيس هذا الحذاء على قدمك فلم تمانع بل أخذت الحذاء ولبسته ..وما أشد دهشة العجوز عندما وجدت أن الحذاء قد طابق قدمها كل المطابق .. وإعادت العجوز التجربة وهي لا تكاد تصدق أن الحذاء الذهبي يطابق قدم تلك الفتاة الفقيرة في هذا البيت الفقير .. ولكنها وجدت أن الحذاء ينطبق تمام الإنطباق على تلك القدم .. ولا مجال للشك في هذا فهو أمر أكيد .. وواضح وضوح الشمس في رابعة النهار .. وأخذت العجوز هذه الفردة من الحذاء وودعت الفتاة وودعت أهل البيت .. وذهبت إلى الملك وهي فرحة مستبشرة بالحصول على طلبة الملك .. الذي وعدها بمكافأة سخية على مجهودها إذا حصلت على ما يريد ..

ووصلت العجوز إلى الملك وأخبرته باسم الفتاة المطلوبة واسم والدها ومكان بيتها .. فنقدها الملك مكافأة سخية ما كانت تحلم أن تنالها في يوم من أيام حياتها .. فأخذتها وانصرفت .. اما ما كان من زينب فقد انزوت في زاوية من زوايا البيت تنظفه

والآمال تكاد تطير بها فرحاً وابتهاجاً .. وبسمت لها الدنيا وصارت تحس بمشاعر من السعادة ضاق عنها قلبها الصغير .. وليس في بيتها الحقير من ثبت إليه فرحتها وتفضي إليه بأحلامها.. التي لا حد لها فلم تجد مناصاً من كتمان جميع آمالها ومشاعرها وأحلامها .. وأن تختزن ذلك في قلبها الغض الصغير .. واستمرت في أعمال منزل والدها كأن شيئاً لم يكن.. وكأن شيئاً لن يكون. منتظرة غدها المرتقب الذي هو آت لا محالة .. إلا أن الأمور مرهونة بأوقاتها..

أما ما كان من الملك فقد بعث إلى والد الفتاة فارتاع لهذه الدعوة فهو لا يعرف الملوك ولا صلة له بهم وخشى أن يكون واش قد رماه بفريه .. أو وجه إليه تهمة .. ودخل الوالد على الملك وأطرافه ترتعش وقلبه يخفق .. وقد جف ريقه .. ولم يدر كيف يحيي الملك. ولا كيف يجيبه ان سأله ولكن الملك كان لطيفاً متواضعاً فصافح والد زينب ورحب به وأدنى مجلسه .. وسأله عن أولاده وعن أحواله فأجاب بكلام لا يدري هل هو الجواب أم إن الجواب خلافة .. والمهم أنه تكلم والتفت الملك إلى بعض خاصته يحادثه ويوجه إليه بعض الأوامر والتعليمات التي تتطلبها شؤون المملكة .. وترك لوالد زينب فرصة تهدأ فيها اعصابه ويفرخ فيها روعه.. وتعود إليه ثقته بنفسه .. فقد ظهر للملك ارتباكه .. ولاحظ ارتعاش أطرافه .. واختلاط الكلمات التي يجيب بها .. وبعد فترة من الوقت التفت الملك إلى والد زينب وقال له : إنني اخطب منك إحدى بناتك لإبني وولي

عهدي .. وعندما سمع والد زينب هذه الكلمة دهش وتلجلج في الجواب .. ولم تستطع أذناه أن تصدق ما تسمع .. ولكن الملك أعاد الكلام ثانية .. وحدد الزوجة المطلوبة..

دهش الأب من هذا التحديد أكثر من دهشته من الخطبة فزينب في نظر الأب هي آخر واحدة من بناته في جمالها وصلاحيتها للزواج .. ولذلك فإن الكلمات لم تستطع الصعود إلى لسانه بالموافقة، ولما رأى الملك تلعثمه في الجواب أعاد عليه العرض مرة ثالثة وقال له هل توافق على هذا ؟ ! فأجاب بالإشارة بأنه موافق .. واكتفى الملك منه بهذه الإشارة .. وأمر وزيره بأن يحمل والد زينب في مركبة ملكية وأن يوصله إلى بيته كرمز للتكريم والتشريف .. كما أمر الملك بأن تنقل زينب وعائلتها إلى قصر يتناسب مع مكانتهم الجديدة في المجتمع .. كأسرة تربطها روابط الصهر بالعائلة الملكية.

وعاد والد زينب في العربة الملكية وأصيب بالدهشة كل من كان يعرفه .. إنه شخص عادي .. ليست لديه أصالة في الشرف ولا ثروة ولا مركز مرموق في المجتمع .. فما الذي قفز به هذه القفزة إلى مقام الملوك وما الذي جعل الملك يوليه هذا الشرف العظيم بنقله على العربة الملكية .. وصارت التساؤلات والتكهنات تتردد بين الناس في البحث عن السر في هذه القفزة المفاجئة التي لا تخطر على البال ولو في الخيال .. وأخيراً علم الناس بالسبب وإذا علم السبب بطل العجب كما يقولون في الأمثال .. ودخل الرجل على زوجته والدهشة تعقد لسانه ..

ولسان حاله يقول هل أنا أعيش في حلم أم حقيقة .. واحتار في الكيفية التي يخبر بها زوجته .. إنها لا شك سوف تصاب بصدمة عنيفة من اختيار ابنته زينب وتفضيلها على بناتها المترفات الناعمات المدللات ..

وصل البيت في العربة الملكية .. وصار امام زوجته وجهاً لوجه واحتار كيف يبدأ الكلام .. وكيف يخبرها .. ولكن الزوجة لم تطق صبراً ففتحت باب الحديث وقد كانت رأت الدلائل في أن حدثاً عظيماً سوف يحدث بالنسبة إلى العائلة .. ولكن من سيفوز بالنصيب الأوفر من هذا الحدث. ؟! هذا هو الشيء الذي لا تدريه وسألت زوجها في لهفة والحاح قائلة أخبرني عن جلية مقابلتك للملك .. ماذا يقصد منها .. فقال لها لقد خطب الملك لولي عهده إحدى بناتي .. فقالت من منهن ..؟! وهنا جاءت المشكلة .. ولكنه لا بد أن يصارحها بمن وقع عليها الاختيار .. فقال ان الملك طلب يد زينب لتكون زوجة لولي عهده .. فامتقع لون الزوجة وتغير مزاجها .. وقالت لزوجها لعل في الأمر غلطاً .. فقال لقد كنت أظن هذا الظن.. ولكن الملك عينها باسمها ... وذكر لي أوصافها حتى لم يبق لدي مجال للشك في أن المطلوب هو ابنتي زينب .. فزاد ارتباك الزوجة .. وأصيبت بذهول عظيم لم تقو معه على متابعة النقاش ..

فتركت زوجها يمضي لشأنه .. وانصرفت إلى بناتها من بطنها لتخبر هن بما حدث كما ذهب الأب إلى ابنته زينب في

إحدى زوايا البيت ليزف إليها الخبر السعيد فتلقت الخبر بدهشة متكلفة .. وقالت لوالدها وهي تتظاهر بالتواضع .. لعل في الأمر غلطاً .. وأن المقصود غيري .. فقال الوالد ليس في الأمر غلطاً.. وإنما هو واضح وصريح بأنك أنت المقصودة لا غيرك.. فتظاهرت بأنها لا تزال تشك ولكن الأيام سوف تكشف عن الحقيقة.. وانصرفت إلى شأنها وتركت والدها ينصرف لشأنه..

وبدأت الخطوة الثانية وهي نقل مستوى هذه الأسرة إلى حيث ترشح له من حيث الارتفاع بمستوها في اللباس والمظهر ومعرفة أنظمة المجتمع الراقي .. وذلك لئلا ينتقدوا ببعض التصرفات .. وهم في الذروة العليا من المجتمع .. وجاء إلى قصرهم كل من يلزمن من خياط ومطرز وعارف بشئون المجتمع .. وصار بيت والد زينب كخلية النحل .. يعج بالغادين والرائحين والمهنئين .. من الجيران والأقارب والمعارف.. وجاء إلى بيتهم حتى من لا يعرفونه ولا رأوه طيلة حياتهم جاء مهنئاً .. ومتمنياً للأسرة دوام الرفعة .. وكان أهل البيت يقابلون كل زائر بالترحاب والتكريم .. ويبذلون قصارى جهدهم في مجاملة الزائرين والأخذ بخواطرهم .. على مختلف طبقاتهم .. وتباين أغراضهم .. وكانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق للزواج وحفلاته .. وما يتطلبه من مظاهر الفرح والابتهاج..

ووضح الأمر بأن خطيبة ولي العهد هي زينب .. وبدأ أهل البيت ينظرون إليها نظرة أخرى خلاف ما كانوا ينظرون إليها

سابقاً.. بل صاروا يتملقونها .. ويحاولن أن يعتذرن عما صدر منهن في الماضي بمختلف الأعذار ..وصارت اخواتها اللاتي لا تذكر منهم في الماضي أي تصرف حميد ولا كلمة طيبة .. صار اخواتها من أبيها يتلطفن معها ويحاولن بمختلف الأساليب أن يكفرن عن خطاياهن وذنوبهن السابقة إليها .. حتى والدها تحُول تحولاً مفاجئاً في معاملتها فصار يلاطفها .. ويعاملها بتجلة واحترام زائدين..

وأخذت زينب تفكر في هؤلاء البشر .. في سرعة تحولهم.. وقدرتهم الفائقة على أن يتكيفوا بكيفيات قد تكون متناقضة من قسوة إلى لين .. ومن جفاء إلى محبة .. ومن عقوق وغمط للحقوق إلى بذل وعطاء دون حساب .. وجعلت زينب تقارن بين هذه الحالات وتعجب منها .. وتنظر إلى الدنيا نظرة فاحصة .. فترى أنها لا تدوم على حالة واحدة بل تتقلب بأهلها فتخفض هذا وترفع ذاك .. وتذل هذا وتعز منافسه ... وإذاً فإن على المرء إذا ابتلي أن يصبر منتظراً الفرج .. وإذا عز أن يشكر خوفاً من تقلبات الزمان .. وحتى يكون له بين مواطنيه رصيداً يلجأ إلى الأخذ منه عند تقلص الأمور عنه ..

واستمرت زينب في هذه التأملات الفلسفية التي لم تهتدي إليها بالدراسة .. وإنما اهتدت إليها بالتجارب المريرة التي عانتها في حياتها العائلية .. وصبرت عليها صبر الكرام .. وكانت نتائج صبرها الفوز والانتصار ولكن على من .؟! على والدها وزوجته واخواتها فهل تعتبر هذا نصراً ؟ نعم أنه نصر . ولكن

يجب أن تستغله استغلالاً كريماً رحيماً . . فلا تجازي المسيء بإساءته ولكنها تجازيه بإحسان .. ويكفيها إن الله آثرها عليهم وجعلهم هم المسيئون وهي المحسنة .. وهم العاقون وهي البارة وهم الظالمون وهي العادلة .. وهم المتجاهلون لأبسط حقوقها.. وهي الوفية البارة العادلة ..

رسمت لنفسها هذا الطريق وعاهدت الله على أن تسير فيه إلى النهاية لا بالنسبة لأهلها فحسب .. ولكن بالنسبة إلى كل من تربطها بهم أي رابطة من الروابط البشرية المتعددة الألوان والمشارب .. فالذي أعطاها قادر على أن يأخذ منها .. إذا لم تشكره على نعمته وتحسن استعمال هذه النعمة بلا إسراف ولا تبذير ولا غرور .. ولا غمط للحقوق.

لقد كانت حياة زينب السابقة كلها دروس وتجارب وشقاء مرير فلتستخلص من هذه التجارب والدروس نهجاً شريفاً تسير عليه .. ولا سيما أنها سوف تصبح ولية للعهد .. وبعد فترة قد تطول وقد تقصر سوف تكون ملكة للبلاد .. وإذاً فإن قلبها يجب أن يكون كبيراً ونظرتها يجب أن تكون بعيدة .. وأن تترفع عن سفاسف الأمور وعن الكيد والتشفى والانتقام..

كل هذه الخواطر دارت في رأسها الصغير .. واختارت منها كلما يجمل بشابة أنعم الله عليها ورفعها من الحضيض إلى القمة وجعلها مخدومة بعد أن كانت خادمة .. ومرجوة بعد إن كانت راجية يتحبب إليها من يريد لها الخير ويتحبب إليها من ينافسها ويريد لها الشر فلتقبل كلاً على علاته ولتترك أمور البشر

مستورة.. ولتأخذ بما ظهر لها .. ولتترك المحاسبة على الذنوب لعلام الغيوب .. وأوشك موعد الزواج أن يحين .. وجاءت الهدايا والتحف تترى إلى بيت زينب من زوجها ولي العهد .. ومن كبار رجال الدولة .. الذين صاروا يتسابقون إلى تقديم كل ما هو جميل وطريف .. إلى أهل زينب .. وجاءت ليلة الزواج فأضيئت المدينة بالأنوار وعمت معالم الفرحة والابتهاج كل حي من احياء المدينة .. وصار قصر ولي العهد يتلألأ بأنواع الأنوار حتى كأن الداخل إليه في وضع النهار ..

وعاشت عاصمة المملكة في تلك الليلة عيشة كلها فرح وابتهاج لم يسبق له نظير في تاريخها الطويل الحافل وعاش ولي العهد مع عروسه الفيلسوفة الصغيرة في سبات ونبات ورزقوا الكثير من البنين والبنات إلى أن جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ... وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت ..



سَبحـــونة :

٣- النباقات سبع بنيات

وجاءت ليلة أخرى وتجمع الصبية في مكانه المعتاد منتظرين جدتهم.. لتسبحن عليهم.. وكعادتها.. وجاءت الجدة بعد أن فرغت من صلاتها.. وجلست بين الصبية وقال لها أحدهم نريد يا جدتي أن تسبحني علينا سبحونة النباقات سبع بنيات.. فسوت العجوز نفسها واستندت على حائط كان خلف ظهرها ومدت رجليها بين الأطفال وتلك عادة عرفها الأطفال منها فصاروا يتركون مكاناً خالياً لرجلي جدتهم التي طالما شكت إليهم آلام المفاصل في قدميها وركبتيها. وبدأت الجدة في القصة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى النباقات سبع بنيات راحوا ينبقون أي يجنون لنبق من شجرة الصحراوي السدر.. فخرجن من البلد وصرن يمشين في الصحراء.. ويمشين.. ويمشين .. إلى أن وصلن إلى إحدى الشجرات فقلن لها :

يا شجيرة البر هو فيك نبيقة .. فقالت لهن:-

في أختي اللي وراي..

وصرن يمشين .. ويمشين .. ويمشين إلى أن وصلن إلى شجرة أخرى . فقلن لها:

يا شجيرة البر هل فيك نبيقة ؟! فقالت: في أختي اللي وراي ..

فصرن يمشين .. ويمشين ويمشين .. في قلب الصحراء إلى أن وصلن إلى شجرة ثالثة فقلن لها ..

يا شجيرة البر هل فيك نبيقة ؟! فقالت نعم .. وكانت الأشياء في الزمان الماضي كلها تتكلم الشجرة والحجر والطير والحيوانات ولذلك فلا غرابة في أن تتكلم السدرة وتجيب السائل بالنفي أو الإيجاب..

فوقف البنات السبع عند تلك السدرة - وطبعاً لا بد من أن تصعد إحدى البنات لتقطف النبق من أعلا السدره وترميه على زميلاتها .. ومن المعروف أن السدر كثير الشوك .. متشابك الأغصان فلا بد أن يكون الصاعد إليه نبيهاً شديد الحذر لتسلم ملابسه من التشقق .. وليسلم جسمه من الجروح وقد تكون الجروح سهلة بالنسبة إلى تشقق الملابس .. فتشقق الملابس يكلف ثمناً .. أما الجراح فتندمل مع الزمن .. وبلا ثمن .! ولذلك فإن كل واحدة تخشى على جسمها من الجروح وتخشى على ثيابها من التشقق .. أما جروح الجسم فقد تندمل



الوحش يقف تحت الشجرة التي تسلقتها الفتاة
والفتاة خائفة لا تدري كيف تنجو.؟!

بلا مشقة.. والصعوبة كل الصعوبة في تمزيق الملابس ولذلك فإن كل واحدة من البنات السبع تخشى على ملابسها وتريد أن يصعد غيرها . . وإن يتعرض لهذه الخسارة المادية سواها..

قالت رئيستهن :- اصعدي السدرة يا أم عبية فقالت اخاف تنشق عبيتي وتهاوشني أمي .. ومعنى تهاوشني أي تخاصمني وتعاتبي على المجازفة والتعرض لخطر تشقيق الملابس فقالت الرئيسة: أرقي يام سريويل قالت اخاف ينشق سريويلي وتهاوشني أمي..

قالت الرئيسة أرقي يا شييله .. وهي تصغيرة شيله لباس خفيف يغطي به الراس والوجه فقالت أخاف تنشق شييلتي وتهاوشني أمي .. كما يقولون في الامثال طق الفقير ولا تشق خلقه .

قالت الرئيسة أرقى يا أم ثويب قالت اخاف ينشق ثويبي وتهاوشني أمي .. قالت الرئيسة أرقي يا أم جويعد تصغير جاعد وهو لباس يصنع من جلود الأغنام ويكون كثير الصبر والتحمل للوخز والخشونة.

فصعدت أم جويعد .. وأخذت تبطبط .. وتبطبط .. وتبطبط أي تقذف عليهم من ثمرة السدرة وهي النبق .. ثم قالت لهن هل ملأتن قفافكن والقفاف جمع قفة وهي وعاء يصنع من خوص النخل يكون اسفله واسعاً وأعلاه ضيقاً بحيث يوضع عليه غطاء محكم فلا يتمكن ما دخل فيه أن يخرج منه إلا إذا كشف غطاؤه .. فقلن لها حتى الآن .. فأخذت تبطبط ..

وتبطبط .. وتبطبطبط .. ثم قالت هل ملأتن قفافكن فقلن لها نعم .. فقالت وهل ملأتن قفيتي فقلن لا فقالت املأنها ثم صارت تبطبط .. وتبطبط .. وتبطبط وقالت هل امتلأت قفتي فقلن لها نعم فانزلي فنزلت .

أخذت كل واحدة من البنات قفتها وحملتها على رأسها .. وتوجهن إلى قريتهن يمشين الهوينا ويتحدثن فيما بينهن .. بأحاديث مسلية يقطعن بها الطريق وعندما أشرفن على القرية.. قالت احداهن يا بنات تعالين لنرى أينا أكثر وأطيب .. فصادفت هذه الدعوة هوى في نفوسهن فقد اجهدهن التعب .. وفي هذه الجلسة يأخذن شيئاً من الراحة .. وفيها مفاخرة والبنات طبعن على حب المفاخرات فكون حلقة .. على إحدى كثبان الرمل وجلسن .. وافرغت كل واحدة منهن قفتها في حجرها .. ولم يرع البنات إلا صياح واحدة منهن .. فإنها عندما افرغت قفتها وجدت كل ما فيها حشرات ضارة من حياة وعقارب وخنافس وذباب وما إلى ذلك من أنواع الحشرات المؤذية .. وصارت تلك الحشرات تدب على جسمها .. منها الصاعد إلى فوق ومنها الهابط إلى أسفل فقامت الفتاة بطول جسمها وصرخت بأعلى صوتها وجعلت تحاول التخلص من تلك الحشرات الضارة وتنفض ثوبها وجسمها .. وتنتقل من مكان إلى مكان إلى أن تخلصت تماماً من هذه الحشرات..

ورجعت إلى قفتها .. انها فارغة لا شيء فيها .. فامتلأت نفسها حسرة .! كيف يرجع البنات إلى أهلهن وكل واحدة معها

قفة ملأى بالنبق .. وهي ترجع هكذا بدون شيء .. ان هذا أمر لا يمكن أن يكون فصممت على الرجوع إلى الصحراء .. إلى تلك الشجرة التي أخذت منها سابقاً وهي تعرف الطريق إليها.. وهو طريق طويل وشاق .. ولكن لا بد من الصبر .. وقالت لزميلاتها .. إنني لا يمكن أعود إلى أهلي بدون شيء فاما أن تعطيني كل واحدة قليلاً .. حتى يكون ما معي يماثل ما معكن واما أن ترجعن معي إلى الشجرة لأملأ قفتي .. فقلن لها بلسان واحدة لا هذه ولا تلك فلن نعطيك نبقاً ولن نرجع معك فإن كل واحدة منا ينتظرها أهلها بفارغ الصبر .. ويترقبون عودتها في كل لحظة .. ولهذا فلو تأخرت احدانا لا نشغل بال أهلها . ولظنوا بها شتى الظنون السيئة .

قالت هذه الفتاة التعسة الحظ :- إنني لا يمكن ان أعود إلى أهلي هكذا بدون شيء ولابد من العودة إلى الشجرة لملأ قفتي .. فقلن لها اذهبي وحدك .. فأخذت قفتها وتوجهت إلى الشجرة بينما توجه زميلاتها إلى القرية .. وهن فرحات مستبشرات .. وجلعت تمشي والهواجس تملأ خاطرها .. وكل حركة الصحراء تخيفها ..وكل صوت يرعبها .. واستمرت في المشى إلى الشجرة انها مصممة على الرجوع إلى الشجرة مهما كانت النتائج .. ومصممة على الرجوع إلى أهلها أما جثة هامدة.. أو بقفة ملأي بالنبق الذي هو الثمرة الوحيدة الموجودة في شجيرات تلك الصحراء .. ووصلت إلى الشجرة بعد جهد جهيد.. وتفكير مضن .. ومخاوف وهواجس لا حد لها ..

صعدت الشجرة وجعلت تجني من النبق أحسنه وأكبره حتى ملأت قفتها وعندما همت بالهبوط رأت جسماً عظيماً ومنظراً بشعاً مخيفاً قد أقبل إلى الشجرة يمشي مشياً متثاقلاً فقبعت بين الأغصان لعله لا يراها فيمضي في طريقه وتنزل هي فتمضي في طريقها .. وصار يتحرك متجهاً إلى الشجرة ببطء وقلب الفتاة يدق بسرعة .. وهي تشجع نفسها وتحاول أن تطرد الخوف والفزع الذي سيطر على نفسها وجسمها .. ولكنها لم تستطع . وجاء هذا الوحش المخيف يمشي رويداً رويداً إلى أن وقف عند جذع السدرة . ورفع رأسه قائلاً : من هاللي في السدرة وعلمت الفتاة أنه رآها . وأن سؤاله هـذا سؤال العـارف معرفـة اليقين بوجودهـا بأجابته قائلة أنا يا عمي..

وكلمة عمي هذه فيها لكثير من التملق والمداراة والتضوع فقال لها ذلك الوحش بطبطي علي فقالت مرحباً يا عمي وزال عنها بعض الخوف .. وقالت لعلها إذا اشبعته نبقاً أن يتركها وشأنها فتسير إلى أهلها سالمة من شرورة فائزة بما جمتعه من اطايب النبق وكبارة ...

وجعلت تبطبط على هذا الوحش وهو يلتهم كلما يقع في الأرض وتبطبط .! ثم تبطبط !! فقالت هل شبعت يا عمي فقال:- «بطن شبعان وبطن جوعان وبطن تطارد فيه الطليان» فعلمت أنه لم يشبع فصارت تبطبط .. وتبطبط .. وتبطبط فقالت هل شبعت يا عمي فأجابها بجواب مثل جوابه الأول

فصارت تبطبط .. وتبطبط .. وتبطبط فقالت هل شبعت يا عمي فقال نعم فانزلي..

فنزلت الفتاة من الشجرة وجسمها كله يرتعش وقلبها يخفق وهي لا تدري بماذا سيفاجئها به هذا الوحش العظيم الذي لم تر مثله في حياتها .. ولا تدري ماذا يسمى .. وعندما استقرت على الأرض نظرت إليه وكأن لسان حالها يقول: هل تأذن لي بالإنصراف إلى أهلي فنظر إليها الوحش بدوره قال لها اجمعي لي حطباً يا بنية .. فذهبت تجمع الحطب بينما هو أخذ يحفر حفرة عظيمة طلب منها أن تملأها حطباً .. ولم تدر الفتاة ماذا يراد بالحطب ولا ماذا يراد بالحفرة .. واستمرت في جمع الحطب إلى أن امتلأت الحفرة..

وعندئذ قرب الوحش من الحفرة وأشعل النار في الحطب وأيقنت الفتاة بالهلاك .. وعلمت أنها لا شك هي المقصودة بهذه النار العظيمة واشتد خوفها وارتعشت أطرافها .. ولكن اليأس يعطي النفوس قوة عظيمة قد لا يشعر بها المرء مادام في أمان وفكرت في حيلة تقضي بها على هذا الوحش قبل أن يقضي عليها .. وجلعت تفكر في شتى الحبل والطرق .. التي تنقذها من هذا الموت المحقق .. وفي لحظة من اللحظات عندما كان هذا الوحش يوقد النار .. ويجمع أعواد الحطب المتناثرة .. ويجعلها في وسط الحفرة .

في هذه اللحظة انتهزت الفتاة الفرصة .. وقالت اصبر يا عمي ان في راسك قملة أريد أن آخذها . . فأسلم العفريت

رأسه إلى الفتاة وجاءته من الخلف فدفعت جسمه الضخم في وسط الحفرة وبين ألسنة اللهب وتدحرح العفريت إلى وسط الحفرة وأحاطت به ألسنة اللهب من كل جانب وحاول الخروج فلم يستطع ...

وتعجبت الفتاة من هذه القوة الخارقة التي منحها الله إياها كيف استطاعت أن تقذف بهذا الجسم العظيم في وسط الجحيم إنها قوة اليأس قوة حب البقاء ...

وصار هذا الوحش يدعو الفتاة لأنقاذه ويغريها بأنه سوف يقدم لها مكافأة سخية إذا هي فعلت .. وجعل يقول لها: أخرجيني وأعطيك الذي تحت الحصاة البيضاء فتقول له لا فيعيد القول باغراء أكثر فيقول :- أخرجيني وأعطيك الذي تحت الحصاة الحمراء .. فتجيبه بلا .. فيعود ويقول مبالغاً في الإغراء أخرجيني وأعطيك الذي تحت الحصاة الخضراء فتجيبه بلا.. فيقول متعلقاً بأهداب الأمل الذي لا يفارق الأحياء ما دام فيهم نفس يتردد أخرجيني وأعطيك الذي تحت الحصاة السوداء فتجيبه بلا ..

عندئذ كانت النار قد احرقت جسمه وفارقت روحه البدن.. فتنفست الفتاة الصعداء .. وأحست بالأمان .. وصحب إحساسها بالأمان تخاذل عظيم في جسمها، فقد بذلت جهوداً جبارة من آثار الخوف .. ومن آثار الجهد الذي بذلته في جمع الحطب ومن آثار الجهد والمجازفة في القاء هذا الوحش في وسط الجحيم .. فجلست على الأرض ولسانها يلهج بالثناء على

الله وشكره على ما منحها من القوة وعلى ما يسر لها من الفرصة في القضاء على عدوها قبل أن يقضي عليها ..

بعد أن هدأ خفقان قلبها وارتاح جسمها قليلاً نهضت متجهة إلى حيث كان يشير العفريت وبحثت عن الحصيات الأربع فوجدتهن وكشفت الحصاة الحمراء فوجدت الذي تحتها كله ذهب ثم كشفت الحصاة البيضاء ... فوجدت الذي تحتها كله فضة .. وكشفت الحصاة الزرقاء فوجدت الذي تحتها كله فصوص من اللؤلؤ والمرجان .. والمجوهرات . وكشفت الحصاة السوداء .. فوجدت الذي تحتها زباد وأنواع من الطيب الزكي الرائحة .. وجاءت بقفتها وأفرغت ما فيها فوق التراب .. وفكرت قليلاً من أي هذه الكنوز تملأ قفتها..

وأخيراً فضلت ان تملأها ذهباً ولؤلؤاً ومرجاناً .. ثم أعادت كل حجر إلى ما كان عليه .. وتوجهت إلى القرية وهي تفكر في أهلها .. ماذا ظنوا في غيابها وماذا صنعوا .. وفكرت في والدتها .. إن والدتها رقيقة القلب كثيرة الحساسية تتأثر من أقل حادث فكيف سيكون وقع الخبر عليها ؟ ووصلت إلى القرية ليلاً وقرعت الباب ففتح لها والدها وعندما رآها ضمها إلى صدره واجهش بالبكاء من شدة الفرح وقال اين انت يا بنيتي.. لقد ازعجنا غيابك ولم نترك مكاناً لم نبحث عنك فيه فلم.. نجدك...

اذهبي يا بنيّة إلى والدتك فإنها لا تحملها قدماها من شدة الفزع فذهبت الفتاة إلى والدتها وأكبت على راسها تقبله .. ثم

جلست إلى جانبها وجاء الوالد فانضم إليهن وقصت عليهما قصتها من أولها إلى آخرها فحمدوا الله الذي انجاها من هذا الخطر الداهم وجاءت الفتاة بالقفة .. فنثرت ما فيها من الذهب والجواهر فاندهش الوالد واندهشت الوالدة وكادا إن يصعقا من شدة الفرح ..

أخذوا يعدون تلك الجنيهات الذهبية .. ويجعلون كل كمية محدودة منها في كيس .. وبدأ الوالد أول ما بدأ بشراء قصر جديد وكبير .. وأثثه أحسن أثاث ثم انتقلت الأسرة إليه .. ثم اشترى بستاناً في إحدى ضواحي البلد فيه من كل شجرة .. واشترى عربة وحصاناً ينقل الأسرة من القصر إلى البستان ومن البستان إلى القصر .. وعاشت الأسرة في رغد من العيش لا عهد لها به وجاء الراوي من عندهم لم يعطوه مما لديهم جنيهاً ولا جوهرة وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت ...



سَبحـــونة :

٤- البعروص والقملة

وجاء الليل والتف الصبية حول جدتهم وقال لها أصغرهم سبحني علينا يا جدتي سبحونة البعروص والقملة فقالت لهم حباً وكرامة واعتدلت في جلستها قالت :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى البعروص والقملة رقوا راس الرملة لقوا حبيبة بمبم .. طبخوها في الصفرية ..وجاءت القملة لتذوق الطعام هل به ملح أم لا .. فضربها البعروص بالمعصاد فصارت تصيح وتقول :- يا أهل القارة تخرموا بقرارة واركبوا حميرتكم النكارة تنكر على البسباسة فقالوا وراك يا البسباسة .

قالت أنا البسباسه والغنم تأكلني ..

قالوا وشبلاك يالغنم قالت:-

أنا الغنم السكين تذبحني ..



البعروص يهوي بالمعصاد على رأس القملة
دفاعاً عن القدر وما في القدر من الطعام

قالوا وشبلاك يالسكين ؟!

قالت أنا السكين والنا ر تحميني

قالوا وشبلاك يالنار.؟!

قالت أنا النار والمطر يطفيني

قالوا وشبلاك يالمطر

قال أنا المطر وأنبت العشب

قالوا وشبلاك يالعشب.!.

قال أنا العشب والخيل ترعاني

قالوا وشبلاك يالخيل.؟!

قالت أنا الخيل والصبي يركبني

قالوا وشبلاك يالصبي.؟!

قال أنا الصبي والموت يأخذني

قالوا وشبلاك يالموت

قال أنا الموت وأخمك وأَلِمّكْ وأضربك في حضن أمك.

حاشية: هذه الأقصوصة لها مغزى وهي أن أمور هذا الكون مبني بعضها على بعض ومترابطة الحلقات بحيث ينشأ هذا عن هذا ويترتب على هذه تلك .. ولا محيص من ربط الأسباب بالمسببات . والمغزي الثاني ان كل شيء نهياته الموت .. وتلك نهاية حتمية لا مفر منها .. ولا مطير عنها.

والمغزي الثالث أن الموت لغز تقف عنده جميع المحاولات فلا مجال للنقاش والجدل .. ولا مكان للفلسفة والمماحكات .. بل لا بد من تقبل هذا الواقع على علاته .. والوقوف عنده موقف العاجز الذي لا يستطيع تقديماً ولا تأخيراً ولا أخذاً ولا عطاء..

المغزي الرابع أ ما في هذا الكون يأكل بعضه بعضاً .. ويكون البقاء فيه للأقوى .. والأصلح أما الضعيف فإنه مأكول وذاهب في زحمة هذه الحياة .. وقد يجد الضعيف ما هو أضعف منه فيتسلط عليه ..

وهكذا كل قوي في هذا الكون فيه ما هو أقوى منه وكل ضعيف ففي الكون ما هو أضعف منه .. إنها سلسلة من القوى تتدرج صعوداً وهبوطاً لا مفر منه .. ولا فكاك من نتائجه التي تكون سارة بالنسبة القوى وضارة بالنسبة الضعيف .. كما قال الشاعر العربي .

وسخط الضباء بما نالها تولد منه رضى الحابل !!

وحملت وكملت وفي اصيبع الصغير دملت.!!



سَــالفة :

٥- سارق نعامة السلطان

وخيم الظلام وأوى الأطفال إلى منزلهم وأحاطوا بجدتهم وقال لها أكبرهم سبحني علينا سالفة سارق نعامة السلطان فقالت الجدة حباً وكرامة .. هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال اسمه محمد لم يكن له من الأولاد إلا ولد واحد اسمه سعد وكانت آمال الوالد كلها مركزة في سعد فهو ولده الوحيد .. فاهتم بتعليمه وتربيته تربية صالحة وصانه عن قرناء السوء ..

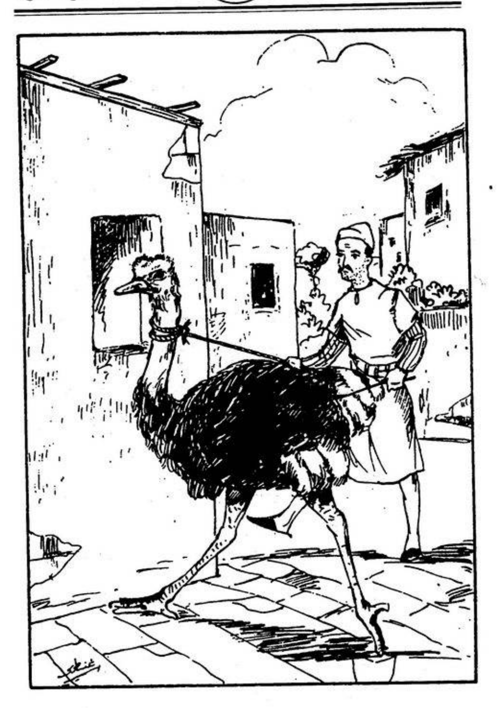
شب سعد وبلغ مبلغ الرجال .. وكان والده قد وفر له جميع وسائل العيش الكريم من ثروة واسعة ومركز اجتماعي مرموق .. وثقافة لا بأس بها وكان راضي النفس مطمئن البال إلى أن ولده سوف يجي ذكره بعد موته .. وسيكون عميد الأسرة يحوطها بالحماية والرعاية .. يرحم صغيرة ويوقر كبيرها ويجبر كسيرها ويقوم معوجها ..

هكذا كان يعلق عليه آمالاً كباراً .!! وكان في كل مناسبة يزود ولده بالنصائح والتعليمات التي تلزمه في مستقبل حياته والتي هي نتائج تجارب الوالد في حياته الطويلة .. وأحس الوالد بدنو أجله لأنه بلغ من العمر عتيا .. فدعا ولده سعد وأجلسه أمامه وقال : - يا بني لقد سعيت جهدي في تربيتك جسمياً وعقلياً .. ووفرت لك جميع وسائل العيش الكريم المريح..وجمعت لك ثروة كبيرة كافية ان أنت أحسنت القيام عليها .. ونميتها وأكلت من مكاسبها وأطرافها..

والآن .. وأنا أحس بأني راحل عن دار الفناء إلى دار البقاء فإني أريد أن امحضك ثلاث نصائح من تجاربي التي دفعت في سبيل الحصول عليها كثيراً من الوقت والمشقة .. وأريد أن اجنبك يا بني الوان الشقاء الذي لقته من جراء هذه التجارب فاحفظ يا بني وصيتي واصغ إلى كل كلمة فيها فإنها نتيجة تجربة قاسية .. فهز الابن رأسه علامه الاصغاء والقبول لكل ما يقوله الأب ..

وبدأ الأب في القاء وصاياه الأخيرة لأبنه الوحيد فقال: - يا بني لا تصحب السلطان وعش بعيداً عنه، فإن السلطان كالجبل أن وقع عليك حطمك وأن وقعت عليه حطمك هذه هي وصيتي الأولى أما الثانية فهي:-

أن لا تامن النساء على سر فإن المرأة لا تؤتمن على سر حتى ولو كانت من أقرب الناس إليك .. فهي قد تفشي السر وتضرك من حيث لا تريد ضررك .. وقد يكون افشاء بعض



سعد يسوق نعامة السطان في إحدى السكك
المنزوية في طريقه إلى إخفائها

اسرارك خطراً على حياتك .. فتفشيه وتؤذي بحياتك مع انها من اشفق الناس على حياتك ولكن الشفقة شيء والحفاظ على الأسرار شيء آخر لا تقوى عليه المرأة حتى ولو كانت والدتك أو من أقرب الناس إليك..

أما وصيتي الثالثة فهي أن لا تتزوج إلا من العوائل الكريمة ذات الأصل الشريف .. وإياك أن تتزوج من طبقة واطية : فانهم يخونونك أحوج ما تكون إليهم ..ويقصرون في حقك في المواقف الحرجة.

فاحفظ يا بني وصاياي هذه وأسأل الله لك حياة سعيدة كريمة لا يشوبها شيء من الكوارث ولا الأحداث المشينة ..

فوعد الابن إياه بأن يتبع وصاياه ولم تمض فترة طويلة حتى فارق الوالد الشفيق هذه الحياة . وترك لأبنه تدبير شؤونه وتدبير شئون المنزل وزعامة الأسرة ..

وكان الأبن في رغد من العيش .. وبحبوحة من الرزق لا تتوفر إلا القلائل من مواطنيه .. وجعل يفكر في وصايا والده فتارة يؤمن بأنها هي عين الحقيقة .. وتارة يشك في صوابها .. ويرى أن مخاوف الجيل الماضي.. قد لا تكون مخيفة لجيل جديد..

ثم من ناحية ثانية فإنه لا يقنع بتجارب والده وليس لجيل جديد ان يقنع بتجارب جيل قديم ..ولو فعلت الأجيال ذلك لتوقف تطور الحياة .. وانعدم فيها التطوير والتجديد .. والأمل والعمل والتجارب .. ولذلك فقد راودته نفسه بأن يعمل

بعكس ما أوصاه به والده تماماً .. ليرى نتائج تجاربه بنفسه.. ولكنه تخوف بادىء الأمر .. وجعل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.. في مخالفة تلك الوصايا ..

إلا أنه أخيراً صمم على أن يعمل بعكس وصايا والده ولتكن النتائج ما تكون .. فخدم السلطان وتزوج امرأة من عائلة ليست بذات أصل معروف .. أما الوصية الثالثة فمخالفتها تأتي تبعاً للأحداث التي ستجر إليها الحوادث ..!!

وجعل يترقب نتائج هاتين المخالفتين .. وطال انتظاره وأخذ الشك يدب إلى نفسه في جدوى تلك النصائح ..

إنها قد تكون نتائجها صحيحة بالنسبة إلى تجارب شخص.. ولكنها قد لا تكون صحيحة بالنسبة إلى تجارب شخص آخر.. ثم أن الظروف والأوضاع تختلف من جيل إلى جيل ..وعلى هذا فإن النتائج السيئة التي توقعها الوالد من جراء سلوك هذا الطريق قد لا تقع .. واستمر الولد في خدمة السلطان ..

كان عند السلطان نعامة ليس في البلد سواها وهي مزار الناس .. ومكانها هو مكان اجتماعاتهم لمنظرها العجيب وشكلها الغريب وأكلها بعض الأجسام الصلبة .. ثم هضم تلك الأجسام وتحويلها إلى ذرق يشبه الماء . وكان الملك يحافظ على هذه النعامة ويحوطها بحراسة شديدة خوفاً عليها .. لأنها أعجب ما في مملكته ولأن ذكرها سار في البلاد شرقاً وغرباً .. وصنعت له دعاية عظيمة ..

وقرر سعد ان يسر هذه النعامة التي تعادل عند السلطان

أحد أولاده .. وترقب الفرصة .. وتحين الغفلة .. ثم أخذ نعامة السلطان فأخفاها في مكان حصين .. ووكل بها من يعتني بها ويطعمها .. ويهتم بصحتها .. وعمد إلى عجل فذبحه .. وأكله هو وبعض أصحابه وأذابوا شحمه ووضعوه في أناء ..وجاء به إلى أمه مع قطعة من لحم العجل ..

سألته والدته عن الشحم واللحم ما هو وأين مصدره فتوقف قليلاً ولم يبح لها بشيء .. فألحت عليه .. فقال إنني أخشى أن أفضي إليك بواقع الأمر فيذع السر .. وتنكشف الحقيقة وفي انكشافها الموت المحقق لي ولأصحابي .. فقالت يا بني ألا تثق بي .؟! ألا تأمنني .؟! ألا تعتمد عليّ .؟! هل أنا طفلة.؟! هل أنا مشكوك في حبي لك ومراعاتي لمصالحك.؟!

وعندما أخذ منها الوعود الوثيقة في عدم افشاء السر قال لها:- إن هذا الشحم وهذه اللحمة من نعامة السلطان فقد اتفقت أنا وبعض اصحابي على سرقتها والتمتع بأكل لحمها .. وقد طلبت من أصحابي أن يعطوني هذا الشحم واللحمة حتى لا نحرمك مما نتمتع به .. فقالت ثق يا بني ان هذا السر لن يعرفه أحد .. وسيبقي مقبوراً في نفسي حتى ألاقي ربي .. فاطمأن الإبن إلى هذه الوعود وانصرف لشأنه .. وكأنه شيئاً لم يكن ..

أما السلطان فعندما علم بسرقة النعامة عظم عليه هذا الأمر .. ورأى ان هذه إهانة تمسه شخصياً وهي من ناحية ثانية تتعلق بالأمن العام الذي يجب ان يستتب .. ويجب أن

يعيش الناس في ظله .. وهم آمنون على أرواحهم وعلى ممتلكاتهم .. وعلى محارمهم .

اهتم الملك بسرقة النعامة ودعا حراس الأمن وقال لهم كيف يحدث مثل هذا.؟! وأين أنتم ..؟ وإذا كان هناك لصوص يجرأون على سرقة ممتلكاتي الخاصة فكيف حال ممتلكات الرعية التي ليست عليها حراسة كالحراسة الموجودة على ممتلكاتي .. وليست لأهلها الهيبة الموجودة لي .. وقال لهم في جملة ما قال:-

إنني أحملكم مسؤولية هذه السرقة وسوف اجعلها مقياساً للأمن في بلادي ورعيتي .. فإذا لم تستطيعوا ان تهتدوا إلى اللصوص فإنني سوف آخذ هذه الحادثة دليلاً على عجز كم عن تحمل المسئولية العظمى في الحفاظ على أمن الدولة وأمن البلاد..

وأعطاهم السلطان أياماً معدودة للعثور على اللصوص .. وفزع قادة الأمن من هذا التهديد وخافوا عواقبه الوخيمة بالنسبة لمراكزهم فبعثوا العيون والارصادفي جميع أنحاء المدينة .. وصارت التحريات تجري على قدم وساق في الليل والنهار .. ومضت عدة أيام .. وهم لا يستطيعون أن يقفوا على أثر لهذه الجريمة النكراء .. واشتد فزع قادة الأمن .. ان هذا الأمر مربوط به مصيرهم .. فأما ان يجدوا الجناة أو يفقدوا مراكزهم..

بذلوا في البحث غاية جهدهم وتفننوا في البحث والتحري.. وصنعوا المعجزات إلى حد ان اقلقوا راحة كثير من الآمنين

الوادعين الذين لا ناقة لهم في هذا الحادث ولا جمل .. وأخيراً وبعد أن أعيتهم الحيل بحسب أساليبهم العتيقة .. اقترح احدهم التلطف في الوصول إلى نتيجة وذلك بأن يؤتي بعجوز دلالة تبيع لوازم النساء الدقيقة وتدخل في كل بيت فيكلون إليها التحري.. عن النعامة .. مع وعدها بمكافأة سخية تغريها ببذل جميع ما لديها من حيل والأعيب بغية الوصول إلى نتيجة .. فوافق قادة الأمن على ذلك..

جيء بالعجوز وكلفوها بالمهمة ووعدوها بالمكافأة ورسموا لها طريق البحث واعطيت لها الحرية الكافية في أن تعمل أي عمل تراه يؤدي إلى نتائج إيجابية في هذا الشأن ..

فوعدتهم العجوز خيراً .. وخرجت من عندهم خفية حتى لا يراها أحد .. وذهبت إلى بيتها وأخذت زنبيلها على رأسها.. وصارت تدخل البيوت بيتاً بيتاً .. وتبذل كل ذكائها وتلطفها في البحث .. إلى أن كادت أن تيأس من الوصول إلى نتيجة .. وطالت غيبة العجوز عن رجال الأمن إلى أن كادوا ييأسوا من جدوى بحث العجوز ..

هذا وكان السلطان في فترة البحث كأنه على نار .. وكان دائم السؤال عن النتائج .. ولكن لا نتائج .. وكلما مر وقت بدون فائدة ازداد هيجان السلطان ووعديه وتهديده ..وأخيراً وصلت العجوز إلى بيت سعد ووالدة سعد .. وعرضت العجوز بعض ما معها من حاجات النساء فاشترت أم سعد ما ارادت منها ..ثم قالت لها العجوز :-

يا أختي العزيزة ان لي حاجة خاصة أرجو أن يكون قضاؤها على يديك قالت وما هي .. فقالت العجوز ان لدي ابنة مريضة بمرض عضال .. وكنت طيلة المدة الماضية أعالجها ببعض الأدوية المؤقتة .. ولكن المرض اشتد بها .. وعرضتها أخيراً على طبيب مختص .. فقال أن دواءها هو دهن النعام ..فأحب إذا كان لديك شيء منه أن تعطيني منه قليلاً .. فيكون لك ثواب عظيم عند الله بانقاذ شابة في مقتبل العمر من مرض عضال يهدد حياتها بالزوال وان عاشت فستعيش في جحيم لا يطاق ..

واصلت العجوز الحديث عن المريضة .. فقالت إنني يا أختي العزيزة في حالة من القلق والتعب لا حد لها وأنا أخرج من بيتي ولا أدري هل أرجع وهذه الشابة على قيد الحياة أم أجدها جثة هامدة .. وبكت العجوز وأرسلت الدموع مدراراً.. فتأثرت أم سعد .. وأخذتها نوبة من الرحمة والشفة على هذه العجوز وعلى بنت هذه العجوز ..!!

كادت ان تبوح لها بالسر .. ثم تذكرت الوعود والعهود التي اعطتها لأبنها سعد في أن تخفي هذا الأمر ولا تبوح به لمخلوق .. وترددت أم سعد .. تردد من يملك هذا الشيء ولكنه يمنعه من بذله مانع .. ولاحظت العجوز هذا التردد وقرأت ما خلف السطور ..

تأكدت أن مفتاح سر القضية عند أم سعد .. فزادت في البكاء والنحيب وقالت لأم سعد أنك يجب أن تثقي بي .. وأن تعرفي أن سرك سري .. وأنني لا يمكن أن أسيء إلى من

أحسن إلي .. وأنقذ إبنتي من الهلاك إنني أعوذ بالله أن أسبب لك شراً أو لأحد من صديقاتي وصويحباتي .. وصارت العجوز تبذل التأكيد تلو التأكيد في محافظتها على السر ومراعاتها لمصلحة من يحسن إليها..

أخيراً تأثرت أم سعد ووثقت بالعجوز وأخذتها نوبة من الشفقة والعطف على هذا العجوز وابنتها أنستها وعودها لأبنها فقالت ان ابني جاءني بقليل من هذا الدهن .. وقد طلب مني أن لا أذيع سره .. وأنت طبعاً سوف تصونين هذا السر ولا تخبرين به أحداً فأكدت العجوز لأم سعد بأنه ليس من المعقول أن تسيء إلى من أحسن إليها .. وأن سر أم سعد سوف لا يعرفه أحد مهما كانت الظروف فقامت أم سعد وجاءت لها بقليل من هذا السمن فأعطها إياه مع التأكيد عليها بكتمان الأمر كتماناً كاملاً .. فوعدتها العجوز بذلك وخرجت من بيت أم سعد وهي تلهج بالدعاء لها في أن يحفظ الله لها صحتها .. ويحفظ لها ولدها ووحيدها سعد ...

وبمجرد أن اختفت عن أم سعد تغيرت أفكرها وابتسمت في خبث .. وأسرعت الخطا إلى قادة الأمن وهي تكاد تطير فرحاً واستبشاراً فقد حققت معجزة عجزت عن تحقيقها كل قوى الأمن مجتمعة .. واهتدت بلطف حيلتها .. إلى ما لم تهتد إليه القوى والسعى الحثيث وسهر الليل وكدح النهار.. ووصلت إلى قائدة قوى الأمن وزفت إليه الخبر فكادت أن لا تسعه (بدلته) من الفرحة ..

قفز من مكانه وقبل رأس العجوز .. ثم نقدها ما كان متفقاً عليه مطمئناً إلى أنها لا يمكن أن تأتيه بخبر كاذب .. ووعدها بمضاعفة المكافأة عندما تعود الأمور إلى مجاريها .. وبهدأ السلطان من آثار الصدمة التي ازعجته بسرقة نعامته فذهبت العجوز في حال سبيلها ..

اجتمع قادة الأمن وتشاوروا هل يخبرون السلطان قبل القبض على السارق .. أم يقبضون على السارق ثم يخبرون السلطان واستقر رأيهم أخيراً أن يخبروا السلطان لأن الرجل لا خوف من هربه أو اختفائه .. ولأنه ثانية من حاشية السلطان الذي ليس من اللياقة أن يتخذ ضد أحد منهم أي إجراء قبل أخذ رأيه. وذهب القادة إلى السلطان وعندما استأذنوا عليه علم أن في الأمر شيئاً فأذن لهم..

زفوا إلى عظمته نتائج البحث وآخر ما اهتدوا إليه .. وقالوا ان التهمة متجهة الآن إلى خادمه سعد وطلبوا من عظمته أن يأذن لهم في القبض على سعد فتعجب السلطان واستغرب أن يصدر مثل هذا الأمر عن رجل مثل سعد عرف بحسن السلوك وطيب العنصر .. واستقامة الخلق .. وتردد في الأمر بالقبض عليه .. ولكن قادة الأمن الحوا عليه في الإذن .. لأنه هو المتهم الوحيد .. وإذا أفلت سعد من قبضتهم فإنه لا يبقى في أيدهم أي خيط يتعلقون به ..

وازدادوا في الإلحاح .. وقالوا أنه إذا كان بريئاً فلن يلحقه أي ضرر أو أذى من جراء إجرائهم..

وفي استطاعة مولانا السلطان أن يرد إليه اعتباره ببعض الهبات التي تزيل آثار اتهامه وحبسه أما إذا كان مجرماً وسارقاً فإن عظمة السلطان لا يمكن أن تأخذن به رأفة .. وقربه من السلطان لا يشفع له .. بل قربه يضاعف من بشاعة الجريمة ويؤكد تشديد العقوبة ..

فأجابهم السلطان إلى طلبهم وهو يشك كل الشك في جدوى هذا الإجراء .. ولكنه اراد أن يظهر لهم خيبة مساعيهم.. وطلب منهم أن يكونوا مهذبين في القبض عليه وفي التحقيق معه ...

فخرج قادة الأمن شبه منتصرين .. وألقوا القبض على سعد وبدأوا التحقيق معه فكان صريحاً معهم فأخبرهم من أول وهله بأنه هو الذي سرق نعامة السلطان .. فسألوه عمن شاركه في هذا العمل فأجاب بأنه هو الفاعل الوحيد .. وسألوه عن الدوافع ..والأسباب. فقال: إنها نزوة من نزوات الشباب لا أكثر ولا أقل .. وسألوه عن مصير النعامة فقال أنه ذبحها وأكل لحمها وأعطى بعض ذلك لوالدته العجوز .

سر قادة الأمن بهذه الاعترفات الواضحة والصريحة بأن سعداً هو الفاعل وأمروه أن يكتب هذه الاعترافات بخط يده وختمها بتوقيعه .. واطمأن قادة الأمن لهذه النتائج .. وذهبوا بها إلى السلطان فرحين مستبشرين ..

عندما علم السلطان بتلك النتائج غضب غضباً شديداً على سعد فقد كان يدافع عنه على أنه بريء .. أما الآن وبعد ان

ثبت عليه ثبوتاً قاطعاً بأنه هو الفاعل فلا مناص من الحكم عليه.! حكماً قاسياً وصارماً ليكون رادعاً له ولأمثاله عن هذه الجرأة في انتهاك حرمة السلطان وممتلكاته الخاصة التي يعتز بها.. ويرى فيها رمزاً لتفرده وسلطانه .. ثم إن مما يزيد من بشاعة هذه الجريمة أنها من شخص كان موضع الثقة والآمانة فليكن العقاب قاسياً.. فاصدر السلطان حكمه على سعد بأن يسجن مدى الحياة .. أو يفدي نفسه بدفع مائة من الأبل أو ما يعاجل قيمتها إلى خزينة الدولة ..

فخرج قادة الأمن من حضرة السلطان .. وبلغوا سعداً بهذا الحكم فتلقاه بالرضا والتسليم .. وبقي في السجن فترة من الزمن .. إلى ظن أن السطلان قد هدأ غضبه .. وزال بعض ما في نفسه فطلب مقابلة قائد الأمن فجاء إليه .!! وهو يظن أنه سوف يشكو شيئاً من المضايقات . أو يطلب شيئاً مما يلزمه في حبسه وقال سعد لقائد الأمن أنني أريد مقابلة عظمة السلطان فقال له القائد لماذا.؟!

فقال سعد لأمر أريده بيني وبين عظمته . . فقام القائد وخرج دون أن يرد عليه كلمة واحدة .. ولكنه اهتم بهذا الطلب وذهب حالاً إلى عظمة السلطان .. وأخبره بطلب سعد مقابلته .. فعادت إلى السلطان بوادر الغضب وتذكر جرأة سعد.. وسرقته للنعامة الخاصة بعظمته ...

وقال عظمة السلطان لقائده ماذا يريد سعد فقال القائد إنه لم يفض إلي بأي شيء.. بل قال أنه يريد مقابلتك لأمر يريده

بين عظمتكم وبينه .. فقال السلطان أتوا به الساعة ..

ذهب القائد إلى سعد وأمر بفك أغلال الحديد من رقبته ويديه ورجليه ..ثم قاده إلى عظمة السلطان ..وعندما ادخل سعد على عظمة السلطان وجده بخلاف ما كان يؤمل .. لقد رأى بوادر الغضب في عينيه وفي قسمات وجهه ..

سلم سعد على السلطان سلام الخائف الذليل .. فرد عليه السلطان رداً جافاً ونهره .. وقال له لقد قربناك وائمناك وكانت نتيجة ذلك ان غدرت بنا وخنتنا .. فكيف يكون لك وجه لتطلب مقابلتي ..

فتلطف سعد بالكلام وقال يا عظمة السلطان ان كل ما يقوله عظمتكم صحيح وإنني استحق من العقوبة أكثر مما حكم به علي .. ولولا عدل عظمتكم .. وشفقتكم على رعيتكم لكن عقابي اعظم مما أنا فيه بكثير ولكن قلبكم الكبير كان اعظم من ذنبي فحكمتم علي بعقوبة هي بعض ما استحق .. لا كل ما استحق .. وليس هذا غريباً من تصرفات عظمتكم فقد عرفتم وعرفت أسرتكم العريقة بالكرم والتسامح عن الهفوات .. وتحري العدل .. واطراح الهوى .. والحرص الشديد على أن تعيش رعيتكم في ظل العدل والأمن .. عيشة لا يكدرها مكدر..؟! ولا يعكر صفوها معكر..

استمر سعد يضرب على هذا الوتر الحساس وكانت كل كلمة من كلماته تحل عقدة من عقد غضبة عظمة السلطان .. وكل لون من الوان التعبير الذي يقوله سعدتدني سعداً من قلب

عظمته.. وتجعله يلتمس الاعذار لهذه الهفوة كخطوة أولى في سبيل العفو عنها ..

وقال سعد في جملة ما قال لعظمة السلطان :-

يا صاحب الجلالة لقد قربتم مكاني وائتمنتموني على كثير من الأمور وما كان ينبغي أن أقابل كرم عظمتكم بالكفران .. ولا أن أنتهك حرمة من رفع من قدري .. وأدني من مكانتي.. وجعلني في المرتبة التي يغبطني عليها الكثيرون من أبناء وطني ..

ولكنها نزوات الشباب ثم الاعتماد على ما طبعتم عليه عظمتكم من العفو والكرم والتسامح .. ولا سيما بالنسبة إلى الهفوات الطارئه .. التي لم تصدر عن نفس طبعت على التخريب ولا من إنسان جبل على الشر والإجرام.

والذي ارجوه من كرم عظمتكم هو أن تقبلوا من خادمكم أن يفدي نفسه وأن يطلق سراحة بالكفالة حتى تتاح له الفرصة للتكفير عن فعلته النكراء ..

فنظر إليه السلطان نظرة هادئة استشف منها الموافقة وأومأ السلطان برأسه وقال كلمة مقتضبة علم سعد منها الموافقة على طلبه .. ولم يطل السلطان في الكلام .. ولم يتعرض لتلك الفعلة التي اعترف صاحبها على نفسه وأقر بذنبه .. وكأنه بهذا يشير من طرف خفي أو يقتدي بأمير المؤمنين عثمان بن عفان عندما صعد المبر في أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة فأراد القول فلم يفتح الله عليه بشيء .. فنزل من فوق المنبر وهو

يقول:-

إنكم لأمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال .. فكانت كلمة قصيرة أبلغ من خطبة طويلة ..

ودعى عظمة السلطان قائدة الأمن وأمره بإطلاق سراح سعد بالكفالة وأن تجعل له مدة محدودة يدفع فيها غرامة الفداء.. وهي مائة جمل أو ما يعادلها من ذهب أو فضة أو ماشية ..

وخرج قائد الأمن ومعه سعد .. وجاء الكفيل فأطلق سراح سعد .. وذهب إلى قومه وبني أبيه ومن تربطه بهم رابطة القرابة .. وكانوا يعلمون مقدار الغرامة التي فرضها عليه السلطان .. فكان منهم من يعطيه خمساً من الإبل ومنهم من يعطيه أربعاً.. فكان منهم يعطيه ثلاثاً ..ومنهم من يعطيه خروفاً .. ومنهم من يعطيه نعجة .. ومنهم من يعطيه عنزاً ومنهم من يعطيه تيساً كل بحسب قدرته .. وعندما انتهى من بني عمه وأفراد أسرته .. وقرابته الأدنون ..

ذهب سعد إلى ارحامه .. إلى الأسرة التي تزوج فتاة من فتياتها .. فتقاعسوا أول الأمر مع أنهم يعلمون مدى خطورة الأمر ويعلمون بالمغرم الفادح الذي فرض على سعد .. ومع ذلك فقد صار بعضهم يستشير بعضاً هل يعطونه ويعينونه على دفع هذه الغرامة .. أم يتركون رفدة .. فهم ليسوا من أسرته.. ولا من قبيلته ولا يربطه بهم أو يربطهم به .. إلا فتاة منهم لا أهمية لها .. ولا خطر لها ..

حتى أن بعضهم قال لنفرض أن هذه الفتاة التي تزوجها سعد ماتت فما الذي يربطنا بسعد بعد هذا .. لا شيء أبداً.. وكاد القوم أن يتفقوا على عدم تقديم أي عون .. ولكن رجلاً كان هو أعقل من فيهم قال لهم أنه لا ينبغي أن يرجع سعد بدون شيء ..وإذا كان هذا هو رأيكم فلا أقل من أن يعطيه كل واحد منكم تيساً أو عناقاً .. إنها تسمى عوناً ومساعدة لسعد في ظروفه القاسية .. أما أن يعود منكم بلا شيء فهذا أمر لا يليق .. لأنه سوف يجلب عليكم السبة والمذمة والعار أبد الدهر .. واتفق القوم على هذا الرأي .. وقدم المقتدرون منهم تيوساً ومعزاً .. قليلة .. وهزيلة .. لا تكاد تحملها أظلافها من شدة الضعف والاعياء..

فأخذها سعد .. ولم يقل شيئاً بل كتم ذلك في نفسه واقتنع بصحة وصية والده في الأولى وهي عدم ائتمان النساء على الأسرار فقد أفشت أمه وأقرب الناس إليه .. أفشت سره.. وهذه هي الثانية التي تزوج فيها من فتاة ليست ذات اصل ولا فصل .. فكان نتيجة ذلك هذا الخذلان والتخلي عنه وعن عونه ونصرته أشد ما يكون حاجة إلى ذلك ..

أما الثالثة فهي قرب السلطان وقد رأى نتائج مقاربة السلطان كيف كادت أن تودي بحياته .. لولا تلطفه في الكلام.. وأسلوبه الساحر في اطفاء نار الغيض والغضب .. من قلب عظمه السلطان .. وجمع سعد ما حصل عليه وأحصاه فإذا هو اقل من المطلوب واحتار كيف يصنع .. كيف

يحصل على البقية الباقية من هذه الغرامة الفادحة ؟! واستشار أحد العقلاء العارفين من بني قومه .. وقال له :

ما هي الحيلة في اتمام هذه الغرامة .. إني لا يمكن أن أذهب بها إلى السلطان وهي ناقصة .. كما أن مدة المهلة قاربت على النهاية .. ولم يبق إلا أن أقصد رجلاً موسراً كريماً.. فأخبره بحالي وأطلب منه اكمال ما نقص من تلك الغرامة . فدله الرجل على شخص عرف بالجود والكرم .. والشهامة والنخوة .. كما أنه صديق حميم لوالد سعد فشد سعد الرحال إليه .. ولم يتمهل .. فإن الوقت ليس فيه مجال لتمهل .. وسافر مسرعاً قاصداً ذلك الرجل الكريم وبمجرد أن أناخ راحلته في فنائه رحبه به وتهلل وجهه فرحاً .. فعرفه بنفسه.. فعرفه .. وعرف والده وترحم عليه .. وقال هذا الرجل أنها تربطني بوالدك - عليه رحمة الله - كثير من الروابط الأخوية والتجارية ! كما أنه كان من أخص أصدقائي ومعارفي..

وافضى إليه سعد بحاجته .. وشرح له قضيته من أولها إلى آخرها فتهلل وجه الرجل .. وقال لسعد :

إنك لو قصدتني من أول الأمر لدفعت إليك جميع الغرامه.. ولم أحوجك إلى جمع أشتات من المواشي قد يكون فيها ما لا يقوى على حمل نفسه .. وأكرم الرجل سعداً ثلاثة أيام لم يسمح له بالسفر فيها ثم زوده بزاد للطريق .. وأعطاه بقية الغرامة برعاتها وحراسها وترحم على والد سعد فقد كان يراه

صديقاً حميماً وفيلسوفاً كبيراً .. ومجرباً خبيراً.. ومن صدق حدسه . ودقة أفكاره .. هذه الحادثة التي وقعت لولده سعد.. فقد نهاه عن ثلاث خصال ارتكبها كلها فكانت نتائجها وبالاً عليه .. ووضعته في موضع حرج كاد أن يقضي على حياته.. لولا لطف الله ورعايته ثم حسن أسلوب سعد في التنصل من الذنوب وسل سخائم الصدور بمعسول الكلام المحبوب..

ورجع سعد إلى أهله وعشيرته .. وأخذ ما جمعه منهم وضمه إلى ما جاد به الرجل الكريم الذي كان صديقاً حميماً لوالده .. وساق الجميع متوجهاً إلى العاصمة حيث يقيم الملك.. ووصل المدينة سالماً بجميع ما معه من الإبل والغنم .. وطلب مقابلة السلطان .. لتقديم الغرامة إليه ولتقديم فروض الطاعة والولاء لسلطانه الذي أتاح له الفرصة في فداء نفسه ..

ضرب لسعد موعد لمقابلة السلطان .. وفي الموعد المحدد ذهب سعد وسلم على عظمته .. وقال له لقد أحضرت يا عظمة السلطان كل ما طلب مني .. إنني أقدمه وأنا أشعر شعوراً عميقاً بالخطيئة .. ولكن لي بعد قبض المال كلمة أريد أن أسر بها إلى عظمة السلطان .. فأسر السلطان وزير ماليته بقبض الفداء .. وأشار عظمة السلطان إلى من حوله بالخروج ليخلوا المكان له ولسعد حتى يفضي إليه بما لديه من سر ..

وعندما خلا المكان قال سعد :

يا صاحب العظمة .. إن ما عملته لم تكن دوافعه الحاجة

ولم يكن من دوافعه الإجرام .. ولم يكن من دوافعه أيضاً الاستخفاف بحقوقكم وهيبتكم .. لم يكن الدافع أمراً من هذه الأمور .. وإنما الدافع الحقيقي ..هو وصية لوالدي أوصاني بها فأغراني الشباب بمخالفتها بحذافيرها لأرى بنفسي ماذا تكون نتائجها .. وقد كانت النتائج كما توقعها والدي رحمه الله .. فقد كادت سرقتي للنعامة أن تؤدي بحياتي .. كما أنني ائتمنت والدتي التي هي من أحب الناس إلي وأخلصهم ومع ذلك فقد أفشت سري ..

وتزوجت امرأة ليس من طبقتي .. وليست من معدن أهلي .. وعندما احتجت إلى العون والرفد منهم كادوا أن يردوني خائباً .. وقد أعطوني من مالهم الشيء النزر الحقير الذي لا يليق أن يقدمه أمثالهم إلى مثلي..

والآن يشرفني أن أزف إلى عظمة السلطان بشرى بأن نعامة عظمتكم لا تزال باقية على قيد الحياة وسليمه من كل سوء .. وقد وكلت بها من يقوم عليها ويهمتم بها إلى أن يؤديها إلي كما سلمتها إليه سليمة .

سرالسلطان بهذا النبا سروراً عظيماً .. وطلب من سعد أن يذهب حالاً لاحضار النعامة فلبي سعد الطلب وذهب مسرعاً إلى حيث كانت النعامة فأخذها معززة مكرمة وذلك اعزازاً للسلطان وإكراماً له.. واعادها إلى المكان الذي أخذها منه .. وعندما رآها السلطان كما هي لم ينلها أي أذى .. ولم يتغير شيء من حالها ..ازدادت بهجته وسروره .. ومما زاد بهجة

عظمة السلطان صدق حدسه في سعد بأن هذا العمل لا يمكن أن يصدر منه لأنه من عنصر كريم ..كما أنه في حياته مستقيم كل الاستقامة فليس في حاجة .. كما أن الإجرام ليس من شيم أمثاله .. وإذاً فإنه لا يعقل أن يكون سعد هو الذي سرق النعامه ..

وطلب عظمة السلطان سعداً للمثول بين يديه بعد أن احضر النعامة وقال له لقد عفوت عنك سراً وجهراً وجعلتك من خواص جلسائي .. وأمرت وزير ماليتي بأن يحمل المواشي التي أتيت بها أطعمة من تمر وبر وسمن .. كل حيوان سوف يحمل عليه ما يستطيع حمله ويكون الجميع لك تصنع به ما تشاء .. فشكر سعد هذه البادرة الكريمة من عظمة السلطان.. والنعمة الكبيرة التي تضاف إلى سابق نعمه ..

حملت تلك المواشي بالأحمال .. الإبل حملت ما تستطيع حمله والخراف حملت ما تستطيع حمله .. والتيوس والمعز . ربطت على قرونها أقمشة خفيفة بقدر طاقتها على الحمل .. وساق سعد هذه المواشي بأحد لها .. متوجهاً بها إلى أهله وعشيرته وعندما جاء إلى وسط الحي أوقف تلك المواشي بأحمالها وطلب من كل شخص أعطاه دابة أن يأخذها بأحمالها .. وأخذ القوم ما أعطوا محملاً بالتحف والأرزاق .. وجاء دور أصهاره فلم يأخذوا إلا الأقل الأذل الأرذل من تلك المواشي والأرزاق وندموا على تقصيرهم حين لا ينفع الندم ..

وتفرغ سعد إلى التفكير في أمروه جدياً .. وجعل يتذكر

وصايا والده واحدة واحدة .. فأول ما بدأ به تطليق زوجته وإرسالها إلى أهلها مكرمة معززة .. ومن حسن حظه أنه لم يرزق منها أولاد لا ذكوراً ولا إناثاً ورجع إلى أسراره فصار يحتفظ بها لنفسه ولا يأمن عليها أحداً .. ولا سيما النساء مهما كانت قرابتهن له .. وشفقتهن عليه ..

وعاد إلى السلطان في مبدأ الأمر كجليس شرف يحضر تلك المجالس من باب المجاملة والاعتراف بتفضل عظمة السلطان بهذا الأمر الذي يعتبر تشريفاً وتكريماً لسعد .. إلا أن سعداً جعل يقلل المجيء إلى السلطان شيئاً فشيئاً إلى أن انقطع عن مجالسه تماماً .. واستقل بنفسه .. واهتم بشئونه الخاصة وشئون أسرته .. وبدأ حياة جديدة سعد بها وسعدت بها أسرته.. وعاشوا في سبات ونبات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات .!!

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت..



سَــالفة:

٦- أبو الحصين والذيب والأسد

يعتقدون في الأوساط الشعبية أن الحيوانات والأشجار والأحجار كانت في الزمن الماضي تتكلم ولذلك فهناك أقاصيص كثيرة ومثيرة كلها تدور على حوار الحيوانات بعضها مع بعض وخصوماتها .. وحيلها ومكرها وكيف يخدع بعضها بعضاً ويوقع بعضها ببعض .. ولذلك فقد التف الأطفال حول جدتهم وطلب أحدهم أن تقص عليهم سالفة أبو الحصين (الثعلب) والذيب والأسد.

وشرعت الجدة في سرد هذه السالفة فقالت:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. وإلى أبو الحصين والذيب والأسد قد اجتمعوا ذات مرة في واد من أودية الصحراء .. اقترح عليهم أبو الحصين أن يذهبوا جميعاً للصيد على أن يكونوا شركاء فيما يصيدون.. واتفق الثلاثة على هذه الشراكة وعقدوا بذلك اتفاقاً يضمن لكل واحد من الشركاء

الثلاثة حقوقه ..!! كما يجنب الشركاء فيما بعد احتمال الاختلاف والخصومات التي لا جدوى منها إلا إضاعة الوقت وإرهاق الأعصاب .. وجلب العداوات التي قد تودي بحياة الشخص ..

انطلق الثلاثة في واد من الوديان .. وجعلوا يتطلعون إلى الصيد ..ويترقبون المكاسب ..وبعد أن قطعوا مسافة طويلة لم يجدوا فيها شيئاً من الصيد .. وجد الذئب حجر جربوع فاجتمع الثلاثة حول الجحر وتأكدوا أن الجربوع بداخله وتبادلوا الراي في كيفية صيده .. واتفق الثلاثة ، على أن يكون الترتيب كالتالي : الذئب يمسك بالقاصعاء والأسد يدخل على الجربوع عوداً من الراهطاء حتى يظنها الجربوع حية فيخرج ويترك لها جحره أما دور الثعلب فهو أن يكون مترقباً مستعداً لركض وراء الجربوع إذا خرج من جحره ..واللحاق به وصيده فإن الثعلب بقدرته على الروغان .. وسرعته في الجري ..هو الأحق بالقيام بهذا الدور..

تمت الخطة وادخل الأسد العود على الجربوع من الراهطاء فخرج الجربوع من قاصعاء أخرى لم يعلموا بها .. وأطلق يديه ورجليه بالجري السريع ولحق به الثعلب ..ولحق الاثنان بالثعلب ليكونا عوناً له ان احتاج الأمر إلى عون .. وكان الثعلب أن يلحق بالجربوع ولكنه راغ يميناً فكان الثعلب أقدر منه على الروغان .. فراغ بسرعة فائقة فلم يستطع الجربوع .. وواصلوا السير والبحث. وترقب تحركات الصيد .. الذي إذا كان في

مأمن لزم مكانه وإن كان في مكان مكشوف انطلق منه عدواً للفرار عن اعدائه واللجوء إلى مكان حصين إذا وجد .. أو فوت الأعداء بسرعة الجري ..

وبينما كان الثلاثة يراقبون تحركات الصيد نفجت أرنب فانطلق الثعلب وراءها .. وانطلق الذئب عن يمينها وانطلق الأسد عن يسارها .. وسدوا عليها الجهات الثلاثة .. بحيث لا تستطيع الروغان يميناً ولا شمالاً وليس لها مفر إلا من الأمام.. ومن المعلوم أن الطالب أسرع من المطلوب .. فالطالب آمل والمطلوب يائس والطالب فرح .. والمطلوب حزين .. والطالب آمن والمطلوب خائف .. وهذه كلها عوامل في صالح الطالب وضد المطلوب ...

ثم من ناحية أخرى فالطلاب ثلاثة والمطلوب واحد .. والكثرة دائماً تغلب الشجاعة فما بالك بالطلاب إذا كان كل واحد منهم شجاعاً واستمر الهرب .. واستمر الطلب .. ولكنّ النتيجة كانت معروفة.. إلا أن اليأس يعطي قوة .. والحرص على الحياة يدفع إلى الكفاح إلى آخر نفس .. وطال الهرب وطال الطلب .. وبدأ الأرنب تخور قواه .. وتقل سرعته شيئاً فشيئاً..

أخذ الطلاب الثلاثة يقربون منه ويضيقونه عليه الخناق من جهاته الثلاث .. وأخيراً خارت قوى الأرنب .. ولم تستطع يداها ورجلاها حملها .. فوقفت منهوكة القوى فالتفت الطلاب الثلاثة حولها..



... وغضب الأسد على الذئب ورفعه يده ليهوي بها على رأسه
لأنه تجرأ وطلب حقه من الصيد.!!

كان أول من وصل إليها الثعلب فقبض عليها من رقبتها وضغط عليها ضغطة قوية أسلمت معها الروح .. وسبق إسلام الروح صرخة كانت مكتومة في فم الأرنب .!! وأخذ الثلاثة صيدهم.. وواصلوا السير في الصحراء .. والترقب لصيد جديد..

كان الأسد قد وكل النظر من الامام إلى الثعلب والنظر من الشمال إلى الذئب .. أما النظر من اليمين فهو للأسد.. وواصل الثلاثة سيرهم ..وكاد اليأس أن يدب إلى نفوسهم فقد طال البحث .. ولم يعثروا على شيء.

وفي لحظة من اللحظات نهض غزال من مكمنه ..وهرب منهم .. ولحق به الثعلب ولحق بالثعلب الأسد والذئب وكان الغزال في مبدأ الأمر بعيداً عنهم .. وكادوا ان ييأسوا من اللحاق به.. لسرعة عدوه .. ولبعد المسافة فيما بينهم وبينه.. ولكن هذا الغزال هو الصيد الثمين الذي وجدوه منذ أن أصبحوا .. أما الصيد الذي معهم فهو صغير وحقير لا يشبع واحداً منهم .. وإذاً فلا بد من مطاردة هذا الغزال .. وبذل أقصى الجهد في اللحاق به وصيده مهما كلف الأمر من جهد.. ومن وقت ..

وبذل الغزال جهده في الهرب وبذل لاحقوه أكثر مما بذل وأخيراً أدرك الغزال الأعياء فقد طال المدى وتواصل الجهد فنفد رصيجه من القوة .. وبدأ الغزال يجري تارة ويلتفت إلى الخلف تارة أخرى ليرى أين يقع أعداؤه ولكن أعداءه يجرون خلفه .. وهم لا يكلون ولا يملون وزاد هذا المنظر من وهن الغزال أخيى

في الجري إلى أن وقف أخيراً بعد أن خارت قواه ولحقه الأعداء الثلاثة فأحدقوا به وهجم عليه الذئب .. ومزق حنجرته فسالت الدماء من أوداجه وأسلم الروح لبارئها وأسلم جسمه لهؤلاء الوحوش الثلاثة .. الذين أخذوه وضموه إلى صيدهم السابق..

وكان النهار قد آذن بالانتهاء.. ولم يبق فيه متسع للبحث عن صيد جديد فقرر الشركاء الثلاثة العودة إلى حيث كانوا في الصباح.. فحملوا ما معهم من الصيد.. ورجعوا من حيث أتوا...

وصلوا إلى النقطة التي انطلقوا منها .. ووضعوا صيدهم بين أيديهم .. جاء دور قسم الغنائم والأسلاب وهذا هو أخطر دور يمر به هؤلاء الشركاء الثلاثة فالضعفاء يريد كل واحد منهم من الغنمية حقه وافياً بينما الأقوياء يريدون أكثر من حقهم .. ومن هنا تنشأ المشكلة .. وتختلف الآراء والنظريات ويكون الخصام ثم الصدام .. ومن البديهي أن الضعيف هو الضحية في مثل هذه المواقف ..

وتقابل الثلاثة حول الصيد كل منهم ينتظر نصيبه.. ولكن الذئب وأبا الحصين كانا ساكنين منتظرين ما يقوله الأسد فهو رئيسهم شاؤوا أم أبوا وله الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الموقف.. لا يحق لأحد منهم في نظره أن يعترض ولا أن يتأفف أن يتضجر وأما الاتفاق الذي وصع قبل الشروع في هذه الشركة فهو حبر على ورق.. لا قيمه له في نظر الأسد.. وإن كان شركاءه يرون أن بنوده ملزمة بالتوزيع بالسوية إلا أن نظرة الأسد إلى تلك البنود تختلف عن نظرتهما.. فالبنود التي توافق مصالح الأسد لا ضير

من تنفيذها أما البنود التي تخالف رغبته وشهواته وقرمه إلى اللحم فتلك لا قيمة لها .. ولا مجال لبحثها أو الجدول فيها ..

إلتفت الأسد إلى الذئب وقال له اقسم الصيد بيننا فقال الذئب الأمر أوضح من ذلك يا مولاي ..!

فقال الأسد وكيف ذلك ..؟!

قال الذئب الغزال لك والأرنب لي والجربوع لأبي الحصين فالتفت الأسد بكل جسمه إلى الذئب ونظر إليه نظرة كلها غضب وثورة . ولم يكن هناك مجال للبحث أو المناقشة والإقناع.. وقرع الحجة بالحجة وإنما هناك قوة الساعد والجنان..فجمع الأسد قوته كلها ثم قفز إلى الذئب حتى صار أمامه وجهاً لوجه.. ولم يتحر الذئب بينما كان في استطاعته أن يهرب وأن ينجو بنفسه من الأسد لأنه أسرع منه.. إلا أنه في نظر نفسه لم يعمل خطيئة بالنسبة إلى الأسد ولم يذنب .. ولذلك فلا داعي للهرب ..

لزم الذئب مكانه .. إلى أن قفز الأسد كما قلنا .. وقابله وجهاً لوجه .. ورفع يده إلى فوق .. وحتى تلك اللحظة لم يتصور الذئب أنه سوف يضربه .. وإنما ظن أنه سوف يداعبه ويمزح معه .. إلا أن الأسد جمع قوته كلها في يده ثم أهوى بها على رأس الذئب .. فإذا هو قد فقد الحياة وتمدد على الأرض والدماء تسيل من رأسه ورقبته حيث مزقتها مخالب الأسد...

ثم التفت الأسد إلى أبي الحصين في زهو وكبرياء وعطرسة وقال له اقسم الصيد يا أبا الحصين..

فقال أبو الحصين وقد هاله المنظر .. وأرهبه ذلك الأجراء العنيف الذي حصل بالنسبة إلى الذئب:

ان الأمر أوضح من ذلك يا سيدي .. فالأرنب لفطورك والغزال لعشائك .. والجربوع فيما بين ذلك .. فتبسم الأسد راضياً مسروراً بهذه القسمة وتهللت قسمات وجهه وقال لأبي الحصين :

من علمك هذا القسم المنسمح؟!!

قال أبو الحصين : - هذا الذئب المنسدح.!! (الممدد على الأرض).

وهكذا تنتهي هذه الاتفاقية بتلك المأساة .. وتنفذ بنودها بحسب رغبات الأقوياء .. وبحسب ما تقضي به شريعة الغاب...

وتنفض الشركة .. فيذهب أبو الحصين في حال سبيله وقد أخذ درساً قاسياً علمه في مستقبل حياته أن لا يأمن من قوياً مهما أعطاه من العهود والمواثيق .. ما لم تكن هناك قوة رادعة.. تلزم الخارج عن الطريق السوي بالرجوع إليه..

وما لم تتوفر هذه القوة فإنه لا عبرة بالقيم ولا بالأخلاق.. ولا بموازين العدل.. ولا بالاتفاقيات التي تكون بديهية وقد تعارف عليها الصغار والكبار...

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت .!

ســالفــة:

٧- الغراب وأبو الحصين

ابتهج الأطفال في الليلة الماضية بالسالفة التي قصتها عليهم جدتهم عن أبي الحصين والذيب والأسد .. فطلبوا من جدتهم هذه الليلة أن تقص عليهم سالفة من سوالف الحيوانات .. كيف تتعامل وكيف تتكلم .. وكيف تفكر .. وأين تكسب قوتها وما هي مشاكل الحياة لديها ..

اعتدلت الجدة وقالت للأطفال إنني سوف أقص عليكم هذه اللية سالفة الغراب وأبي الحصين فهي من النوع الذي تحبونه.. وترغبون في سماعه ومعرفته فقال الأطفال بصوت واحد نعم قصي علينا سالفة الغراب وأبي الحصين .. فاستعدت الجدة للبدء في السالفة .. إلا أنها تأخرة قليلاً في تعديل وضعها وإصلاح بعض من تتطلبه راحتها في جلستها فاستحثها الأطفال جميعاً في سرعة البدء فشرعت الجدة فوراً وقالت :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا

الغراب وأبو الحصين .. وتعلمون أن الغراب طائر وأن أبا الحصين حيوان وحشي من ذوات الأربع وكان كل واحد منهما معجب بصاحبه قبل لقائه .. فلما التقيا لأول مرة تصافحا بحرارة.. ورحب كل واحد منهما بصاحبه أجمل ترحيب.. ثم جعل يثنى كل واحد منهما على الآخر بما سمعه عنه من الخلال الحميدة. فيرد عليه الثاني ويكيل له الصاع صاعين ويسمعه بدل المدحة مدحتين وكأن لسان حالهم يقول:-

امدحني وامدحك وشد لي واقطع لك.. فالأمر لا يعدوا أن يكون تبادل منافع لا أكثر ولا أقل.. وإلا فلو حاسب كل منهما نفسه عما يقول لتوقفا عن كثير من الثناء والمدح الذي وجهه كل واحد منهما لصاحبه.. ولكنها المجاملات.. ولكنه حب الذات فكل واحد منهما يريد أن يسمع من صاحبه مدحاً وثناءاً على نفسه.. ولذلك فقد تمادياً في هذا الميدان.. وتسابقاً فيه لنيل قصبات السبق فكان كل واحد منهما يأتي بأنواع من الثناء والمديح قد لا يعرفها الممدوح في نفسه.. ومع ذلك فهو يتقبلها بصدر رحب ويسر بسماعها.. ويطرب لترديدها..

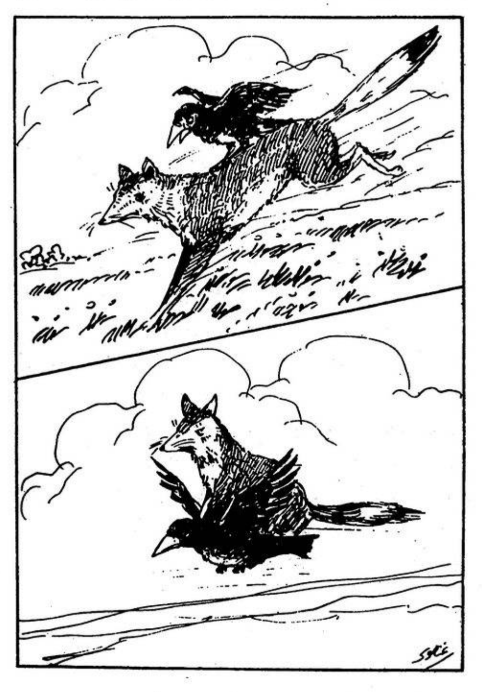
كان الغراب يسمع عن روغان أبي الحصين الذي يضرب به المثل.. كما أن أبا الحصين يسمع عن الغراب وذكائه وفطنته.. وسرعة بديهته.. وسرعة طيرانه فلما اجتمعا أراد كل واحد منهما أن يسبر غور الآخر.. وأن يتباريا في المكر والخديعة والاحتيال.. ليعرف كل منهما مدي قدرته ومدى قدرة صاحبه..

وبدأ الغراب فقال لقد سمعت عن حضرة الصديق الفاضل أبي الحصين خصالاً حبيته إلى نفسي ولذلك فأنا أريد أن أوثق علاقتي به.. وأن يربط بيني وبينه العيش والملح ولذلك فأنا أدعوه إلى حفله غداء في يوم غد..

فقال أبو الحصين حباً وكرامة إنني أجيب هذه الدعوة بسرور بالغ.. وتقدير عظيم.. كما أنيي أدعو صديقي الفاضل إلى حفلة طعام أقيمها له بعد غد فرحب الغراب أيضاً بهذه الدعوة.. ووافق على تلبيتها شاكراً مثنياً على كريم شيم صاحبه... وانصرف كل واحد من الصديقين لشأنه..

فأما الغراب فقد عمد إلى نخلة فأخذ من ثمرها.. وصار ينقل التمر من راس النخلة ثم يغرس كل تمر في رأس شوكة من أشواك السلم.. وهو شجر صحراوي كثير الشوك متشابك الأغصان كثير الأذى وقليل النفع.. ولما جاء الموعد المحدد للدعوة ذهب الغراب إلى صديقه أبي الحصين وقال له هيا بنا إلى مائدة الطعام وجاء الصديقان ودارا حول شجرة السلم التي قد شكت أشواكها بالتمر .. فحاول أبو الحصين أن يأخذ شيئاً من ذلك التمر فلم يستطع لأنه كلما هم بتناول تمرة طعنته شوكة.. وعمل عدة محاولات لأخذ تمرة من التمر.. إلا أنه لم يستطع.. وعندما يئس من الحصول ولو على تمرة واحدة قال لصديقه الغراب:-

أنعم الله عليك وأكثر خيرك فقال الغراب :- كل أيها الصديق



الغراب يتعلم الروغان من الثعلب ثم يأتي دور الثعلب
ليتعلم الطيران من الغراب

العزيز فقال أبو الحصين لقد شبعت.. وكان من عادة الحيوانات أن لا يأكل المضيف حتى ينتهي الضيف من أكل أطايب الطعام وعندئذ جاء دور الغراب فجعل يرفرف حول شجرة السلم ويتناول الرطب من بين اشواكها ويأكله.. إلى أن أتى على التمر كله.. ثم اجتمع الصديقان بعد الأكل للحديث والمؤانسة.. وبعد فترة قصيرة من الوقت افترقاً على أن يلتقيا في اليوم التالي في مكان وساعة محددة.

انصرف أبو الحصين لاعداد الوليمة التي سوف يقيمها لصديقه الغراب وجاء بدقيق الحنطة وخلطه بالماء والسمن وطبخه حتى إذا نضج وعمل منه أكلة دسمة تسمى الرغيد وهو طعام رخو لا تستطيع الكف أن تمسكه وإنما يوكل لحساً باللسان أو رشفاً من الإناء.. أو غرافاً بالمغرفة .. وعندما جاء الموعد المحدد ذهب أبو الحصين إلى الغراب ودعاه فلبى الدعوة وجاء الصديقان إلى مكان الحفل.. وصب أبو الحصين ذلك الطعام فوق حجر أصم مسطح.. وقال لصديقه تفضل لتناول الطعام فجاء الغراب وجلس عند المائدة وضرب بمنقاره في الأكل ثم رفعه فلم يجد أنه علق به شيء.. وضرب به ثانية وثالثة حتى كاد منقاره أن ينكسر.. دون أن يستطيع أخذ شيء من ذلك الرغيد..

وعندما يئس قال لصديقه أبي الحصين أنعم الله عليك.. فقال أبو الحصين كل.! فإن الحشمة مرفوعة بين الأصدقاء فقال الغراب لقد شبعت وقام الغراب من فوق المائدة تقدم أبو

الحصين إليها وجعل يلحس الرغيد بلسانه فلايترك منه شيئاً حتى أتى على جميع ما فوق الصخرة من طعام.. ثم ذهب فغسل وجهه ويديه.. وذهب إلى صديقه الغراب ليتحدثا قليلاً بعد الطعام.. وقال الغراب لصديقه أبي الحصين في أثناء الحديث :-

لقد سمعت أن لدى صديقي أبي الحصين موهبة ممتازة في الروغان وأنه لا يجاريه أحد في هذا المجال.. فهل يتكرم الصديق المحترم فيعلمني الروغان.. فقال أبو الحصين حباً وكرامة.. إنني على اتم الاستعداد لتعليمك الروغان.. كما إنني أطلب من صديقي العزيز أن يعلمني الطيران.. فقال الغراب حباً وكرامه.. ومن الغريب ان كل واحد منهما لا يقدر المزايا التي أعطيها وإنما ينظر إلى مزايا الآخرين ويغبطهم عليه ويتمنى أن يسلبها منهم.. أو يشاركهم فيها..

واتفق الصديقان على أن يلتقيا في صباح الغد في مكان سهل.. وعلى أرض مستوية لا ارتفاع فيها ولا هبوط.. وجاء الغد وتقابل الصديقان فقال الغراب هيا أيها الصديق العزيز إلى ما وعدت من تعليمي الروغان.. فجاء أبوالحصين وطأطأ جسمه وقوس ظهره ثم قال لصديقه الغراب اركب فقفز الغراب فوق ظهره ثم انطلق به يعدو عدواً سريعاً وراغ به ذات اليمين.. ثم راغ به ذات الشمال فكاد الغراب أن يسقط من فوق ظهره.. ولكنه.. تماسك وأمسك بظهر أبي الحصين بكل قوته. ثم جرى به فترة من الزمن.. وفجأة راغ به يميناً وراغ به

شمالاً.. فكان الغراب في هذه المرة أكثر ثبوتاً وأشد تمسكاً.. وصنع به هذا الصنيع مرة ثالثة فكان أثبت من الثانية..

فقال له أبو الحصين لقد تعلمت الآن فن الروغان.. وبقي عليك أن تعلمني في الطيران فقال لصديقه حباً وكرامة.. هيا اركب بين جناحي.. فلما ركب أبو الحصين واستقر بين جناحي الغراب طار به.. واستمر في التحليق إلى أن ارتفع فوق الأرض كثيراً.. وقال الغراب لصديقه أبي الحصين ماذا ترى من الأرض فقال إنني أرى مدنها كالقرى وقراها كالبيت الواحد.. وأرى البيت الواحد كعش الطائر.. فحلق الغراب إلى الفوق واستمر في الصعود إلى أجواز الفضاء .. ثم قال لأبي الحصين انظر إلى الأرض وأخبرني بما ترى.!! فقال إنني أرى الجبل كصخرة صغيرة.. وأرى الوديان كالخيوط السوداء وأرى الأنهار.. كخيوط دقيقة من حرير..

استمر الغراب في التحليق والصعود إلى أعلا .. ثم قال لصديقه أبي الحصين انظر إلى الأرض وأخبرني بما ترى منها.. فنظر أبو الحصين إلى الأرض وهاله أن لا يميز منها شيئاً .. إنما يرى دخاناً أو شبه الدخان.. يملأ الفراغ الذي تحته.. ولا يميز من معالم الأرض كبيراً ولا صغيراً فأخبر أبو الحصين صديقه الغراب بما رأى ..

في هذه اللحظة هبط الغراب هبوطاً مفاجئاً فتدحرج أبوالحصين من فوق ظهره.. وصار يهوى إلى الأرض وهو يقول اللهم أرمني فوق ماء أورمل..والغراب يتبعه.. ويقول اللهم

أرمه فوق جبل أو أرض صلبة واستمر ابو الحصين يدعو لنفسه بالطف فيما قدر عليه .. واستمر الغراب في الدعاء بأن تكون نهاية حياته في هذا السقوط ..

لا أحد يدري بالتحديد ما هي أسباب عداوة الغراب لأبي الحصين.. إلا أن يعض العارفين يقول ان السبب الرئيسي هو أن أبا الحصين .. يضايق الغراب في رزقه.. ويدب على ظهر الأرض فيأكل الحيوانات الصغيرة والأطعمة اللذيذة التي يحبها الغراب حباً عظيماً.. هذا سبب من الأسباب..وقد يكون هناك أسباب خفية من ثأر قديم للغراب بالنسبة إلى أبي الحصين.. قد يكون أحد أجداد أبى الحصين قد أساء إلى غراب يمت بالقرابة إلى هذا الغراب فأراد الانتقام ..والأخذ بالثأر .. في هذه الفرصة المناسبة..

والخلاصة إن الله قد استجاب لأبي الحصين دعاءه ولطف به فوقع في وسط غدير في قلب الصحراء وكان هذا الغدير غزيراً.. فانغمس أبو الحصين في الماء من شدة الاندفاع .. ثم خرج على ظهر الماء معافاً سليماً.. فعام إلى ان بلغ الصخور المحيطة بالغدير فتعلق بأحدها وخرج.. وكان الغراب يراقب أبا الحصين. قد وقع في الغدير ثم خرج منه .. وعندئذ ذهب إلى حال سبيله آسفاً على نجاة أبي الحصين مرتقباً فرصة أخرى.. مع أنها قد تكون من الندرة بمكان أو أنها أقرب ما يكون إلى المستحيل.. لأن أبا الحصين حذر.. ولا يمكن أن يلدغ من جحر مرتين.

بقى أبو الحصين على هذا الغدير يشرب منه وينظف جسمه من مائة.. ويذهب إلى الصيد فيما حوله ثم يعود إليه.. وأخيراً قرر ابو الحصين أن يشرب جميع ماء الغدير هذا وأن يختزنه لنفسه.. لأنه رأى أن جماعة من البدو ترد بأغنامها عليه.. فأراد أن يشربه قبل أن يشربوه.. ولهذا فقد ارتشف أبو الحصين جميع ماء الغدير.. وسد دبره ببعرة من بعد الجمال ولجأ إلى ظل بجانب الغدير فتمدد فيه منتظراً ورود الأغنام على هذا الغدير العروف بأن ماءه لا ينضب صيفاً ولا شتاء..

وطال انتظار أبي الحصين.. ولكنه واثق من أن الرعاة لا يتركون الورود على هذا الغدير في اليوم الثاني ورد عليه راع بغنمه.. ونظر إلى مكان الغدير فرآه جافاً وأخذ منه العجب كل مأخذ.. والتفت فرأى أبا الحصين فجاء إليه وسأله عن الغدير وما الذي جففه.. فقال أبو لحصين ان ماءه مختزن في بطني .. لقد شربته كله.. وفي استطاعتي ان اسقي غنمك.. مما في بطني فما الذي تعطيني ان فعلت.؟! فقال الراعي إذا اسقيت غنمي.. وارويتها فإنني سوف اعطيك أحسن واحدة فيها.. أو لك أنت أن تختار أحسن واحدة..

فاتفقا على ذلك.. وفتح أبو الحصين ما بين رجليه وأزال البعرة التي كان قد سد بها دبرة فنزل الماء إلى مكان الغدير بكثرة فائقة وانطلقت الغنم إلى الماء تشرب منه.. إلى ان رويت.. وانصرفت عن الماء بعد ان أخذت كفايتها منه.. فقال الراعي لأبي الحصين هل تريد أن تأخذ من الغنم أحسنها أم

اختار لك أنما فقال أبو الحصين أختر لي فذهب الراعي وجاء بخروف كبير سمين شاب وأراد أن سلمه إلى أبي الحصين.. ولكنه أبي وقال ان هذا ليس هو أحسن غنمك.. فقال الراعي إذاً قم أنت واختر أحسنها بنفسك فقام أبو الحصين ودخل في وسط الغنم.. وصار يتفحصها واحدة إلى أن وقع نظره على شاة كبيرة هزيلة فأخذ برقبتها.. وكان يسل من أنفها مادة لزجة من آثار الهزال والضعف فجعل أبوالحصين ويلحسها ويمتصها.. ويقول للراعي:

انظر إلى الشحم يخرج من أنفها.. فقال الراعي خذها بارك الله لك فيها فأخذها.. واقتادها .. وذهب بها إلى بيت كان صنعه.. ووضع له باباً لا يفتح كما تفتح الأبواب وإنما يفتح بطريقة خاصة مبتكرة سوف يأتي ذكرها وصار أبو الحصين يعطيها ويغذيها ويسميها الرخما ومعنى الرخما الشاة التي في راسها بياض وسواد..

استمر أبو الحصين يطعم الرخما ويسقيها إلى أن سمنت ولقحت وجاءت ببنت سماها الرخيم.. وزاد جهد أبي الحصين في العمل لاطعام الرخما والرخيم.. وعلم الذئب بوجود هذه الشاة وابنتها في حوزة أبي الحصين.. وترقب الذئب أبا الحصين حتى ذهب إلى الصحراء ليأتي بعلف لشاته وابنتها.. ولما اختفى أبو الحصين في قلب الصحراء .. جاء الذئب إلى الباب.. وحاول فتحه فلم يستطع.. ثم حاول كسره فلم يستطع أيضا.. واحتار الذئب كيف يصنع أنه لا بد أن يأكل هذه الشاة وابنتها

بأي طريقة من الطرق .. بطريق القوة .. أو بطريق المكر والاحتيال..

أن الذئب لا تهمه الوسائل وإنما تهمه النتائج.. ولا يفكر فيما سيقال عنه إذا غدر أو مكر أو احتال فهذا شيء لا يضيره ولا يهتم به .. ولا يتطلب منه مثقال ذرة من التفكير.. واعمل الذئب فكرة.. وجمع شتات ذهنه.. وجعل يفكر في الطريق الذي يستطيع به الوصول إلى هذه الشاة وابنتها..

أخيراً هداه التفكير إلى أن يصادق أبا الحصين.. ويظهر له الود والمحبة والإخلاص.. فإذا وثق به جاء دور رسم الخطة وطريقة تنفيذها.. وهكذا حصل فقد جاء الذئب إلى أبا الحصين.. ودق عليه الباب بلطف.. فلما خرج إليه حياه بحرارة واحتظنه.. وقال حيا الله صديقي وابن عمي أباالحصين.. وأسعد الله مساءه..

رحب به أبو الحصين بدوره ورد عليه التحية بأحسن منها.. وقال الذئب لقد طال الوقت الذي لانلتقي فيه واشتقت لك.. وجئتك مسلماً.. ومجدداً للصداقة والود.. ثم إنك تعلم أن حوادث الزمان تتحوف المرء وتهدده إذا كان وحيداً أكثر مما تتحوفه إذا كان له صديق يبادله الرأي.. ويساعده على حوادث الزمان وتقلب الحدثان.. والمرء كثير بأخيه قليل بنفسه..

فأجاب أبوالحصين جواباً رقيقاً موافقاً صديقه الذئب على ما قال.. ومؤكداً أهمية الأصدقاء والإخوان سواء في حالات الشدة أو حالات الرخاء.. وأكد أبو الحصين أنه متفق مع صديقه على

كل ما قال.. وعلى هذا اتفق الإثنان على أن يلتقيا كل يوم مرة على الأقل..

وتفرق الصديقان على أن يلتقيا في اليوم التالي وجاء الغد فذهب الذئب إلى صديقه أبا الحصين وسلم عليه وعرض عليه العون والمساعدة على إطعام الرخما والرخيم .. فشكره أبو الحصين وقال أن هذا الأمر سهل.. ولا يستحق المساعدة وأنه يعد صديقه الذئب لأمور أكبر من هذا..

وتكرر اللقاء بين الصديقين.. وتكررت عبارات الاخاء والمجالة.. والذئب في كل ذلك يرغب رغبة أكيدة في أن يعرف كيف يفتح ابوالحصين باب داره .. وكيف يغلقه.. ولكنه لم يستطع أن يعرف الطريقة في فتحه وإغلاقه.. وطالت مراقبته للباب عند الفتح وعند الإغلاق.. ولكنه لم يظفر بطائل.. وعندما يئس قال لصديقه أبي الحصين:-

ما أعجب بابك يا صديقي.. أنه باب نادر لم أر في حياتي مثله في فتحه وقفله.. وصناعه.. وحسن لونه.. وتناسق أخشابه.. وتداخل بعضها في بعض.. هذا مضافاً إلى القوة والمتانة.. فكيف تفتح هذا الباب.. وكيف تقفله فقال أبوالحصين.. إنه حقاً باب نادر وقد دفعت ثمنه غالياً.. وقد طلبت من النجار الذي صنعه أن يجعل طريقة فتحه غريبة.. فلا ينفتح إلا بالهواء .. ولا ينقفل إلا بالهواء .. ولكنه هوى خاص.. وبمقدار خاص.. فقال الذئب وقد زاد تيقظه واصغاؤه.. وكيف؟!

فقال أبو الحصين إنني أفسو عليه فينقفل.. وأضرط عليه فينفتح.. فقال الذئب ما أعجب بابك وما أجمل ذوقك.. وما أحسن اختيارك.. إنك بهذه الطريقة الغريبة النادرة لا تحتاج إلى أن تحمل مفتاحاً .. ولا أن تشغل نفسك بتركيب أسنانه ما بين وقت وآخر.. فهنيئاً لك يا صديقي وأسعدك الله بما أعطاك.. وعندئذ تفارقا على أن يلتقيا في الغد.. وعندما جاء الغد.. وذهب أبو الحصين إلى الصحراء ليأتي بعلف لشاته وابنتها.. جاء الذئب إلى دار صديقه أبي الحصين فضرط على قفل الباب فانفتح.. فأخذ الشاة من حلقها.. وقتلها ثم قتل ابنتها.. وسلخ الاثنتين وأكل لحمهما.. ثم حشا جلد كل واحدة منهما تبناً .. وأوقفهما على قوائمها الأربع.. أمام الباب وخرج بعد أن فسا على قفل الباب فانقفل..

وجاء أبو الحصين وهو محمل بالاعشاب الطرية.. والزهور الندية.. وعندما فتح الباب كان من عادة شاته وابنتها أن يقابلاه عند دخوله.. وأن يستقبلاه بالثغاء والهمهمة.. والحركة والجلبة.. التي كان أبو الحصين يحبها ويهواها ولكنه في ذه المرة جعل يدعوهما بأسميهما فلا يجيبان داعياً.. ويكرر «الرخما والرخيم ما تأكل إلا الطعام الزين» فلا يتحرك ساكن.. وداخله الشك.. واستبدت به الريبة .. وقرب منهما ودعاهما فلم يجيبا..

فضرب الأم بقدمه ضربة قوية فسقطت.. وإذا هي جلد لا لحم فيه .. وإنما الذي فيه تبن.. وضرب ابنتها فإذا هي مثلها

فهاجت أعصابه وغضب غضباً شديداً.. وجعل يدور في البيت ليعرف أين دخل اللصوص.. وما هو الجانب الضعيف الذي كسروه وولجوا منه.. فلم يجد كسوراً.. ولا فتحات في أي جانب من جوانب السور.. وإذاً فإن الداخل دخل مع الباب بدون شك.. ولكن كيف يدخل اللصوص مع الباب وطريقه فتحه سر مغلق لا يعرفها إلا هو فقط.. ثم تذكر أن الذئب سأله وأنه أخبره بالطريقةالتي يفتح بها الباب.. ولكن الذئب صديقه.. وحبيبه ولا يمكن أن يخونه..

فهل ترك الباب مفتوحاً؟! أبداً.. إنه يتذكر جيداً أنه أقفله.. وإذاً فليقص الأثر.. فلعله يعرف اللصوص من آثار أقدامهم لعلهم فتحوه بطريقة سحرية غامضة.. أو لعل النجار الذي صنع أمثال هذا الباب صنع له مفاتيح هوائية متعددة بغية إبطال ذلك الطراز حتى يلجأ المواطنون إلى صنع طراز جديد فيكسب من وراء ذلك كسباً جديداً..

خرج أبو الحصين من منزله الموحش الذي تتمدد فيه جثتان حبيبتان إلى نفسه واللتان كان يألف البيت والجلوس فيه من أجلهما ومن حبهما.. وحب أصواتهما وحب مداعبتهما.. والتمتع بمنظرهما..

أما الآن فقد أصبح البيت عنده بمثابة القبر الموحش الذي لا يبعث إلا الأسى والحزن.. ولا يثير إلا كوامن الأشجان..

وجعل أبو الحصين يفحص الأرض شبراً وذراعاً .. ولم يخطر على باله ان الذي فعل هذه الفعلة هو صديقه الذئب ..

ان هذا الخاطر كلما خطر على باله طرده بقوة وبسرعة.. أنه لا يريد أن يظن أسوأ الظنون بأصدقائه ومحبيه.. وعليه أن يبعد عنهم تلك التصرفات التي لا يليق ان تصدر من صديق إلى صديق.. كالغدر والخيانة.. والغش والخديعة.. واستمر في البحث والتحري لعله يرى أثراً يدله على الجاني.. ولكنه لم يجد شيئاً.. لأن الريح كانت شديدة وقد عفت جميع الآثار .. فلم يبق أمل في العثور على الجاني من هذا الطريق..

وبينما كان أبو الحصين في أفكاره وتأملاته السوداء إذ جاء إليه أحد سكان الحي الذي عرفوا بتتبع حركات الناس وتصرفاتهم.. ونقل أخبار بعضهم إلى البعض الآخر.. وقال لأبي الحصين مالي أراك ساهماً مهموماً.. فقال وقد أظهر الصبر والتجلد لا شيء ما عدا أمر بسيط هو أن أحد اللصوص اقتحم منزلي وأكل شاتي وابنتها.. ولم استطع أن أعرفه من الأثر لأن الريح محت الآثار.. فقال هذا الزائر: أنني رأيت الذئب في صباح هذا اليوم يدور حول بيتك فلعله هو الذي فعل هذه الفعلة النكراء .. فقال أبو الحصين إنه صديقي ولا أعتقد أنه يغدر بي ويفجعني في أعز شيء لدى..

فقال هذا الزائر.. إنني لا أشهد عليه بالجريمة فأنا لم أره يدخل البيت ولم أره يقتل شاتك وابنتها.. إنني أبرأ إلى الله من أن أتهم مواطناً بتهمة لم أتحققها .. إلا أنني أخبرك بالواقع وهو إنني رأيته بقرب بيتك ورأيته ينظر إلى الطريق تارة وإلى بيتك تارة أخرى وكأنه بهذا ينتظر انقطاع مرور المارين ليعمل عملاً في

السر لا يريد أن يراه أحد..

أما العمل الذي يريد الذئب أن يعمله في السر فأنا لا أستطيع أن أحدده.. ولا أن أعرف نوعه فهذا علم غيب.. والله سبحانه وتعالى هو علام الغيوب.. سمع أبو الحصين هذا الكلام بحذر شديد لأنه يعرف أن مثل هذا الخبر يحتمل الصدق ويحتمل الكذب وهو لا يستطيع أن يرجع جانباً على جانب إلا بقرائن وشهادات ترجح كفة على كفة..

ثم إنه يعرف أهواء النفوس وأغراضها فقد يكون هذا المخبر يحسد أبا الحصين على صداقة الذئب فهو يريد أن يفرق بينهما بهذا الدس الرخيص.. وقد لا يكون هناك حسد.. وإنما هناك ثأر قديم بين هذا الشخص وبين الذئب فهو يريد الانتقام من الذئب بطريق الكذب والنميمة والإفساد بينه وبين رفاقه وأصدقائه..

وشيء ثالث وهو أن بعض الناس قد طبع على الشر وجبل عليه فهو يريد الحاق الضرر بالآخرين لا لغرض معين .. وإنما لشهوة الإيذاء والحاق الضرر بالآخرين.. ثم إن المصالح لها دخل كبير في معاملات الناس وتصرفاتهم فقد يقتل المرء أخاه في سبيل عرض زائل من الدنيا .. وقد يتهمه بتهمة كاذبة في سبيل مصلحة ينالها من هذا الطريق فليس كل الناس لديه ضمير يردعه عن هذه الرذائل القذرة..

وإذاً فإن على المرء إن لا يسمع مثل هذه الأقوال.. فإن سماعها يوغر الصدور ويحدث الفتن والوساوس التي يكون المرء

في غنى عنها.. وقد قال رسولنا الكريم لا تسبوا أصحابي فإنني أحب أن أراهم وأنا سليم الصدر أو كما قال ﷺ ...

ولهذا فقد أعرض أبو الحصين إعراضاً تاماً عن تلك الوشاية.. وجعل يبحث يفكر ويتطلع إلى هنا وإلى هناك لعل أمراً يدله على الجاني ويشعره ولو بطريق خفى إلى مرتكب الجريمة ولكنه لم يعثر على شيء.. وقال أبو الحصين في نفسه أن الجاني دائماً خائف ومرتبك وإذا جاء الذئب فسوف تظهر عليه آثار الجريمة وإذا انقطع لغير سبب معقول.. فهذا أيضاً دليل من الأدلة التي قد تشير إلى الجريمة.. وإن كانت لا تثبتها..

إن أبا الحصين الآن قانع بإشارة ولو خفية إلى الجاني.. وعليه فيما بعد أن يتابع الموضوع حتى يصل إلى حقيقه جلية واضحة فيه.. ولكن أبا الحصين على الرغم من كل ما بذل لم يستطع أن يستقر رأيه إلا على أحد احتمالين.. اما مجيء الذئب في موعده المعتاد وظهور أمارات عليه.. أو تغيبه بدون سبب معقول وهذا دليل كاف للأدانة مع ما يضاف إليه من أدلة أخرى..

وجاء موعد مجيء الذئب إلى صديقه أبي الحصين فلم يأت وانتظره الساعات تلو الساعات وجاء اليوم الثاني ومر الموعد دون أن يأتي الذئب .. وبدأ أبو الحصين يشك في صديقه الذئب ولكنه يجب أن لا يتسرع.. فليس في التسرع إلا الندامة.. وشد أبو الحصين رحاله للبحث عن الذئب.. وصار يسير في البلاد ويسأل فلا يسمع خبراً..

استمر في البحث عنه والضرب في المهامه والصحاري والقرى. ومر بقرية فسأل عن الذئب فقيل له .. إنه مر بهذه القرية منذ أيام وبقى فيها إلى أن استجم ثم واصل سيره.. فسأل أبو الحصين عن الجهة التي اتجه إليها.. فأشاروا إليها.. فواصل أبو الحصين السير في تلك الجهة.. ولم يرع الذئب في غفلة من غفلاته إلا وأبو الحصين يقف فوق رأسه وقد التجأ إلى غار منزو في أحد الجبال..

فسلم أبو الحصين على صديقه الذئب وحياه.. إلا أن الذئب كاد أن لا يستطيع رد السلام نتيجة لارتباكه.. وقال أبو الحصين لصديقه: لقد سطى اللصوص على شاتي وابنتها وأكلوهما.. فحزنت حزناً شديداً .. ثم تخلفت عن زيارتي فاستوحشت.. لأنك تعلم أن الصديق زينة وأنس في الرخاء وعون ومساعد في الشدة.. فاجتمعت علي مصيبتنا في آن واحد.. غيابك وفقدان شاتي وابنتها وبقيت اتصبر يوماً ويومين فلم استطع وصرت أصاب بنوبات من الحزن كلما دخلت بيتي فإذا ابتعدت عنه خف ما بي ولم أذكر ما حل بي من مصاب..

أما إذا دخلت البيت فمربط الشاة يذكرنيها.. ومعلفها. وطريق مراحها ومجيئها .. وبقايا علفها.. وبقايا بعرها.. كل واحد من هذه الأشياء يذكرني شاتي وابنتيها فيزداد حزني .. وتزداد وحشتي ثم غبت عني هذه الغيبة المفاجئة دون سابق انذار فزاد ذلك في وحشتي.. وحزني..

كان أبو الحصين يراقب الذئب.. حركات أطرافه ولمحات

وجهه ليستشف منها تأثره وانفعالاته .. وقد رأى أن الذئب انفعل عندما ذكر له أبو الحصين بأن سفره كان فجأة وبدون سابق انذار ثم جاء دور الذئب في الكلام فقال: لقد ضاق بي الرزق في بلادي أيها الصديق العزيز وبحثت عمن يقرضني شيئاً من المال ويثق بي إلى وقت آخر فلم أجد..

وبحثت عن مكان للعمل فلم أوفق.. وضاقت بي البلد تلك الليلة.. وكثرت وساوسي من شدة الجوع وضيق ذات اليد فقررت في تلك الليلة أن أسافر صباحاً.. وعزمت عزماً أكيداً على هذا السفر.. وتعلم أن بلاد المرء هي التي يرزق فيها.. وليست التي يخلق فيها.. وأن على المرء أن يعمل الأسباب.. ويسلك مختلف المناهج.. فلعله يوفق في واحد منها..

ولهذا فأنا كما تراني أضرب في البلاد حتى أجد المكان الصالح الذي أستطيع أن أعيش فيه معيشة كريمة واسعة..

فقال له صديقه أبو الحصين وهل تقصد مكاناً معيناً أم إنه لا هدف لك.؟!

فقال الذئب إنه لا هدف لي.. فقال أبو الحصين:-

وهل تسمح لي أن أرافقك في هذه الرحلة.. فظروفي مثل ظروفك بل هي أقسى من ظروفك.. وأنا في حاجة إلى الغربة لأنسى مصيبتي كما إنني محتاج إلى الإخوان لتسليتي.. فأجاب الذئب بامتعاض وتذمر ظاهر.. ما كان يألفه منه في سابق الأيام.. وقال إنه لا يرى مانعاً من هذه الصحبة.. والمرافقة..

تجمعت الأدلة لدى أبي الحصين.. وعلم علماً يشبه اليقين بأن الذئب هو الذي أكل الشاة وابنتها.. ولكنه مع هذا أمسك أعصابه.. وانتظر لعله يعثر على دليل مادي.. يزيد من يقينه.. ويؤكد له أن الذئب هو الفاعل.. وانتظر ورأى في لحظة من اللحظات أن الذئب يخفي عنه شيئاً.. وهو يذهب في بعض الساعات متسللاً مختفياً.. ويبقى في غار صغير فترة من الزمن قصيرة ثم يخرج منه محاولاً أن لا يراه أبو الحصين..

تيقن أبو الحصين أن في ذلك الغار دليلاً مادياً قد يمده باليقين في قضيته الأولى التي تكبد المشاق من أجلها وهي الأخذ بثأر شاته التي ذهبت ضحية المطامع والشهوات.. وانتظر أبو الحصين .. ولكن الذئب كان حذراً.. كثير الشكوك.. كثير المراقبة.. إلا أن الحذر لا بد أن تمر به ساعات يغفل فيها جانب الحذر...

انتظر أبو الحصين هذه الساعات.. ومرت الأيام طوالاً والفرصة لا تواتيه للكشف عن سر الأسرار.. المختفي في الغار.. ولكن عاقبة الصبر حميده فقد جاءت الفرصة.. حيث نام الذئب ذات يوم من آثار طول الاجهاد .. والتعب.. وتظاهر أبو الحصين بأنه نائم أيضاً فلما استغرق الذئب في النوم إنسل أبو الحصين من تحت غطائه وترك ما تحت الغطاء بارزاً حتى يظن من يراه أن صاحبه فيه..

وقصد أبو الحصين إلى ذلك الغار ما شيا إليه بحذر شديد حتى لا يقع حجر على حجر فيحدث صوتاً يوقظ الذئب لأن

الذئب مهما استغرق في النوم فهو سريع اليقظة من أقل حركة.. كما أن استغراقه في النوم لا يمنعه من الإحساس بما حوله.. لأنه لا يغمض عينيه الاثنتين معاً .. بل هو يغمض واحدة ويترك الأخرى للمراقبة والحراسة..!!

ووفق أبوالحصين في سيره فلم يحدث أي صوت ووصل إلى الغار فوجد فيه وعاء صغيراً.. فك رباطه.. ثم أخرج ما فيه فلم يرعه.. إلا راس شاته بعينه وسنه وذهل أبوالحصين من هول المنظر.. لأن راس الشاة يذكره بتلك المأساة.. ولكنه تمالك أعصابه وأعاد الرأس إلى مكانه.. وربط الوعاء كما كان مربوطاً.. وخرج من الغار ماشياً بحذر شديد.. حتى وصل إلى فراشه فرفع لحافه واندس تحته وقلبه يدق وجسمه يرتجف.. من آثار الجهد الذي بذله .. والرعب الذي تمكه في الغار.. والغضب والانفعال الذي ملأ قلبه على صديقه القديم.!! الذئب..

وراقب أبو الحصين الذئب الذي لم يعد صديقاً وإنما هو عدو مبين لابد من الانتقام منه وأخذ الثأر .. إلا أن أبا الحصين فكر في الأمر فالذئب أقوى منه ساعداً وأقوى منه جناناً.. وإذاً فلا طريق للانتقام إلا بوسيلة من وسائل الحيلة..

وجعل أبو الحصين يفكر.. ويطيل التفكير .. حتى اهتدىٰ إلى طريقة غريبة مبتكرة.. وهو أن يفصل قماشاً بشكل كيس وأن يخيط هذا الكيس خياطة قوية فهو يعلم قوة خصمه وصرامته وفرط ذكائه .. ولذلك فإنه يجب عليه أن يتخذ جميع

الاحتياطات اللازمة..

أعد أبوالحصين الكيس .. ودخل في وسطه وربط على نفسه من الداخل وصار يتقلب في هذا الكيس ويغني.. ويظهر السرور والإنشراح عندما يدخل وسط هذا الكيس .. ورآه الذئب.. واعجب بهذا لكيس والطريقة التي يتبعها أبو الحصين في استعماله وأحب أن يدخل في هذا الكيس ليرى ماذا يحدث له من مشاعر وانفعالات السرور التي تظهر على ابو الحسين..

وعندما أحس ابو الحصين بهذه الرغبة والشوق من الذئب قال له أن لدي لعبة تسمى لعبة الكيس.. فقال الذئب صف لي طريقة لعبتها فوصف له أبو الحصين هذه اللعبة.. فأعجب بها الذئب .. وقال لأبي الحصين فلنعملها.. فقال أبو الحصين أنها لا تصلح إلا ليلاً .. فإذا جاء الليل عملناها في ضوء القمر.. فاتفقا على ذلك.. وتفرقا.. كل يطلب لنفسه صيداً .. على أن يلتقيا مساء.. وذهب أبوالحصين إلى واد ملتف بالأشجار وعمد إلى شجرة من شجرات السلم فقطع منها عرجاء أي عصا ذات راس كروي كبير وقطع غصناً لطيفاً رقيقاً.. وأخذ الأثنان.. وذهب بهما إلى قرب منزلها وأخفى عجراء السلم في مكان قريب من منزلها وأخذ غصن السلم معه..

ذهب إلى منزلهما فوجد الذئب في انتظاره وكان الموعد قد أزف..فاستعدا للعبة.. وقال ابو الحصين إنني سوف أبدأ فأقوم بالدور الأول من اللعبة لأني خبير بها وأنت تقوم بالدور الثاني فوافق الذئب على الخطة وشرعاً فيها.. فدخل أبو الحصين في

وسط الكيس وقال للذئب اربط الكيس فوق رأسي وخذ غصن السلم واضربني به على اي موضع من جسمي ضرباً خفيفاً .. فإذا كان الموضع الذي ضربتني عليه حساساً قلت: ويص!! ويص!! إذا لم يكن حساساً فإنني سوف اسكت..

وهكذا حصل.. فتكرر الضرب وتكررت الأصوات والضحكات وسر الذئب بهذه اللعبة .. وقال في نفسه .. إنها فرصة للترويح عن النفس ونسيان الهموم والمتاعب ولو لفترة وجيزة من الوقت .. وقال ابوالحصين للذئب كفى .. فحل رباط الكيس لأخرج وتدخل أنت فقد جاء دورك..

حل الذئب رباط الكيس وخرج أبو الحصين.. ودخل الذئب في وسط الكيس وربط أبو الحصين فم الكيس وأوثق الرباط ثم ذهب مسرعاً وجاء بعجراء السلم.. وكان الذئب قد استبطأه في الربط.. واستبطأه في الضرب.. فقال اين أنت يا ابن عمي..؟! أسرع واشرع في اللعبة فقال أبو الحصين أين رأسك يا عزيزي لئلا اضربه فيؤلمك فقال الذئب ها هو وحرك رأسه .. فعلم أبو الحصين أين يقع رأسه فأهوى عليه بكل قوته بتلك العجراء فأن الذئب وولول.. وقال أوجعتني يا ابن عمي.!!

فقال أبو الحصين إنني لست ابن عمك بل عدوك اللدود فقد غدرت بي وأكلت شويهتي وبنيتها وفجعتني في أعز عزيز لدي .. فقال الذئب وقد أيقن بالهلاك: اغفر لي هذه الخطيئة يا بن عمي هذه المرة وسوف لا أعود لمثلها أبداً فقال ابو الحصين

لا غفر الله لي أن غفرت لك .. وجعل يوجه إليه الضربة تلو الضربة وهو يروغ برأسه تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال.. ولكن أبا الحصين يرى حركاته فيسدد الضربات إلى المواضع الحساسة من جسمه..

أمسى الذئب جثة هامدة تركها أبو الحصين في كيسها.. ورحل من ذلك المكان عائداً إلى وطنه بعد أن أخذ بثأره وشفى غليل نفسه من ذلك الصديق الغادر الذي لم يرع حق الإخوة .. ولم يقدر عواقب الأمور .. بل اندفع وراء شهوته البهيمية ضارباً بالحائط كل القيم الأخلاقية التي تربط بين الاصدقاء .. وتنظم علاقة بعضهم ببعض..

ووصل أبو الحصين سالماً فرحاً مسروراً حيث لم يذهب سعيه سدى.. وابدل قفل بابه بقفل جديد.. وبدأ كفاحه من أجل الحياة بعزم وأمل جديدين ..!!

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سَـــالفة:

٨- الصياد مع الساحرة صاحبة قبعة الريش

اجتمع الأطفال حول جدتهم وقال احدهم سبحني علينا سبحونة الصياد مع الساحرة ذات قبعة الريش.. ونظرت الجدة إلى الصبية فكان ناقصاً منهم واحد لم تره فانتظرت وأجلت البدء حتى يحضر لئلا يضطرها عند حضوره للإعادة .. فانطلق الأطفال كل من جهة يبحثون عنه حتى وجدوه..

جاءوا به يسعون وكأنه مجرم هارب وقع في يد العدالة بعد طول بحث ومطارده .. وتم تحلقهم على جدتهم..وشرعت الجدة في السالفة قائلة : - هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي ليس له في هذه الدنيا اي هواية أو عمل غير هواية الصيد.. فهو يخرج إلى الصحراء كل يوم ويضرب في أعماقها.. سائراً في شعابها ووهادها ومنقباً في جبالها باحثاً عن الصيد الذي منه معيشته وفيه هوايته.. وكان في بعض الأيام يوفق فيجد صيداً كثيراً .. وفي بعضها لا

يجد شيئاً. !!

وفي ايام أخرى يصطاد بقدر ما يكفيه ويكفي أهله.. وكانت آلة صيدة القوس ذات السهام الحادة .. وكان قلما يخطيء إذا رمى .. فهو من الرجال الذين يصدق عليهم المثل القائل «ما يرمي إلا في لحم» وكان قانعاً بمعيشته هذه راضياً عنها.. لا يتذمر إن لم يجد شئاً.. ولا يبطر أو يبذر إن وفق إلى صيد كثير.. وكان يجفف اللحم الذي يزيد عن حاجته فيتركه للغد خوفاً من عدم وجود صيد..

وكان أكثر ما يصيد الأرانب والغزلان .. لأن الأرض التي حول بلده أرض أرنب وغزال وخرج إلى القنص ذات يوم .. وضرب في فيافي الصحراء باحثاً عن الصيد فلم يوفق إلى شيء منه.. وطال سعيه وبحثه في ذلك النهار إلا أنه لم يجد وتشاءم من يومه وظن به شتى الظنون..

وجاء إلى غدير صاف في سفح جبل .. وبين صخور سماء لا يتسرب الماء من خلالها ..وكان هذا الغدير عميقاً لا ينضب صيفاً ولا شتاءاً.. ومع كثرة مائة وطيب موقعه وشدة صفا فإنه غير معروف لدى سكان البلاد.. ولا مقصود للنزهة أو للشرب.. ولذلك فإن الصيد يرد عليه.. والضباء تتعاقب على مائة .. وانزوى صاحبنا الصياد في غار قريب من الغدير بحيث يرى جميع ما يرد على الماء في الوقت الذي لا يراه فيه أحد..

وبقي في مكانه.. مراقباً منتظراً .. وطال به الانتظار وكاد



الساحرات الثلاث يسبحن في الغدير ومبارك مختف خلف الصخور يترقب الفرصة ليأخذ قبعة إحداهن.!!

اليأس أن يتسرب إلى نفسه.. وبينما هو في شبه اغفاءه من طول الانتظار.. وإذا به يرى ثلاث حمامات بيض يحلقن فوق الغدير.. ثم يهبطن إلى الأرض قليلاً قليلاً فكتم مبارك انفاسه.. وأنام حركات جسمه.. حتى أن من يراه لا يظن إلا أنه حجر من الأحجار. ودنت الحمامات الثلاث من الأرض.. ثم أهوين إلى صخرة كبيرة مشرفة على الغدير فوقعن عليها .. والتفتن يميناً والتفتن شمالاً ليتأكدن من خلو المكان من البشر والوحوش.. فلم يرين شاخصاً ولم يسمعن صوتاً.

كان مبارك في هذه الأثناء يعد قوسه لإطلاق احد السهام على واحدة من تلك الحمامات.. وبينما كان في الاعداد والاستعداد.. وإذا بالحمامات الثلاث ينقلبن بقدرة قادرة إلى ثلاث فتيات جميلات.. بل ساحرات بجمالهن.. وساحرات بحركاتهن.. فاندهش مبارك وأخذته رعدة من هذه المفاجأة .. ومن هذا الجمال الأخاذ.. وأعاد قوسه إلى جانبه.. وبقي في مكانه مشدوهاً بما يرى.. عاقداً الأمل في نيل واحدة منهن..

وبعد أخذ ورد بين الحمامات أو الفتيات الثلاث خلعت كل واحدة منهن ملابسها ..وضعتها على حده في وسط غار قريب منهن .. ثم خلعت كل واحدة قبعة الريش التي فوق رأسها.. ووضعتها فوق ملابسها ورأى أن كل واحدة منهن تهتم اهتماماً زائداً بقبعتها وتضعتها في مكان قريب التناول حتى يسهل أخذها بسرعة فائقة عند الحاجة ..

نظر مبارك إلى الفتيات الثلاث وهن عاريات كما خلقهن

الله.. فوقع نظره على إحداهن وعرف أين تقع قبعتها وملابسها.. وبعد ذلك سار الفتيات الثلاث على ظهر الصخرة حتى صرن على حافة الغدير.. فرمت إحداهم نفسها في الماء فانغمست فيه ثم طفت على ظهره وصارت تسبح وتتقلب في الماء ظهراً لبطن وبطناً لظهر وتبعها زميلتها.. فرمين بأنفسهن في الماء..

وصرن يلعبن مختلف الألعاب على ظهر الماء ولم يدركهن الكلال ولا الملال من العوم.. ومبارك في هذه الاثناء يكاد يذوب في مكانه.. من تأثير هذا المنظر العجيب الذي يراه.. ثم خشى مبارك ان تفوته الفرصة فيندم على فواتها لأن ساعة مندم فتسلل في حذر شديد إلى مكان ملابسهن وقلبه يخفق خفقات الخوف من الإخفاق.. وجعل يسحب نفسه سحباً.. وخوفاً من أن يرينه .. أو يشعرن بحركته فيسبقنه إلى موضع الملابس ويطرن فتفشل خطته..

وبعد مجهود جبار بذله في الزحف وخفة الحركة وصل إلى مكان ملابسهن فأخذ قبعة الفتاة الذي أعجبته أكثر من زميلتيها.. ثم عاد ادراجه إلى حيث كان فأخفى تلك القبعة في مكان حصين.. وسد عليها بصخور ثقيلة وذلك لئلا تكون فيها مادة سحرية أو جاذبية تجذبها إلى صاحبتها . وبعد اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة وقف بطول قامته.. ومشى نحوهن والحب يدفعه والخوف يرواد نفسه.. فهن لا شك ساحرات ولولا ذلك لما استعطن الطيران.. ومبارك يخاف السحر ويرهبه لأنه طالماً

سمع عن اعاجيبه ومعجزاته ما يبهر النفوس.. يذهل العقول..

لكن الحب.. والرغبة في المغامرة دفعتاه إلى ركوب الخطر.. وإلى المغامرة ولا شك أن هذا الشيء الثمين وهو نيل هذه الفتاة يستحق هذه المغامرة.. ويستحق هذه المخاطرة.. وإذاً فليتقدم إليهن بقلب صامد وعزم شديد. وعندما أبصر الفتيات الثلاث هذا الرجل مقبلاً عليهن.. سبحن على وجه الماء مسرعات. وخرجن منه راكضات. واتجهت كل واحدة منهن نحو ملابسها فأخذت كل واحدة قبعتها فلبستها مسرعة.. ثم ارتدت ملابسها في اسرع من لمح البصر.. وطارت..

حلق في الجو حمامتان وبقيت الثالثة تبحث عن قبعتها فلا تجدها وتملكها الرعب فقد وصل إليها الرجل. وهي لم تجد قبعتها .. وأيقنت الفتاة أنها واقعة في قبضة هذا الرجل ، فلا مجال للهرب على الأقدام فهو أسرع منها واصبر على مشاق الصحراء.. ولا سبيل إلى الطيران لأن قبتعتها مفقودة .. وإذاً فلا سبيل إلا الاستسلام..

وصل إليها الرجل وألقى عليها شيئاً من ملابسه ليستر جسمها .. ثم أخذها بيدها متوجهاً بها إلى وسط الغار القريب منهما وحلق زميلتاها فوقهما فترة من الزمن.. رجاء أن تلحق بها.. ولكنهما رأياها أخيراً في قبضة الرجل فحزنتا على ما جرى لها وفكرتا.. هل في استطاعتهما أن تعملا من أجلها شيئاً فرأتا أنه ليس في استطاعتهما أن يعملا من أجلها شيئاً وإذاً فلا سبيل إلا الهرب بنفسيهما حتى لا يصيبهما هذا الرجل بأذى..

وهكذا حصل فقد عادت الحمامتان إلى موطنهما بعد أن خلفتا صديقة عزيزة على قلبيهما.. وتركاها ومصيرها للأقدار.. فلا يعرفان هل تحيا أم تموت.. وهل تسعد أم تشقى..

وتكلم مبارك مع المرأة وسألها:- هل أنتم من الجن أم من الإنس.. فقالت نحن من الإنس ووصفت له بلادها وأهلها.. كيف يعيشون وكيف يتعاملون.. وسألها عن اسمها فأخبرته أن اسمها سلمى..

فبقي هو إياها إلى أن قرب الليل .. ثم ألبسها نعليه وصار يمشي حافياً.. ومشيا متوجهين إلى المدينة فوصلاها في منتصف الليل ولم يكن في بيت مبارك إلا والدته.. وقد انشغل بالها على مبارك لأنه تأخر عن موعد مجيئه .. فخافت عليه أن يكون صادفه وحش من الوحوش المفترسة فآذاه أوأن أمراً من الأمور حدث له وهو يطرد صيداً..

والمهم أن هذه الهواجس والأفكار السوداء لم تنقطع إلا بوصول مبارك إلى البيت .. وعندما دق الباب كانت والدته بقربه ففتحته مسرعة.. ورأت مباركاً ابنها فاطمأن قلبها.. ولكنها رأت معه شخصاً لم تتبينه بعد.. ودخل الإثنان وهي لا تدري من يكون هذا الذي مع ولدها مبارك..

فما راعها إلا وجه الفتاة الجميلة الشابة الذي شعشع نوره في أرجاء المنزل فدهشت الوالدة .. وفغرت فاها عجباً وإعجاباً وقالت لابنها مبارك من هذه .. فقص عليها قصتها وقال لها.. إنها أمانة عندك حتى أذهب إلى قاضي المسلمين فاستفتيه في

أمرها..

نام مبارك في غرفته الخاصة على عادته.. ونامت سلمى مع والدته في غرفة أخرى فلما جاء الصباح بكر مبارك إلى القاضي ليستفتيه في شأن سلمى.. ورغبته في الزواج منها.. فأفتاه القاضي بجواز ذلك إذا رضيت.. فرجع مبارك مسرعاً إلى البيت وسأل سلمى في شوق ولهفة قائلاً:-

إنني أرغب في الزواج بك على سنة الله ورسوله فهل توافقين!! قال هذا الكلام وقلبه يخفق خوفاً من رفضها هذا العرض ولكن مباركاً كان شاباً وسيماً رياضي الجسم رياضي النفس كريم الخلق.. وقد عاملها منذ الساعات الأولى من وقوعها في يده.. عاملها بلطف .. ورافقها في الطريق بنزاهة وشمم.. وهو الآن يريدها على سنة الله ورسوله وإذا رفضت هذا العرض .. فما هو مصيرها.!!؟

إنها قد تريده فلا تجده .. وأومأت برأسها علامة الرضا .. فطلب مبارك من والدته أن تساعدها على النظافة واللباس ليذهب وإياها إلى القاضي .. وانتهت الوالدة من تهيئة سلمى وذهب مبارك بها إلىالقاضي وأخذا معهما شاهدين عدلين .. وذهب الجميع إلى القاضي .. فطلب منها القاضي رايها في الزواج فأظهرت الموافقة.

عقد النكاح.. ودخل مبارك على زوجته في احتفال بهيج اقتصر على الأهل والأقارب من طرف واحد.. أما أهل الطرف الآخر وهو سلمى فهم لا يعرفون عن هذه الأمور شيئاً ...

وعاش مبارك مع سلمى عيشة سعيدة.. وإن كانت تتخللها بعض الأزمات الطفيفة الناتجة عن الاختلاف في الآراء والاتجاهات .. وذلك بسبب اختلاف بيئتها عن بيئته .. وأخلاقها عن أخلاقه .. ومجتمعها الذي عاشت فيه عن المجتمع الذي عاش فيه مبارك..

إلا أن حكمة كل واحد من الزوجين تجعل لذلك الاختلاف حداً معيناً لا يعدوه.. فينتهي عنده حده.. وكانت لدى كل واحد من الزوجين أيضاً قدرة على التكيف والتقارب مع شريك حياته.. وكان مبارك بصفة خاصة يعامل سلمى بكثير من التسامح.. ويوفر لها جميع وسائل الراحة.. ويحاول بقدر جهده أن يرفه عنها وأن يعوضها عن غربتها بالرعاية والعناية.. والحب .. الذي تبادله إياه سلمى .. فقد كان الحب متبادلاً بين الزوجين.. ولذلك فإنهما دائماً إذا وقع خلاف يلتقون في منتصف الطريق .. حيث يحاول كل واحد أن يكون الوفاق.. وإلا تساق في التفكير .. وفي العمل.. ولهذا فقد عاش مبارك مع سلمى عيشة سعدية مليئة بالوفاق والحب.. ومشاعر الغبطة والسرور..

رزقت سلمى بعد عام ولداً اسموه سالماً.. فكان هذا الولد فاتحة طيبة لحياة زوجية مديدة.. واطمأن مبارك بعد مجيء هذا الولد فقد شعر بأن هذا الولد سوف يوثق الروابط بينه وبين سلمى.. وسيزيدها قوة ومتانة .. وتحملاً للتقلبات النفسية والعاطفية التي لا يخلو منها بشر.. وانصرفت سلمى إلى ولدها

سالم بكل عواطفها ورعايتها..

وليس معنى هذا انها اهملت زوجها.. أو اخلت بشيء من واجباتها نحوه كلا.. وإنما كان سالم هذا يعطيها سعادة ونشوة.. ما كانت تشعر بها سابقاً كما أنه يعطيها قوة واندفاعاً في العمل تعوض به ما يفوتها بسبب وجودها بجانبه في بعض الأوقات..

ثم بعد عام آخر رزقت بمولودة اسموها سلوى واحتلت هذه المولودة من قلب سلمى مكاناً واسعاً لقد كانت سلمى تظن أنه ليس في قلبها متسع لحب غير حب مبارك.. ولكن سالماً حينما أهل على الوجود وجد له في قلب سلمى مكاناً رحباً وسع سالماً ووسع والده.. ثم ظنت سلمى أن قلبها قد امتلأ .. ولم يبق فيه فراغ لأحد فقد ملىء جانب منه بحب شريك حياتها.. وملىء الجانب الآخر بحب فلذة كبدها..

فلما جاءت سلوى وجدت لها مكاناً رحباً في قلب الأم أيضاً.. وتيقن مبارك ان هذه الروابط الثلاث كفيلة بأن تجعل سلمى لا تفكر في أهلها ولا في وطنها الأول.. وسوف تعيش بجانبه ويعيش بجانبها إلى النهاية.. نهاية حياتهما .. وسارت الأمور مسيراً هادئاً.. والحب الوفاق يسود البيت.. والاطفال يملأوه ضجة وحركة وحياة .. والأب يسعى في هوايته كعادتة يضرب في كبد الصحراء .. فيصطاد من حيواناتها ما يصلح أكله ويأتي بما يصطاده حياً فيبيعه وينتفع بثمنه في شئونه العائلية..

كانت سلمى في بعض الأحيان تمزح مع زوجها عندما يريد الذهاب إلى الصيد فتقول:- أكثر لنا من صيد الصحراء .. إلا صيداً واحداً فلا تقربه وهو الحمام فيضحك سالم.. ويزداد سروره ويستشف من هذه الكلمات حباً وغيره.. ويجيبها قائلاً.. إنه لا أرب لي في الحمام بعد حمامتي الأولى التي اصطدتها.. وانني أشهدك إنني حرمت على نفسي صيد الحمام.. إكراماً لحمامتي الأولى التي اصطدتها.. فيزداد سرور سلمى.. ثم تعيد على زوجها.. القول.. إنها تخشى أن يرى حمامة أجمل من حمامته الأولى فيتعلق بها قلبه .. وينتقض بماعهده.. وتذهب الوعود والعواطف القديمة أدراج الرياح.. فيجيبها مبارك بأنه قانع بما رزقه الله وممتلىء القلب بالحب .. بحيث لم يبق مكان لمحبوب آخر.. فقد كانت الحمامة الأولى.. هي حقاً الأولى من نوعها وهي الأخيرة أيضاً.. فتثقى بكلامي... اعتبريه عهداً ووعداً وتعبيراً صادقاً عن مشاعري وإحساسي..

فتضحك سلمى وتقول إذاً اذهب بسلامة الله ولترجع لنا بسلامة الله..

فيذهب مبارك إلى هوايته.. وهو يكاد يطير فرحاً وسروراً بهذه المداعبة اللطيفة.. التي تكشف له عن أغوار قلب سلمى.. وتكشف له عن هواجسها ووساوسها التي تراود قلبها عندما يجيء ويروح .. ورأت هذه الوساوس والمخاوف من وثوق مبارك بزوجته وحبها له . وغيرتها عليه..

ويعود مبارك ذات يوم فاشلاً لم يجد صيداً فقد قل المطر

وجفت الأرض وهاجر الصيد القوى إلى المواطن الغنية بالماء.. المليئة بالأعشاب.. اما الحيوانات الضعيفة فقد أكل بعضها بعضا وما بقي منها أفناه الدهر والجدب الذي توالي على تلك الصحراء..

وإذاً فلم يبق لمبارك معيشة من الصيد فليفكر في مجال للعيش آخر غير الصيد.. وعزم على الرحلة في طلب المعيشة وأعد عدة السفر.. أخبر زوجته ووالدته فتمنيا له سفراً سعيداً وعوداً حميداً..

كان أكثر شيء يهمه بعد سفره قبعة الريش التي كان يحتفظ بها في صندوق خاص اقفله وكان يحمل مفتاحه دائماً في جيببه.. فلما عزم على السفر خلا بوالدته وأخبرها بخبر القبعة.. وقال انها علمت بها حاولت أخذها وإن أخذتها طارت إلى أهلها .. وأنت تعلمين ان سلمى هي حياتي فلا حياة لي بدونها.. ولذلك فأنا سوف أضع عندك الصندوق الذي فيه القبعة وأعطيك مفتاحه.. وعليك أن تخفي الصندوق وتحتفظي بالمفتاح.. وأن لا تدري سلمى عن الصندوق ولا عن المفتاح..

وعدته والدته خيراً وتعهدت له بأن تكون موضع ثقته وأمانته.. وأن تحتفظ بهذا المفتاح وأن تخفي الصندوق فلا تعلم سلمى أين مكانه.. وأكد على والدته بمختلف التأكيدات.. ووعدته بما أراد.. وقالت له في جملة ما قالت.. كأنك يا ولدي مبارك تشك في حبي لك أوتشك في قدرتي على حفظ الأسرار .. إنني يا ولدي أحبك .. وإنني سوف احفظ سرك..

فسر على بركة الله وليكن قلبك مطمئناً من هذه الناحية..

فودع مبارك والدته وزوجته وأولاده.. ثم خرج من المدينة مسافراً طالباً فضل الله .. في أرض الله الواسعة وطال سفر مبارك.. وطالت غيبته عن أهل وعن وطنه..

وكانت والدة مبارك تحاول في كل مناسبة ان تجلب السرور إلى قلب سلمى . . وأن ترفه عنها .. وأن تعوضها عما فاتها بغياب زوجها مبارك بأنواع من المسليات .. ولذلك فهي لا تترك حفلة أو مجالاً للتسلية إلا ذهبت هي وسلمى إليه. وكانت سلمى مثال المرأة المهذبة الرفيعة الأخلاق.. التي يحبها كل من رآها. ويحترمها كل من خالطها.. ويأنس بحديثها كل من جاذبها أطراف الحديث .. الأمر الذي جعلها نجماً من نجوم المجتمع المثالي الراقي..

واستمرت الأم على هذا المنهاج إلى ان جاءت إحدى المناسبات فلتطفت سلمى سألت والدة زوجها عن قبعة الريش سؤالاً عابراً فكانت والدة مبارك لا تعطيها جواباً واضحاً إلا أن سلمى علمت من بعض الإشارات أن القبعة عندها.. محفوظة في صندوق وأن الوالدة تحتفظ بمفتاحه.. وتحافظ على عدم البوح بشيء من أسرار الصندوق أو المفتاح..

سكتت سلمى ولم تلح على الوالدة .. ولم تطلب منها زيادة معلومات أكثر مما وصلت إليه .. ولم تكرر عليها الحديث عن القبعة خوفاً من أن تستريب الوالدة فلا يكون هناك مجال للأمل في الحصول على هذه القبعة وتركت سلمى الأمور

للظروف والمناسبات المواتيه.. واستمرت على طريقتها في الحياة.. وكرست جهودها لبيتها وأولادها.. فكانت الوالدة راضية عنها الرضا مطمئنة إلى سلوكها كل الإطمئنان .. وجاءت مناسبة حفلة كبيرة لدى زوجة السلطان .. سلطان البلاد وكانت الداعية إلى الحفلة هي زوجة السلطان.. والدعوة عامة إلا أنها للطبقات الراقية..

وكانت أم مبارك وزوجة ولدها معروفتان في المجتمع الراقي بحيث لو غابتا عن مثل هذه الحفلة لفسر هذا الغياب تفسيراً خاطئاً قد يسىء إلى الأسرة.

ولذلك فقد استعدت والدة مبارك وزجته إلى حضور هذا الحفل.. وأعدوا للأمر عدته.. ففصلوا الملابس .. وجهزوا أدوات الزينة .. اللازمة لمثل هذه المناسبة وجاءت ليلة الحفلة.. فتوافد المواطنات إلى مكانها كل واحدة ترفل في أبهى حللها.. وتبدو في أحسن زينتها .. وجاءت والدة مبارك ومعها زوجة ولدها سلمى في جملة من جاء..

وبدأت الحفلة .. وكانت حقاً حفلة رائعة تجلى فيها الكرم وحسن الإعداد.. والذوق الرفيع .. وصارت كل واحدة من المدعوات تساهم في هذا الحفل بتقديم ما تعرفه أو تجيده من رقصات أو أغاني.. وجاء دور لسلمى فقامت وأدت رقصة غريبة جملية أخاذة سحر بها جميع المشاهدين.. وطلبوا المزيد من هذا النوع من الرقص وصفقوا لسلمىٰ وهتفوا لها.. وأطالوا الهتاف والتصفيق.. وكانت زوجة السلطان تتابع هذه الرقصة

من أولها إلى آخرها فكانت من أول المعجبين بها..

دعت السلطانة سلمى وصافحتها مظهرة لها سرورها وإعجابها.. وشكرها أيضاً على هذه المساهمة .. وقالت لها : أن الحاضرين يطلبون المزيد من هذه الرقصات ونحن نعلم أنها تكلفك مجهوداً جباراً.. تشكرين عليه.. فإذا كان لديك استطاعة في تقديم رقصة أو رقصتين.. فإنني أكون مسرورة وشاكرة لك مساهمتك الفعالة في انجاح هذا الحفل الذي نريده أن يكون حديث الأجيال من بعدنا..

فقالت سلمى حبا وكرامه .. ان مساهمتي في هذا الحفل شرف عظيم لي.. لكم الفضل فيه .. والشكر عليه.. وأنا على أتم الاستعداد لما يطلبه عظمتك.. ولكي استطيع المساهمة على أكمل وجه .. فإن لي قبعة ريش موجودة عند أم زوجي.. وهي قد أخفتها عني حسب وصية ولدها.. فإذا أمكن أن تطلبي منها اعطائي القبعة لأرقص بها ثم أعيدها.. فإنني أعد عظمتك أن آتي برقصة جديدة كل الجدة مؤثرة كل التأثير .. واسمحي لي إذا وافقت عظمتك على ذلك أن أمهد للموضوع لدى أم زوجي..

قالت السلطانة إنني موافقة فاذهبي ومهدي للموضوع. وسوف أدعوكم بعد بضع دقائق لتكون كلمتي نهاية في هذا الشأن .. فذهبت سلمى إلى أم زوجها وأخبرتها بما طلبته منها السلطانة .. وهي رقصة لا يمكن أن تؤديها متقنة إلا بقبعة الريش .. وأوضحت سلمى أنها اعتذرت للسلطانة ولكنها

الحت.. فإذا استطعت أن تقنعي السلطانه بإعفائي من هذا الرقصة فإنني أكون سعيدة فليس لي رغبة في أن أرقص أكثر مما رقصت..

وفي هذه الأثناء جاء رسول السلطانة يدعو سلمى وأم زوجها فذهبتا .. تكلمت السلطانة فقالت.. لأم الزوج لقد طلبت من سلمى أن ترقص لنا رقصة قبعة الريش.. ولكنها اعتذرت بأعذار منها أن قبعة الريش ليست عندها.. ولذلك فإنني أطلب منك أيتها الوالدة العزيزة أن تعطيها قبعة الريش.. حتى تؤدي هذه الرقصة ثم تعيدها إليك.. فاعتذرت أم مبارك بأن هذه القبعة أمانة.. وأن ولدها أكد عليها أن لا تسلمها لسلمى مهما كانت الظروف..

قالت السلطانة لأم مبارك سلمي لي قبعة الريش .. وأنا المسؤولة عنها.. في استلامها منك وتسليمها إليك.. وأرجو أن لا نضيع الوقت في جدل لا جدوى منه.. فأنا المسؤولة عن كل ما يحدث وأنا الكفيلة بالتعويض عن كل ضرر يطرأ من جراء هذا التصرف.. وعندئذ رأت أم مبارك أنه لا مناص من إجابة طلب السلطانة .. ولا مجال للاعتذار..

ذهبت أم مبارك وجاءت بقبعة الريش وسلمتها للسلطانة.. وسلمتها السلطانة بدورها إلى سلمى وقد نسينا أن تذكرا أن ولدي سلمى كانا ممن حضر هذا الحفل مع والدتهما وجدتهما.. ولبست سلمى قبعة الريش وتقدمت إلى المسرح.. وهي تكاد تطير من الفرح..

رقصت رقصة بديعة دهش لها جميع الحاضرين. وصفقوا لها طويلاً.. وعندما انتهت طلبوا إعادتها ولكنها ذهبت إلى السلطانة.. فقالت لها أن لدي رقصة أخرى أحسن من الأولى.. وهي تحتاج إلى إحضار ولدي معي في حلبة الرقص فدعت السلطانة الجدة والأولاد وطلبت أن يكون أولاد سلمى معها في حلبة الرقص..

جاء الأولاد إلى جانب أمهم فرقصت رقصة بديعة ثم جعلت أحد ولديها تحت يدها اليمنى والآخر تحت يدها اليسرى.. ثم واصلت الرقص.. وشده كل من في الحفل.. ولم يشعر المشاهدون وهي ترقص إلا وهي ترتفع عن الأرض قليلاً.. قليلاً فظنوا أن هذا جزء من الرقصة.. ولكنها استمرت في الارتفاع إلى أن بلغت أعلا الحائط.. فوقعت عليه.. والمشاهدون لا يكادون يصدقون ما تراه عيونهم..

قالت سلمى لأم زوجها .. إنني مسافرة إلى أهلي .. فإذا كان زوجي يريدني فليلحق بي في جزيرة الريحان وواصلت وصاياها قائلة: أبلغي مبارك تحياتي وشكري فلقد كان إنساناً شهماً كريماً عشت بجانبه فترة من الزمن سعيدة .. كان خلافها يمثل بالنسبة إلى دور الأب والأم والزوج الوفي.. الحكيم في تصرفاته ..النابض قلبه بكل خلق سام..

عندما انهت كلامها هذا حلقت بأولادها في الجو وكل من في الحفل ينظر إليها ويعجب منها.. ويعجب بها.. وصارت حادثة طيرانها بأولادها حديث المدينة.. والأسطورة الغريبة التي

يتحدث عنها المواطنون.. ورجعت والدة مبارك إلى دارها وهي كسيرة الفؤاد متكدرة الخاطر.. كيف ستواجه ابنها بالنبأ إذا قدم سالماً من سفره.!! كيف ستعتذر له.. كيف ستبرر له فعلتها الشاذة التي خالفت بها جميع وصاياه وتأكيداته..

إنها لا تدري ماذا تصنع.. ولا سيما بعد الحادثة .. فإنها قد فقدت السيطرة على أفكارها.. والتبست عليها الأمور.. وتداخلت الحلول فلا تدري ماذا تقول .. ولا كيف تعتذر .. وإذاً فإن عليها أن تترك هذا الأمر إلى وقته المناسب فلعل أعصابها تهدأ.. ولعل فكرها يمدها بعذر يبرر فعلتها..

ومضت أيام قدم بعدها ابنها مبارك.. وكان قلبه يخفق بالأماني العذاب لأنه قادم على زوجته الوفية وأبنائه المحبوبين.. ووالدته الحنون.. ولكنه ما كاد يلج البيت.. حتى وجده خلاءاً بلقعاً ليس فيه من دواعي الإنس أي أثر.. ولم يجد إلا والدته العجوز التي زادت الحادثة .. من كبرها وقدمتها إلى الشيخوخة عشرات السنوات.

وسألها ولدها في لهفة وجزع.. أين سلمى وأولادها يا والدتي العزيزة؟! فقالت له الوالده حط رحالك وتعال إلي يا ولدي لأخبرك بالواقع.. فازداد قلق مبارك واستبدت به شتى الظنون.. ما هو الذي حدث بالضبط.. وهل يمكن تلافيه.. وما هي أسبابه ودوافعه .. إنه لا يدري .. وحط رحاله وجاء إلى جانب والدته..

أخبرته بقصة هروب سلمى بأولادها من أولها إلى آخرها..

فكاد يصعق من هول الصدمة .. ولكنه تماسك وتجلد وقال:- إنا لله وإنا إليه راجعون.. لقد وقع ما كنت أخشاه.. وجل الأمر عن العتاب فلا مجال للوم ولا التقريع..

رجع إلى نفسه فقال إنه هو الملوم الأول فقد استودع السر عند من لا يستطيع حفظه . وحمل الأمانة من لا يقوى على حملها.. ثم جعل يتأمل في وصايا سلمى.. وما قالته لوالدته عند وداعها الأخير فهدأت تأثرته قليلاً واطمأن إلى أن هربها ليس عنه قلى ولا كراهية.. ولكنها طبيعة المرأة تريد أن يتبعها فارسها.. وأن تكبده بعض المشاق.. ليعرف أنها ليست شيئاً تافهاً يناله المرء بمنتهى السهولة.. وإنما هي شيء ثمين لا يستطيع أن يحصل عليه إلا من يبذل الغالي والرخيص في سبيله..

لقد جاءته في المرة الأولى إلى بلده وهو مجيء غير مقصود بل فرضه عليها الاستيلاء بالقوة وعليه الان أن يرحل إليها رحلة مقصودة يتكبد مشاق الاسفار في سبيل الوصول إليها.. ان هذا يعيد إليها شيئاً من كرامتها.. ويشعرها بأنها مرغوبة ومطلوبة..

وإذاً فلا بد من الرحلة .. مهما كلفت من وقت ومال وجهد.! إن بيته أصبح بالنسبة إليه الآن كالقبر الموحش.. ووطنه أصبح فيه كالغريب وما دام الأمر كذلك فليعد العدة للرحيل إلى جزيرة الريحان.! انه قد سمع بها في أسفاره إلا أنه لا يعرف مكانها بالتحديد.! ولا يعرف المسافات التي تفصل بينه وبينها.. وهذا كله لن يثنى من عزمه.. ولن يفت في عضده..

الرحيل.. الرحيل.. وتجاوبت أصداء الرحيل في نفسه.. وملأت جوانحه.. وصار الرحيل هو همه الوحيد يمسي وهو يفكر فيه ويسبح وهو يفكر فيه.. وبدأ يستعد بالراحلة وما يلزم للسفر من أدوات واستعداد خفيفة.. وتم له ما أراد واجتمعت لديه جميع لوازم السفر وهيأ لوالدته ما يضمن لها عيشاً مريحاً وجاء لها بخادمة تقوم بما تحتاج إليه تحضير طعام وتهيئة شراب.. وأودع عند أحد التجار مالاً لنفقة على والدته وخادمتها فهو لا يدري هل يطول به السفر أم يقصر .. كما أنه لا يدري هل يعود سالماً من سرفه أم تكون نهايته في هذا السفر.!

شد الرحال وواصل السير ليلاً ونهاراً.. لا يأخذ من النوم والراحة إلا ما تدعوه إليه الضرورة.. وبعد أيام طوال من السير الحثيث وصل إلى مدينة في آخر اليابسة.. حيث لم يبق أمامه إلا بحار ومحيطات واسعة عميقة .. فباع راحلته ..وباع كل ما لا تدعو إليه حاجته وسكن في أحد الفنادق..

جعل مبارك يجيء ويروح في سوق التجار.. ويتفحص وجوههم فلما رأى أحد التجار توسم فيه الخير .. وأمل فيه الخبرة والدراية.. فجلس إلى جانبه.. وقال معرفاً بنفسه أنا رجل غريب أريد السفر إلى جزيرة الريحان.. لأن لي ابن عم هناك أحب زيارته.. وأنا لا أعرف شيئاً عن الطريق إلى هذه الجزيرة .. ولا كيف الوصول إليها..

التفت إليه التاجر بكل جسمه وقال يا بني.. إن جزيرة

الريحان بعيدة عنا ويفصلنا عنها كثر من البحار المتلاطمة.. والسفر إليها خطر جداً والمراكب لا تذهب إليها خوفاً من أخطار البحر.. وليس هناك من أمل إلا أن يأتي بعض المراكب التي تجازف طمعاً في الربح فتسافر إلى تلك الجزيرة .. وسفر هذه المراكب ليس له وقت معروف.. وإنما أنا أعدك بأن تسافر في أول مركب من هذه المركب مع العلم أنه يبقى في مياه البحر قبل وصوله إلى الجزيرة ما يقرب من شهرين أو ثلاثة أشهر حسب اتجاهات الرياح.. وحركاتها..

فأجاب مبارك بأنه سوف ينتظر إلى أن يأتي أحد هذه المراكب وقال مبارك للتاجر إنني أسكن في الفندق الفلاني.. وسوف أمر عليك كل يوم لتخبرني إذا وجد مركب يقصد جزيرة الريحان.. واستمر مبارك على التردد على هذا التاجر.. وطال تردده..

إلى أن جاء ذات يوم فبشره التاجر بوجود مركب مسافر إلى تلك الجزيرة.. وقال له التاجر: - هذه تذكرة الركوب وهو سوف يقلع في هذا اليوم مساء فعليك أن ترتب أمورك.. وأن تأخذ ما يلزمك للسفر وتذهب إلى المركب قبل غروب الشمس..

فأسرع مبارك إلى الفندق وجمع حاجاته وحاسب صاحب الفندق ثم أسرع إلى المركب.. ووضع امتعته في ركن منزو منه وسأل عن الربان فدل عليه فسأله عما يحتاج إليه في سفره فأخبره وذهب مبارك إلى السوق .. فاشترى كلما يلزمه.. وعاد إلى المركب وهو قرير العين.. هادىء البال .. يمنى نفسه

بقرب الوصول إلى الحبيب.. بل الأحباب زوجته وأولاده إنه لا يفصل بينه وبين زوجته الحبيبة وأولاده الأعزاء .. إلا هذه المياه.. التي سوف يتغلبون على أخطارها بإذن الله.. ويسصلون إلى هدفهم سالمين..

وواصل المركب سيره ليله ونهاره .. وكانت تمر بهم ساعات حرجه.. حيث تهب عليهم عواصف هو جاء تعرقل سيرهم تارة.. وتارة توقفه تماماً .. لا أن العزم والتصميم لا يقف في وجهه عواصف ولا معوقات.. واستمروا في البحر بين جزر من العواصف ومد وهم في كفاح البحر.. لأنها حياة أو موت بالنسبة إليهم.. وإذاً فإن على كل راكب أن يبذل من العون والمساعدة كلما يقدر عليه..

وقرب المركب من الجزيرة وتحرك قلب مبارك وعواطفه وآماله.. وجعل يتخيل زوجته وأولاده في ذهنه وكيف سيلقاهم.. ما هي الوسيلة التي سيتذرع بها إليهم إنها قد تكون ابنة ملك أو أمير أو تاجر من تجار البلاد ووجهائها.. فكيف يصل إليها.؟ وصار يعمل فكرة في استعراض الطرق التي يمكن التوصل بها.؟ مع اختيار احسنها وأليقها به.. وأليقها بالحبيبة..

ووصل المركب بسلامة الله إلى الجزيرة بعد كفاح مرير.. وجهود جبارة.. وليالي حالكه ..وكانوا في كل واحدة منها يرون خطر الهلاك قاب قوسين أو أدنى.

وسكن مبارك في أحد الفنادق . . وجعل يتجول في المدينة لعله يرى ما يدله على مقصوده .. وبقي عدة أيام في

البحث والتحري.. إلى أن مر ذات يوم بقصر عظيم قيل له أنه بيت أحد تجار المدينة الكبار وأحس إحساساً خاصاً.. إحساس الوالد وإحساس المحب المحبوب بأن حبيبته في هذا البيت..

وقفت به قدماه عند باب هذا القصر.. وصار يتطلع إلى داخله لعله يرى ما يصدق ظنونه.. ولمح طفلاً في حديقة القصر.. أنه يشبه ولده سالم.. فلعله هو.. إنه بعيد عنه.. إنه لا يستطيع أن يتحقق أنه هو.. ولكن قلب الوالد خفق لهذا الطفل .. ومال إليه.. أنه يشبهه.. لعله يقرب .. لعله يتكلم ليرتفع اللبس وتنجلي الحقيقة.

قرب الطفل من باب القصر وملأ مبارك عينيه منه.. إنه سالم برسمه وجسمه.. فليهرب من هذا القصر لئلا تفضحه عواطفه فيسلك طريقاً في التعريف بنفسه لا يليق به.. ولا يليق بحبيبته وعاد إلى الفندق وقد هدأت نفسه.. وشعر بسرور عظيم لا حد له.! لقد وجدهم.. ولكن كيف يعرفهم بنفسه؟! وفكر وأطال التفكير وقلب الأمر على مختلف وجوهه واستعرض الحلول الممكنة حلاً.. حلاً .. ولكنه لم يجد حلاً يرضى عنه . ويطمئن إلى وجاهته..

استمر على ذلك اياماً.. والشوق يلهب قلبه والآمال العذاب تراود خاطره.. وأخيراً اهتدى إلى الحل لقد تعرف بشخص في هذه المدينة.. أنه صاحب الفندق الذي كان معجباً بمبارك فاتحاً له قلبه فأخبره مبارك بقصده.. وأن كل ما يريده أن تعرف الحبيبة مكانه في الفندق .. فإذا عرفت ذلك فإنها

سوف ترشده إلى الحل الصحيح..

قال صاحب الفندق إنني سوف أرسل والدتي إلى أهل هذا القصر.. فإذا رأت سلمى فإنها سوف تسر إليها بخبر مبارك ومكان إقامته وتعطيها خاتمة الذي تعرفه سلمى تمام المعرفة.. فوافق مبارك على هذه الطريقة وذهبت والدة صاحب الفندق وأدت الرسالة وأدت الرسالة على أكمل وجه.. وعلمت سلمى بوجود زوجها ووالد أولادها وخفق قلبها وازداد شوقها إلى لقائه..

ولكن اللقاء يجب ان يكون شريفاً يليق بمكانتها .. ومكانة والدها في البلد .. وأخبرت سلمى والدتها.. وأخبرت الوالدة زوجها.. فسر الجميع بهذا النبأ.. وأرسل والد سلمى إلى مبارك وطلب منه أن يقابله في مكان سري لا يعرفه أحد.. ولا يطلع على اجتماعه به أحد. وحصل اللقاء.. وحصل الاتفاق على أن يعد هذا لتاجر مركباً محملاً بالبضائع.. والأرزاق فيذهب به مبارك إلى جزيرة أخرى فيبيع تلك البضائع كلها.. ثم يأخذ ثمنها ويشتري به مركباً خاصاً .. فيحمله بالبضائع والهدايا والتحف المطلوبة في جزيزة الريحان..

وبعد أن يتهيأ للسفر يرسل رسولاً إلى والد سلمى يخبره بأنه تاجر من التجار قادم إلى جزيرة الريحان ومعه بضاعة لهذه الجزيرة.. وأنه سوف يحل ضيفاً على والد سلمى.. وهكذا حصل وجاء الرسول وبلغ والد سلمى واهتم والد سلمى بقدوم مبارك وأخبر جميع التجار بهذه البضاعة.. وقال لكبار التجار أن هذا تاجر عظيم وأن عليهم أن يستقبلوه استقبالاً حافلاً لتوثيق

الروابط والعلاقات بينه وبين أهل هذه الجزيرة واردف قائلاً:-

لا شك أن جزيرتنا وسكانها سوف يجنون من هذه العلاقة الطيبة بهذا التاجر الكبير أطيب الثمرات.. فاستجاب التجار ورحبوا بالفكرة.. وبدأت الاستعدات لاستقبال مبارك وبضاعته ووصل مبارك فوجد وجهاء جزيرة الريحان كلهم في استقباله فرحبوا به.؟ وحيوه.. فرد التحية بأحسن منها.. وقال والد سلمى لمبارك إنك ضيفي وسوف أقيم لك في هذه الليلة حفلة تليق بمقامك..

ووافق مبارك.. ودعى والد سلمى جميع التجار ووجهاء البلاد إلى هذه الحفلة.. وجاء موعد الحفلة فتوافد المدعوون إليها فكانت حفلة بهيجة تجلى فيها الكرم والتكريم.. ثم صار التجار وكبار البلاد يقيمون الحفلة تلو الحفلة لمبارك فكان نجم المجتمع.. وضيف الشرف في تلك الحفلات التي استمرت فترة طويلة من الزمان! كانت حديث أهل البلاد..

بعد ذلك تقدم مبارك حسب الخطة المرسومة إلى خطبة سلمى.. فرحبوا به .. وجيء بقاضي البلاد وأحضرت الشهود.. وتم عقد صوري أمام أعين سكان الجزيرة.. أما العقد الحقيقي فهو موجود سابقاً.. ومعترف به من جميع الأطراف المعنية.. وتم العقد وتم الزواج في احتفالات بهيجة.. وعاش مبارك مع زوجته سلمى.. وبين أولاده المحبوبين بقية أيام حياته.. إلى أن جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

أناجحة ولد علي

٩- يحسبُون راسي في ظلام الليل منصبه

توافد الأطفال إلى جدتهم كالعادة بعد صلاة المغرب .. وطلب منها أحدهم أن تقص عليه سالفة جحة ولد علي.. فقالت الجدة حباً وكرامة وأول شيء أبدأ به هو أن أعرفكم عن جحه هذا لتعرفوا سر تصرفاته فهو رجل عالم فاضل محنك .. يعرف من أمور هذا الكون وأسراره الشيء الكثير..

ولكنه رأى أو وجد بطريق التجربة أن علمه وتجاربه هذه لا مجال لاستعمالها بل أنها قد تكلفه من المشاق أكثر مما يحتمل شخص مثله.. ولذلك ترك العقل والعلم والوقار جانباً.. وتظاهر بالبلاهة والعتة والطيش.. مع أنه من أعقل الناس وأعلمهم .. وأبعدهم عن الطيش..

والمهم أنه رأى أن هذا المسلك هو السبيل الوحيد للخلاص من المشاكل والمضايقات والمسئوليات التي لا مجال لأداتها على الوجه الأكمل.. فصار جحه هذا يضع عسيباً بين رجليه

ويركض به في الأسواق زاعماً أنه حصان وهو فارسه..

وكان الخاصة من الناس يعرفون علمه وفضله وعقله.. والكثير منهم يظنونه مجنوناً.. واستمر على هذه الحالة واستمرأها فقد أبعد نفسه عن المشاكل والمسئوليات الجسام التي لا بد أن يتحملها كعالم.. وصار همه أن يدور في الشوارع فوق حصان من الجريد.. وأن يتبعه بعض الصبية في بعض الأحيان فيعبثون كما يعبث .. ويعبث هو كما يعبثون .. وكانت والدة جحة تخزن قلالاً من التمر وهي جمع قلة وعاء من خوص النخل يبل التمر بالماء ثم يوضع فيه ويكون ثقل الواحدة بقد ما يقل الرجل..

حاول جحه أن ينبيع شيئاً من هذا التمر ليستفيد من ثمنه.. فمنعته والدته وقالت له أن هذا التمر أمانة.. للبدو.. وأراد أن يأكل منه.. فقالت إن هذا خيانه.. فالأمانة يجب أن تحفظ وتصان.. وأن لا يعتدي عليها.. وحاول من عدةجهات أن يستفيد من هذه القلال من التمر فلم تمكنه والدته من شيء مما أراد..

وفي ذات يوم.. وفي غفلة من غفلات أمه وذهابها لبضع الزيارات العائلية.. خرج جحه إلى وسط السوق فرأى قافلة من قوافل الأغراب فصاح فيهم: - «يا بدوا خذو خصفكم (أي تمركم وقلالكم) يا بدوا ضيق علينا.» وشرع الباب..

عند سمع البدوا ذكر التمر وحمله.. ورأوا الباب مفتوحاً على مصراعية انهالوا على الدار.. ودخلوا من الباب فوجدوا التمر مرصوصاً في جانب من جوانب البيت فأناخوا جمالهم



وتأتي امرأة لتأخذ راس جحه ظانة أنه حجر فيصيح في وجهها
فتفزع وتصرخ في الحي أن اهربوا فالأرض فيها جن
فيهربون ويتركون كل شيء لجحه

وحملوها بالتمر.. ثم خرجوا به إلى الصحراء .. وهم فرحون مسرورون .. فلقد رزقهم الله تمراً أخذوه بلا ثمن.. وجاءت والدة جحه ورأت بيتها خالياً بلقعاً.. لقد أخذ التمر.. وهو الكنز الوحيد الثمين الذي تحتفظ به لقوتها.. وقوت أهل بيتها..

رأت ولدها جحه فسألته أين التمر.!! فقال أنه للبدو وقد أخذه البدو فشقت الأم جيبها وصاحت وولولت وبكت .. وقالت لولدها لقد كنت أكذب عليك فليس هو للبدو ولكني أردت أن لا تعبث فيه.. وأن يبقى لنا نقتات منه ونبيع ما زاد على حاجتنا فنستفيد بثمنه في جوانب أخرى من حياتنا..

جعلت والدة جحه تدعو بالويل والثبور.. وجور الزمان والدهور فقال لها ولدها ما دام الأمر كذلك يا والدتي فإن علي اعادة التمر فاهدئي نفساً وطيبي خاطراً .. ولا تخبري أحداً بما حصل.. فإنني سوف اصلح غلطتي وأعيد إليك التمر.. وكلما أريده منك هو ضبط الأعصاب والصبر إلى الصباح.. ففي صباح الغد سوف تجدين تمرك في بيتك..

هدأت والدة جحه واطمأنت إلى وعد ولدها فهي تعرفه.. إذا قال قولاً نفذه .. وإذا وعد وعداً صدق فيه.. وإذا أراد شيئاً ناله.. ولبس جحه ثياب الأعراب وخرج مسرعاً إلى الصحراء متتبعاً آثار القوم إلى أن أقبل الليل فإذا هو يجدهم قد حطوا رحالهم ونصبوا بيوت الشعر.. وبدأ النساء يبحثن عن الحطب.. والرجال يصلحون ويرتبون أثاثهم..

جاء جحه إلى أن قرب منهم وحفر لنفسه حفرة ثم دفن نفسه فيها .. ولم يترك خارجاً إلا رأسه.. وعندما احلولك الظلام جاءت أمراة تبحث عن مناصب وهي جمع منصبه وهي حجارة تنصب عليها القدر لتوقد تحته النار.. ورأت المرأة سواد رأس جحه فظنته حجراً قد استعمل منصبة وأسود من النار.. فذهبت إليه.. وأهوت عليه لتأخذه.. وعندما قبضت عليه صاح بين يديها قائلاً:-

«أنا جحه ولد علي يحسبون رأسي في ظلام الليل منصبه» فذعرت المرأة وصاحت في الحي الجن!! الجن!! اهربوا .. انجوا بأنفسكم.. وكان البدو يخشون الجن ويرهبونهم .. ويبتعدون عن أي مكان تظره فيها الخيالات .. وعندما سمع الأعراب كلمة الجن.. والنداء بالهرب أخذ كل منهم ما خف من متاعة وما لحقه من مواشيه وهرب مسرعاً لا ينظر إلى من خلفه .. ولا يفكر إلا في خلاص نفسه..

قام جحه من حفرته فوجد البدو قد تفرقوا وتركوا التمر.. وتركو المواشي وتركوا الكثير من أمتعتهم فجمعها حجه .. وحملها على الجمال وجاء بها إلى والدته.. لقد أعاد التمر .. وأعاد معه الكثير من الأمتعة والمواشي وسرت والدة جحه بهذا الكسب.. وشكرت لولدها مجهودة في رد التمر..

باعوا المواشي والأثاث.. وأخذوا ثمن الجميع واكتنزوه لمستقبل الأيام.. هذه نادرة من نوادر جحه الكثيرة المعروفة..

☆☆☆

أما النادرة الثانية فهي أنه كان له صديق عنده بستان جميل فيه من جميع أنواع الأشجار والنخيل.. إلا أن كبيراً من الكبراء احتال على هذا الرجل وأخذ منه بستانه بطريقة غير مشروعة واحتار هذا الفقير كيف يصنع وكيف يستعيد حقه المسلوب ظلماً وعدواناً .. أنه يعرف أنه لو رفع قضية على هذا المحتال لما أدرك شيئاً لأن خصمه قوى.. لا يقفل في وجهه باب من أبواب الدولة وله شهرة كبيرة.. ولديه مال.. يستطيع أن يوجه به القضية لو رفعت عليه.. إلى صالحة وأن يؤثر على مجريات الأمور بماله.. وبجاهه حتى تسير القضية وفق ما يهوى .. وحسب ما يريد..

لهذا فقد فكر هذا المسكين في سلوك طريق آخر.. لعله يكون أجدى من الطريق الرسمية وفكر طويلاً في الطريق الآخر الذي يمكن أن يحقق غرضه ويعيد له حقه.. فلم يجد إلا أن يلجأ إلى صديقه جحه فهو يعرفه من قديم .. وبينه وبينه صداقة ومودة.. وصحبة قديمة.. وإذاً فليأخذ رأيه في الموضوع فلعل له رأياً في القضية يفيد..

وذهب الرجل إلى جحه وأخبره بالقصه من أولها إلى آخرها.. وطلب من جحه إن يدله على الطريق الصحيح وأن يساهم هو بطرقه الخاصة في إعادة هذا الحق المسلوب إلى صاحبه.. فوعد جحه صديقه خيراً .. ولم يعطه جواباً محدداً واضحاً فاكتفي هذا الفقير بهذا الوعد وانصرف لشأنه وترك لجحه حرية الاختيار والتصرف في الطريق الذي يراه مجدياً ونافعاً..

وفكر جحه كيف يدخل إلى قلب هذا الغنى القوي .. المعتمد على قوته.. كيف يضرب على الوتر الحساس في نفسه..؟ كيف يوقظ ضميره ليرد على صاحب الحق حقه.. بطريقه سليمة لا جدال فيها ولا مماحكه.. وأخيراً اهتدى إلى الطريقة.. واخذ معه جماعة من الأطفال وذهب إلى هذه الحديقة.. وكان صاحبها فيها فقرع عليه الباب ففتح له ..وأبلغ صاحب الحديقة بأن الطارق هو جحه.. وعرفه صاحب البستان.. أنه يعرف علمه وفضله وحكمته.. ويعرف أن مظاهر العته والبلاهه ليست إلا ستاراً يدرأ به أنواع الأذى التي توجه إلى ذوى الفضل والعقل والتجربة في زمانه...

أسرع الرجل إلى استقبال جحه والترحيب به .. وأدخله البستان هو ومن كان معه من الأطفال وتجولوا في الحديقة وأكلوا من ثمارها.. وقال جحه لصاحب البستان ان لي طلباً آمل ان تحققه فقال صاحب البستان أن طلبك مجاب ورغبتك محققه بإذن الله..

فقال جحه إنني أريد أن تعطيني هذه النخلة.. فقال صاحب البستان أتريد ثمرتها أم تريدها بكليتها؟! فقال بل بكليتها.. فقال صاحب البستان قد اعطيتكها.. وكان جحه قد اختار نخلة صغيرة.. فتقدم جحه إلى هذه النخلة وطوقها بحبل.. وطلب من الأطفال أن يحملوا هذه النخلة على ظهره.. فقال صاحب البستان ماذا تريد يا جحه.. فقال أريد أن يحملوا هذه النخلة على ظهري لأنقلها إلى المكان الذي أريد..

فقال صاحب البستان أنك لن تقوى على حملها ولو أتيت معك بعشرة أنفار من مثلك.. فقال جحه.. وكيف لا أستطيع حمل هذه النخلة الصغيرة وأنت يوم القيامة ستحمل هذا البستان كله على ظهرك ومعه سبع الأرضين التي تحته .. وإلى هنا انتهت مهمة جحه.. فقد القى الموعظة المؤثرة في نفس هذا الغني القوي الغاصب.. ووقعت الموعظة في نفس هذا الغني موقعاً مؤثراً حساساً.. جعله يفكر ويقدر ويقارن بين لذة عاجلة.. وعقوبة دائمة.. بين تعفف يعقب راحة ضمير وسعادة آخره .. وبين جشع قد يذهب بكل ما جمع.. مع الحساب والعقاب..

بعد تفكير وتبصر وتدبر .. قرر هذا الغني القوي أن يعيد البستان لصاحبه.. ولم يشعر جحه في ذات يوم إلا وصاحبه الفقير المظلوم يأتي إليه فرحاً مستبشراً يضحك ثغره وتفيض بالسعادة أساريره .. ويسارع قائلاً:-

لقد رد إلي بستاني بفضل الله ثم بفضل جهودك المشكوره.. إنني مدين لك بجميل لن أنساه مدى عمري .. وإنني أسأل الله أن يجازيك عني أحسن الجزاء .. واستمر هذا الفقير في دعواته وابتهالته الصالحة لجحه على مسعاه الحميد.. ونصحه السديد..!!

☆☆☆

ومن قصص جحه المشهورة يا أولادي ما يحكي عنه أنه كان له أخ أصغر منه فكبر وبلغ مبلغ الرجال وأراد أن يتزوج

فذهب إلى والدته يستشيرها ويطلب رأيها وعونها في هذا الموضوع الذي يتعلق بالنساء.. والنساء دائماً أدرى بالنساء من الرجال وأعرف بدخائلهن وأسرارهن..

لذلك فقد لجأ هذا الشاب إلى والدته يريد منها العون.. ويريد منها الإرشاد والمشورة .. فقالت له والدته استشر أخاك جحه فقال لها كيف استشير مجنوناً يركب عسيباً ويدور في الأسواق مدعياً أنه يركب حصاناً .. ويمثل دور الفرسان .. في معاركهم مع الأقران..

فأعادت عليه والدته القول بأن يستشير أخاه الكبير ولو كان بهذه الحالة.. وعرف الشاب رأى أمه وتصميمها على استشارة ولدها جحه.. فذهب الأخ يبحث عن أخيه في الشوارع ليستشيره لا عن اقتناع بجدوى هذه الاستشارة.. ولكن تحقيقاً لرغبة والدته وهو يعلم علماً أكيداً في نظره أنه لن يخرج بنتيجة مفيدة في هذا الموضوع من رجل معتوه أبله مثل جحه..

أخيراً وجد الأخ أخاه راكباً فوق العسيب يستحثه في الجري مع أنه يجري به.. فاستوقفه .. وقال له يا أخي إنني أريد أن أتزوج.. وأنت تعلم أنه لا خبرة لي بهذه الأمور.. وإنني أرجو أن تعطيني بعض التعليمات والنصائح التي تفيدني فيما عزمت عليه.. وتقيني مزالق الزلل في مستقبل حياتي..

فقال له جحه على البديهة وبلا تأمل ولا تفكير:- «أنذرك عن الحمص والرمص وبيت القطيعة وانحش عن درب الفرس»

ثم حرك العسيب يستحثه على السير .. وانطلق جحه

يدور على حصانه في الأسواق وكأنه يقول هل من مبارز.. فلا يظهر له في الميدان أحد فيعلم أنه فارس الميدان .. وقاهر الأقران.. وانصرف الشاب من عند أخيه وهو فرح مسرور لقد انتصر على والدته وكان رأيه في جحه في محله .. فماذا يستطيع مجنون أن يؤديه من مشورة ولا سيما في موضوع دقيق حساس مثل الزواج..

رجع الشاب إلى أمه وقال لها لقد تحقق ما كنت أظنه فلم أجد عند أخي إلا كلاماً معنى له.. ولا فائدة فيه .. إنه رموز والغاز جوفاء لا خير فيها ولا فائدة منها..

فقالت الوالدة: وماذا قال.؟! فقال الشاب أنه قال لي بالحرف الواحد «أنذرك عن الحمص والرمص وبيت القطيعة وانحش عن درب الفرس»

فقالت الوالدة لقد نصحك وبالغ في نصحك..

فقال الشاب وكيف .؟! فقالت إنه حذرك عن عيوب ثلاث عيبان في الفرع وهو المرأة التي تريد الزواج منها وعيب في الأصل والمنبت .. وهو عائلة المرأة .. فأما العيبان اللذان في المرأة فأحدهما مادي وهو الحمص وهو داء يصيب العينين فيسقط أهدابهما ويجعل أجفانهما حمراء مشوهة .. وهو يعدي وينتقل من الآباء إلى الأبناء ولذلك فقد حذرك عمن يكون فيها هذا العيب..

وأما العيب الثاني فهو معنوي وهو الرمص.. أي السقوط الأخلاقي والتسامح في العرض وبذله بدون تورع ولا حسبا

للعواقب.. ومن كانت هذه صفتها فالابتعاد عنها خير من القرب منها.. وأما العيب الثالث فهو في الأصل والمنبت والعادة أن الأصول تؤثر على الفروع.. والتربة الصالحة لا تنبت إلا صالحاً.. والتربة الفاسدة لا تنبت إلا فاسداً..!

إن العائلة العاقة المستهترة بحقوق الأقربين المستخفة بشأنهن الغامطة لحقوقهم.. هذه العائلة التي بهذه الصفة يكون البعد عنها خيراً من القرب منها .. فالأم يؤثر على النسل أكثر مما يؤثر عليه الرجل.. فهو في بطنها تسعة أشهر يتغذى من دمها.. ويدق قلبه بدقات قبلها .. ويتشرب مما ينضج منها من خير أو شر .. ثم يولد فترضعه عامان يمتص من لبنها وتتكون عظامه ولحمه من إفرازاتها .. ثم تفطمه ولكنه لا يغادر حجرها إلا سويعات قليلة ..

أما بقية الأوقات فهو معها يمشي.. أو في حضنها يضطجع.. أو بجانبها ينام وهو يراقب حركاتها وسكناتها.. ويقلدها ويحاول أن يتطبع بطبائعها..

ولهذا كله فإن للأم تأثيراً بالغاً على أطفالها.. على أخلاقهم وعاداتهم.. وطريقتهم في الحياة .. فلا جرم إذا أوصاك أخوك جحه بأن تبتعد عن منابت السوء.. وأن لا تقاربها .. لئلا تنتقل مساوئها إلى ذريتك .. فتشقى بهم.. وتشقيهم.

اقتنع الشاب بهذه النصائح .. وسار على نبراسها فوفق في حياته الزوجية.. وعاش سعيداً في بيته فخوراً بأولاده النجباء

الذي اختار لهم التربة فأحسن الاختيار.!!

وبقوا في سبات ونبات ورزقوا الكثير من البنين والبنات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعت..

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سَــالفة:

١٠- أبو الحصين والضبعة

وجاء الليل والتف الأطفال حول جدتهم طالبين منها أن تقص عليهم سالفة أبا الحصين والضبعة فقالت الجدة حبا وكرامة: هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى الضبعة قد صنعت لها بيتاً .. ورتبته وجعلته اقساماً.. منه قسم لأولادها.. وقسم لضيوفها.. وقسم لها خاص.. وقسم جعلته مخزناً لما تصطاد من الصيد وما تجمعه من القوت لها ولأولادها..

كانت الضبعة تخرج ليلاً بحثاً عن الرزق والصيد الذي تعيش منه.. وتطعم أولادها به.. وبصر بها أبو الحصين وعرف بيتها وعلم بأن أولادها الصغار فيه فنوى بها وبهم نية سيئة وهي أن يأكل أولاد الضبعة ثم يهرب في أرض الله الواسعة ويترك للضبعة هذا المكان..

صمم أبو الحصين على هذه الجريمة.. فجعل يراقب

الضبعة متى تخرج ومتى تعود .. وكيف تفتح الباب وكيف تغلقه .. ودرس الوضع من كل جوانبه.. وتصور جميع الاحتمالات ووضع لها حلولاً مناسبة..

وخرجت الضبعة ذات ليلة من بيتها ضاربة في كبد الصحرا بحثاً عن الصيد والرزق.. وخلفاها أبو الحصين إلى أولادها.. وطرق عليهم الباب كما كانت أمهم تطرقه .. وقال لهم افتحوا لي الباب فأنا أمكم وقلد صوت أمهم تقليداً كاملاً فكاد أصغرهم أين يفتح له الباب إلى أن الكبير أوجس من هذا القادم خيفة.. فموعد قدوم أمهم لم يحن بعد كما أن الصوت يظهر للبصير الفطن أن فيه اختلافاً عن صوت أمهم..

لهذا فإنه أمسك بيد أخيه.. وقال له لا تستعجل فلعل الطارق غير أمنا.. اتركوا الأمر لي .. لمعرفة الحقيقة.. وتكلم الابن الكبير مع الطارق وقال له:- إذا كنت أمنا فأدخل ذنبك علينا من ثقب الباب لنرى هل هو ناعم أوخشن فلما أدخل ذنبه عليهم وجدوه خشناً .. ومعنى هذا أنه ليس ذنب أمهم وإنما هو ذنب مزور محتال يريد بهم سوءاً..

فقالوا له إنك لست أمنا لأن ذنب أمنا ناعم وذنبك خشن.. فعلم أبو الحصين أن أمره قد انكشف للأولاد.. وأنه لا مجال للمغالطة ولا للخديعة..

إلا أن لم ييأس فقال لهم بصوت ناعم رقيق لطيف . . وكيف تجعل أمكم ذيلها ناعماً .. فقال الأولاد بسلامة نيه.. وطيب قلب إنها تمسحه ليلياً بصفار البيض فيجعله ذلك ناعماً



الثعلب يحاول الدخول إلى كوخ الضبعة ليأكل أولادها..
ولكنه يفشل في محاولته الأولى

لطيفاً نعرف أمنا به.. ولا يشتبه ذنبها بأذناب الحيوانات الأخرى.. فقال أبو الحصين في نفسه الآن وصلت إلى أول الطريق وسوف أسير فيه إلى لنهاية .. وودع أبوالحصين أولاد الضبعة.. قال لهم أنه صديق لوالدتهم.. ومحب لها.. وقد جاء لزيارتها لأنه تربطه بها روابط متينه من الحب المتبادل.. والمنافع المشتركة.. ولهذا فهو سيذهب الآن على أن له عودة عندما تأتي والدتهم..

ودعهم أبو الحصين بهذا الكلام الرقيق وذهب ليهيء لذنبه ما يجعله مماثلاً لذنب الضبعة.. ويستدرك في الجولة الثانية ما فاته في الجولة الأولى.. وليتلافى أخطاءه كلها حتى تأتي حيلته محكمه.. من جميع النواحي .. وناجحة كل النجاح..

وذهب أبو الحصين إلى الدجاجة فقال لها أعطيني بيضه.. فقالت أعطيني حباً لأعطيك بيضه.. فذهب إلى فلاح فقال له أعطني حباً قال أولاً حئني بنقود.. فذهب إلى أحد الصيارف فقال أعطني نقوداً.. فقال أولاً حئني بزبدة بقرة.. فذهب أبو الحصين إلى البقرة وقال لها أعطيني زبدة فقالت أولاً أعطيني برسيماً..

ذهب أبوالحصين إلى الصحراء واصطاد جربوعاً وجاء به فسلخ جلده وأكل لحمه وعمل من جلده غربا أي دلواً كبيراً.. وذهب إلى بعض الآبار المهجورة وركب غربه على البئر.. بعد أن وضع محالة ودراجة ورشاء وسريحاً.. ثم جعل يمتح الماء من البئر ويسقى حوض البرسيم الذي فرق فيه البذر وقلب أرضه

سافلها عالها..

جد الجد لدى أبي الحصين في استخراج الماء لري البرسيم.. وصار يردد هذه الأغنية:- «يا غربنا يا لدوبلي إظهر ولوماً تمتلي» «يا غربنا يا لدوبلي إظهر ولو ما تمتلي» . واستمر على هذه الحالة بضعة أيام يعمل فيها ليل نهار ويردد اغنيته بصوت رتيب ونغمة جاده صامده.. إلى أن أخضر البرسيم وخرج على سطح الأرض فكان منظره بهيجاً.. يشجع على الاندفاع في إخراج الماء أكثر فأكثر ..

استمر السقى واستمر نمو البرسيم وصعوده إلى أعلى إلى أن بلغ المستوى الذي يحصد فيه فحصده وأخذ منه حزمة عظيمة وذهب بها إلى البقرة فقدمه لها ثمناً لما طلبه منها الزبد.. فأكلته البقرة ثم أمدته بطلبه من الزبد.. وذهب به حالاً إلى الصيرفي فأعطاه إياه فأعطاه الفلوس المطلوبة..

فأخذ الفلوس وذهب بها إلى الفلاح ليعطيه الحنطة فأخذها ثم جاء إلى الدجاجة فرمى الحب أمامها فجعلت تأكل منه وتقوقيء للبيض ومنح أبي الحصين ما طلبه منها..

وعندما نال أبو الحصين طلبه من البيض ذهب به إلى مكان خفي وأخذ في دهن ذنبه بصفاره إلى أن صار رقيقاً ناعماً لا يشك من يلمسه أنه ذنب الضبعه فلما تم له هذا العمل اتجه إلى بيت الضبعة ورابط حوله حتى خرجت الأم وبقي الأولاد وحدهم وبعد فترة من الوقت تحقق فيها بعد الضبعة .. جاء إلى الباب قرعه كما كانت الضبعة تقرعه .. وقال افتحوا لي فأنا

أمكم نسيت حاجة تلزمين في ذهابي إلى الصيد..

وعندما سمعوا صوته هذه المرة لم يشكوا أنه أمهم.. ولكنهم زيادة في الحذر والتأكد قالوا له أدخل ذنبك علينا لنرى هل هو ناعم أو خشن.. فأدخل ذنبه عليهم .. وهو لا يشك في أنه لا فرق بين ذنبه وذنب أمهم.. وعندما لمسوا ذنب أبي الحصين لم يشكوا في أنه ذنب أمهم ففتحوا له الباب وعندما رأوا وجهه عرفوا أنه عدوهم اللدود أبو الحصين..

تفرق أولاد الضبعة في زوايا البيت .. فمنهم من دخل في شق جدار ومنهم من دخل تحت قدر من القدور.. ومنهم من دخل في مكحله..ومنهم من دخل تحت الفراش.. وهكذا فروا من وجهه سريعاً وكانوا قد أعدوا المخابيء.. والتحصينات الداخلية استعداداً للطواريء من أمثال هذه الحالة التي يتعرضون لمثلها في كل ساعة وآن..

وحاول أبو الحصين صيد أكبر عدد منهم.. ولكنه لم يفز بطائل.. وذهب تعبه واستعداده كله إدراج الرياح وخرج من بيت الضبع يجر أذيال الخيبة والأفلاس.. وعلم أن الضبعة لن تترك ثأرها يضيع .. فقد انتهك أبو الحصين حرمتها.. ودخل بيتها بدون إذنها وحاول أكل أولادها.. ولو حصل عليهم لأكلهم.. ولكنهم نجوا منه بأعجوبه..

إذاً فلا بد أن تطلب الضبعة بثأرها.. وما دام الأمر كذلك فلا بد من الجلاء عن الوطن.. إن العيش في ظل الخوف وترقب الشر لا يطاق.. فلا بد من الرحيل .. وليفتح الله باباً

آخر من ابواب الرزق.. وليسهل له وطناً ثانياً.. يعيش فيه بأمان واطمئنان ورغد من العيش..

وشد أبو الحصين الرحال.. وأركب جدته على حمار اشتراه لهذه الرحلة.. ومشى في هذا الطريق المجهول الذي لا يدري أين يؤدي به..

وعثر الحمار في أثناء الطريق فسقطت الجده.. واندقت عنقها وماتت.. إلا أن أبا الحصين أراد أن يستغل هذا الحادث لصاحله.. وأن يكسب من ورائه كسباً مادياً من قوم لا دخل لهم فيه .. من قريب ولا بعيد..

فربط جدته على ظهر الحمار وعدل من وضعها بحيث أن من يراها لا يشك في أنها حيه.. وسار بها على هذه الحالة... ورأى في طريقه مزرعة فترك الحمار يذهب إليها... والجده على ظهره.. وأخذ الحمار يأكل من الزرع.. ويحطمه بأقدامه.. فصاح صاحب المزرعة أن أخرج حمارك عن الزرع.. إلا أن الراكب لم يحرك ساكناً.. ولم يسكن متحركاً.. وصاح صاحب المزرعة ثانية وثالثة.. فرأى التجاهل التام لصياحه إنذاراته المتكررة..

اشتد بالفلاح الغضب وفار دمه.. فأخذ أكبر شيء وجده أمامه وهو قطعة من الخشب طولها متران.. وقبض عليها بكفه الأيمن.. وركض مسرعاً إلى الحمار وراكبه فلما أدركهما.. أهوى على الراكب بضربة قوية هزته هزاً عنيفاً.. ثم أهوى على الحمار فضربه ضربة أخرى فقفز الحمار قفزة قوية سقطت الجدة

على أثرها من فوق ظهره.. فاندق عنقها للمرة الثانية..

كان أبو الحصين في هذه الأثناء يرقب الوضع من بعيد.. فلما رأى الحالة وصلت إلى ما وصلت إليه.. وجد أن الفرصة الآن مواتية له.. لنيل المكاسب على حساب جدته..

صاح أبوالحصين بأعلاه .. لقد قتلت جدتي وجاء مسرعاً فاحتظن جدته.. وصار يبكي عند رأسها ويندبها ويعدد مزاياها الكثيرة التي قد لا تكون فيها واحدة منها.. ولكنه يريد أن يرفع من مكانتها.. ليأخذ الثمن غالياً.. والفدية المناسبة..

ارتفع صوت أبي الحصين بالصراخ والعويل.. والدعاء بالويل والثبور.. لقد قتل الفلاح جدته.. وآثار الضرب موجودة.. ومعالم الجريمة بارزة.. وتجمع الناس حول أبي الحصين.. كما يتجمعون عادة عند كل حادث .. وكما يلتفون حول كل مهرج وازداد اللغط.. وارتفعت أصوات النقمة على الجاني.. وتعددت الآراء والاقتراحات من النظارة لأبي الحصين برفع قضية ضد الجاني..

منهم من اقترح الهجوم على الجاني.. وأخذ الحق منه بالقوة ودق رقبته حتى تتحطم كما دق رقبة هذه العجوز المسكينة.. وكثرت الآراء في هذا الحادث .. وما يجب أن يعمل للأخذ بالثأر وكان ذلك كله بمر وبمسمع من الفلاح المسكين الذي فقد أعصابه وتصرف تصرفاً خاطئاً بدأت نتائجه السيئة تبرز على السطح..

أسرع الفلاح إلى بعض ذوي المروءة والشهامة .. وجعلهم

وسطاء في الإصلاح .. ودفع تعويض معقول لأبي الحصين عن جدته على أن يكتب تنازلاً عن جميع حقوقه في هذه الحادثة.. وسعى وسطاء الخير.. وجاءوا إلى أبي الحصين.. طالبين منه أن يعفو ويصفح.. وأن يقبل الديه.. فقال أبو الحصين إنني لا آخذ نقداً مهما كثر عوضاً في جدتي..

أن جدتي بالنسبة إلى كانت كنزاً ثميناً لا يعادله أي كنز.. فهي مؤنستي وهي رفيقتي .. وهي عوني في الشدائد.. وهي التي تسامرني إذا عز الأصدقاء.. وتسليني إذا ارهقتني الهموم وتساعدني إذا قل المساعدون.. وعلى العموم فهي تهتم براحة نفسي وراحة جسمي في آن واحد.. فكيف استطيع أن أجد عوضاً عن هذه الأمور كلها..

إنني لو وجدت عوضاً عن الأمور المادية.. فلن استطيع أن أجد عوضاً عن الأمور المعنوية .. وجعل أبو الحصين يضرب على هذا الوتر .. إلى أن كادوا ييأسوا من قبوله الدية من كثرة ما أفرط في مدح جدته..

إلا أن أحد الوسطاء كان ذكياً .. عارفاً بالأمور فخلا بأبي الحصين.. وقال له إنني أرى أن لا تعقد الأمور.. فأن من الخير لك أن تقبل الديه.. وسوف أسعى أن تكون مضاعفه.. فبدل أن يعطوك دية واحدة.. يعطونك ديتين .. فاقبلها سريعاً ولا ترفضها لئلا تطلبها في ظروف أخرى فلا تجدها.. واعلم أن القضاء قد لا يعطيك أي حق لأنك معتد .. وإذا أعطاك فقد لا يعطي أكثر من دية واحدة بينما نحن الآن نعرض عليك

ديتين..

قال الناصح هذا الكلام وقال لأبي الحصين إنني أعطيك فرصة يوم كامل للتفكير في الأمر واختيار ما تطمئن إلى أنه في صالحك فوافق أبو الحصين على أن يؤجل الموضوع إلى الغد فالعجلة من الشيطان.. والتأني في مثل هذه الأمور أفضل من التسرع فيها فالحقوق محفوظه. والطريق إليها واضحة.. ولا داعي - إذاً - للرفض أو الموافقة حالاً..

وجاء اليوم الثاني وغدا الوسطاء إلى أبي الحصين وجددوا له العرض .. وطلبوا منه أن يبت في الموضوع إما بالقبول أوالرفض.. وفكر أبو الحصين قليلاً ثم قال للوسطاء:-

إن لكم عندي منزلة رفيعة.. وإن توسطكم في الموضوع يجعلني مجبراً - أدبياً - على القبول بما تقولون وإلا فإن جدتي كما قلت سابقاً لا تقدر بثمن فهي كنز لا ينفد من الأمور المادية والمعنوية.. ولكن القضاء نفذ .. ولا سبيل إلى إعادة جدتي إلى الحياة .. وليس لي رغبة أو شوق للانتقام ..والحاق الأذى بالآخرين.. ولم يبق إلا الحل الذي تقترحونه.. وأضاف قائلاً:

إنني أشهدكم أنني موافق على اقتراحكم مع ما أشعر به مع هذا التعويض من الغبن الواضح .. فإن خسارتي في جدتي لا تقدر بثمن مهما غلا .. ولا تعد لها خسارة مهما ضخمت..

واتفق الطرفان.. ودفعت الديتان وكتب التنازل عن جميع الحقوق والتبعات في هذا الحادث .. ووقع الاتفاق من الأطراف المعنية بالموضوع وشهد الشهود وانتهى الأمر..

وسر أبو الحصين بالمبلغ سروراً بالغاً فهو أكبر مبلغ من المال يدخل جيبه الخاص في حياته السابقة كلها..والتف حول أبي الحصين قرناء السوء.. وجعلوا يزينون له طرق اللهو والفساد.. ويقولون له في جملة ما يقولون : إنك لا تأخذ معك إلى القبر شئياً من مالك.. وليس لك منه إلا ما أنفقته في حاجاتك وملذاتك .. وساعات السرور هي الشيء الوحيد الذي يتمتع به المرء في حياته..

وفكر أبو الحصين فيما قالوا.. وكاد في مبدأ الأمر أن ينساق في هذا الطريق لولا أن ذكاءه الفطري جعله يفكر في عواقب الأمور.. ويفكر في هؤلاء الأصحاب.. أصحاب الرخاء والنعيم.. وأعداء الفقر والأملاق.. فسد أذنيه عن جميع ما يقولون من هذه الترهات.. والكلام المعسول الذي في باطنه السم الذعاف.. واستشار أحد معارفه العقلاء فأشار عليه بأن يحفظ هذه الثروة.. وأن يستعملها في التجارة والبيع والشراء.. وأن يأكل من أطرافها ومكاسبها.. أما رأس المال فإن عليه أن يحتفظ به.. وأن يحرص على صيانته وعدم المساس به.. وعليه أن يعرف مكانه في المجتمع فلا ينحدر إلى طبقة السفلة والدهماء.. ولا يرتفع إلى مستوى هو فوق مستواه.. فالعاقل هو الذي يعرف قدر نفسه فلا يعدو هذا القدر سقوطاً ولا هبوطاً..

استمع أبو الحصين إلى تلك النصائح بكل مشاعره وإحساساته.. ووجده أن هذا النهج هو غين الصواب.. فسلك هذا الطريق راضي النفس مطمئناً إلى أنه الطريق السليم ..

الذي يضمن له عيناً هادئاً مريحاً .. وبجنبه كوارث الزمان وتقلبات الدهر.. الذي لا يبق على حالة واحدة..!!

وعاش أبو الحصين في ظل هذه النصائح عيشاً هانئاً سعيداً غبطه عليه الأصدقاء وحسده عليه الأعداء .. وبقي على هذا النهج إلى أن جاءه هادم اللذات ومفرق الجماعات...

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سَـــالفة:

١١- عليا وأبا زيد

وأظلم الليل وحجب الأبصار عن الرؤية .. وشلت حركة أجسام الأطفال .. فلم يبق إلا أن ينشط خيالهم.. واجتمعوا عند جدتهم وطلب واحد مهم أن تقص عليهم الجدة سالفة أبو زيد الهلالي مع محبوبته عليا.. فاستجابت الجدة لهذا الطلب.. وانتصبت في مكانها المعتاد وتحلق الأطفال حولها.. فلما تكامل عددهم شرعت في القصة .. وكان من عادة الجدة أن لا تشرع حتى يتكامل العدد خوفاً من طلب الأعادة .. وتكرر الحديث الذي يكون مملاً لمن سمعه سابقاً.. وثقيلاً عليه.. وشاغلاً له عن شيء جديد ومفيد غيره..

قالت الجدة هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي.. وإلى هنا أبو زيد هو فارس مشهور قائد محنك وزعيم من زعماء بني هلال.. وكان يحب عليا .. وعليا تحبه .. وكان كل واحد منهما يرغب أن يكون للآخر شريك حياته.. إلا أن للعرب في هذا غريبة جداً .. فهم لا يزوجون المتحابين اللذين

اشتهر حبهما.. لأسباب قد لا تكون معروفة لدينا بالضبط والتحديد..

إلا أنناقد نظنها أن المحبين في السر إذا زوجا في العلن فقد يظن الناس بهما مختلف الظنون ويقولون إنه لو لم يكن بينهما شيء في السر من نزوات الشباب وهفواته لما زوجوهما.. وقد يكون السبب أن الذي يتزوج عن حب قد لا تدوم علاقته بمحبوبته ولذلك فهم يقولون في الأمثال «من خذ حب خلى عياف» ذلك لأن المحب قد يتخيل في محبوبته صفات ومزايا كثيرة.. يخلقها له خياله وأمانيه وتصوراته ورغباته المكبوتة.. وآماله الكاذبة وقد ينظر إلى العيوب كأنها محاسن.. وإلى المحاسن وكأنه الفريد فيها من بين البشر.. المالك لزمامها دون كل الناس..

بل قد يتخيل في محبوبته أموراً ليست فيه قطعاً .. فيضفي هذه المزايا كلها على محبوبته ويتجاهل العيوب البشرية التي لا يخلو منها إنسان.. فإذا حصل اللقاء والقرب.. وانكشفت الحجب .. وظهرت الحقائق.. لم يجد ما كان يتخيله شيئاً.. فيصاب بصدمة عنيفة.. لأن آماله وأمانية تنقلب رأساً على عقب فيكون الخصام والخلاف.. فالفراق.!!

وقد يكون من الأسباب أن المحبوبة تكون جميلة مشهورة الجمال وأن المحب فقير إلا من الخلال الحميدة.. والخلال الحميدة طبعاً لا يشترى بها ناقة ولا جمل.. ولذلك فإن أهل المحبوبة يجدون من المغريات المادية.. ما يجعلهم يزوجون فتاتهم- وقد يكون ذلك



عليا وأبا زيد يجتمعان في ليلة زفاف عليا إلى رجل آخر..
ويتبادل الحبيبان أحاديث الحب ويتشاكيان لواعج الغرام

على رغم أنفها - بمن يدفع أكثر .. أنه بيع وشراء وعرض وطلب فكلما كثر الراغبون في السلعة..وكانت نادرة الوجود زيد في ثمنها إلى أن يبلغ أضعافاً مضاعفة من قيمتها الحقيقة..

ومن هذا النوع من الحب كان حب أبا زيد وعليا فقد أحب كل واحد من الاثنين صاحبه.. وهام في حبه .. وكان حباً نزيهاً متبادلاً لا ريبة فيه ولا دنس.. ولكن المطامع والأهواء الأخرى باعدت بين الحبيبين .. ونصبت الحواجز في طريقهما.. فازدادت بذلك لواعج الشوق والوهى.. وألحت على كل من الحبيبين آماله وأمانية في لقاء محبوبته.. ولكن الأقدار كانت دائماً بالمرصاد لهذه الآمال والأماني.. فإذا استقر ابو زيد شرقاً استقرت المحبوبة غرباً .. وإذا استقر شمالاً استقرت جنوباً .. إنها الأقدار تلعب بالمحبين.. وتقذف بهم في مجاهل الصحراء.. مفرقة لهما في طلب المرعي..

وكان كل من الحبيبين أبو زيد وعليا يريان أنه لا بد من اللقاء مهما طال الغياب.. ولا بد من الاجتماع مهما طال الفراق.. ولا يشكان أن حبهما الطاهر سوف ينتصر في الآخر.. مهما أقيمت الحواجز والعقبات بينهما .. وكان كل واحد من الحبيبن أيضاً يعيش أوقات الفراق بقوة من أمل اللقاء.. وهذا الأمل هو الشيء الوحيد الذي يعيش عليه كل واحد من الحبيبين..

وجاءت سنة من سنين الجدب ففرقت القوم وجعلتهم شذر مذر في البلاد فأبعدت الأقدار أبا زيد عن عليا وأبعدت عليا

عن أبي زيد.. وازدادت لواعج الشوق والهوى لدى كل واحد من الحبيبين .. وطال البعد والغياب.. تكاثرت الهواجس والظنون السيئة .. لأن المحب دائماً بسوء ظن مولع.. كما يقول العرب في الأمثال.. ولم يشعر أبو زيد في يوم من الأيام إلا بقادم يزف إليه بشرى بقرب زواج علياً من رجل آخر غيره.. وسأله أبو زيد عن هذه البشرى أو هذه الطعنة النجلاء .. كما سأله عن الزوج.. وعن موعد الدخول بعليا .. فأعطاه القادم معلومات وافية عن الزوج وعن موعد الزواج. . وعن مكان الزواج.. وعن جميع المعلومات التي يريدها أبو زيد.. أو يستفيد منها في هذا المأزق الحرج الذي ساقته إليه الأقدار..

وسأل أبو زيد هذا القادم في لهفة وهلع.. ما الذي سمعت عن عليا هل هي راضية بهذا الزواج أم مغلوبة على أمرها فيه.. فأخبره أنها مغلوبة على أمرها فيه.. فزال عن أبي زيد بعض همه وعاوده بعض الأمل.. بعد الصدمة العنيفة التي جاءت مفاجئة لم يحسب لها حساباً..

لو كانت هذه الطعنة البالغة في شخص غير أبي زيد لتفرق رأيه شعاعاً .. ولا التبست عليه الأمور .. ولما علم ماذا يصنع.. أما أبو زيد لقد حتى رأسه أمام الصدمة إلى أن هدأت نفسه ثم رفع هامته إلى السماء.. حيث يجب أن تكون هامة محب شريف نظيف.. وزعيم معروف.. وفكر في الأمر ملياً وهداه تفكيره إلى أنه يعيش في دوامة مشكلة عويصة..

والذي يعيش في وسط الشيء قد لا يرى جوانبه .. وقد

لا يرى ما يحيط به من ظروف وملابسات من الحكمة أن يعرفها المرء ليتقى ما فيها من ضرر ويستفيد مما فيها من نفع.. كما أن الذي يعيش في المشكلة قد تدفعه عواطفه الهائجة .. أو تندفع به هواجسه الهوجاء إلى ما يضره ولذلك فقد صمم أبوزيد على أن يستشير شخصاً من العشيرة عرف ببعد نظره.. وصدق حدسه.. وصواب رأيه فذهب إليه أبو زيد.. وكان يستطيع أن يرسل إليه فيأتي إليه في بيته ولكن الحاجة لأبي زيد.. وصاحب الحاجة هو الذي يجب أن يسعى إليها والحكم لأبي زيد.. وصاحب الحاجة هو الذي يجب أن يسعى إليها والحكم يجب أن يذهب إليه في منزله..

وعرض الموضوع عليه.. وشرح له جميع الجوانب الخافية منه.. وطلب منه أن يفكر في هذه المشكلة ويبحث لها عن حلول عدة يختار أبو زيد واحداً منها.. ووعده الرجل خيراً وطلب منه أن يمهله ليفكر في الأمر بترو وتؤده.. حتى لا يأتي الحل مرتجلاً ناقصاً .. بل يكون رأياً صائباً ومثمراً..

وذهب أبو زيد وترك الأمر لهذا الحكيم المجرب .. وفي الغد اجتمع به متداولاً الرأي وإياه وقال الحكيم .. وإنه يجب أن تصل إلى مكان المحبوبة قبل دخول زوجها بها.. والأرض التي تفصل بينكما الآن شاسعة .. لن تجتازها في هذه المدة الباقية على الزواج إلا بمعجزه.. أو ما يشبه المعجزة فقال أبو زيد إنني مستعد لعمل المستحيل لبلوغ هذه الهدف.. فقال المستشار:-

إذا كان الأمر كذلك فإنك تحتاج إلى أمرين مرافق شهم صبور كنوم للأسرار..وراحلتين قويتين سريعتين صبوريتين.. ولن تستطيع أن تعرف الراحلتين اللتين تحققان لك غرضك إلا بجعلهما تبركان على بيت النمل فالتي تصبر على قرص النمل ودبيبه وأذاه هي التي تستطيع أن توصلك إلى هدفك..

أما الرفيق فإنك لن تستطيع أن تعرفه إلا بأمر واحد وهو أن تجلسه بجانبك وهو لا يعرف ماذا تريد أن تعمل . . فإذا جلس بجانبك فاتكيء عليه بجسمك.. واغرس مرفقك في فخذه بكل قوتك.. فالذي يتألم من عملك هذا أو يتأفف فاتركه.. فإنه لا يستطيع أن يتحمل المشاق المرتقبة.. أما الذي يتحمل ويصبر ولا يبدى ضجراً ولا تأففاً فإنه هو صاحبك المنشود..

وهكذا صار فجاء أبو زيد بجملة من الإبل وأناخها على بيوت النمل فلم تصبر أي واحدة منها وجاء بدفعة ثانية وثالثة.. إلى أن أخرج من تلك الإبل كلها راحلتين هما اللتان صبرتا..

ثم جاء دور اختيار المرافق .. وتوسم أبو زيد النجابة في أشخاص معدودين.. استعرضهم واحداً واحداً.. فكان كل واحد يغرس أبو زيد في فخذه مرفقه يتأفف ويضجر ويطلب ابعاد مرفق أبا زيد.. إلى أن جاء دور عزيز بن خالد. فاستدعاه بجانبه وغرس مرفقه في فخذه فصبر ولم يتأفف ولم يتضجر.. بل كان يتحدث في موضوع فاستمر في حديثه..

وزاد أبو زيد من قوة الضغط على فخذ عزيز .. إلى أن خرق الفخذ وخرج الدم.. وعزيز صابر مستمر في حديثه وكأن شيئاً لم يحدث.. واطمأن أبو زيد.. فقد وجد الراحلة والرفيق ولم يبق إلا الشروع في الرحلة .. فهيئت الاستعدادات سريعاً.. ثم رحلوا متوجهين إلى ديار الحبيبة..

وكان الشوق يدفعهم إلى الأمام فلا يستريحون إلا لماماً .. ولا ينامون إلا غراراً .. لأن مسافة الطريق ثمانون يوماً .. عليهم أن يقطعوها في أربعين يوماً فقط.. فكانا يواصلوا ليلهم بنهارهم.. حتى لا تفلت منهم الفرصة.. فيذهب سعيهم سدى..ومجهودهم هدراً..

استطاع أبو زيد ورفيقه عزيز بن خالد أن يصلا في الوقت المناسب بعد كفاح مرير وسهر مضن .. وسير حثيث متواصل لقد وصلوا في ليلة الزفاف فوجدوا معالم الفرح قائمة في كل مكان.. وأنغام الطرب والفرحة تملأ جو مضارب الحي.. فنزلوا في جانب منزو من جانب الحي ونصبوا خيمتهم..

تشاور الرفيقان في الطريقة.! ولم يكن هناك مجال للتردد.. ولا التفكير الطويل فاتفقا على أن يبقى أبو زيد في الخيمة .. ويذهب عزيز إلى مكان الاحتفال في ثياب امرأة .. على أن يأخذ معه كرة من خيوط الصوف يكون طرفها في خيمة أبي زيد وبقيتها مع عزيز يمشي في الطريق ويرخي منها إلى أن يصل إلى مكان الحبيبة.!

وهكذا حصل.. ووصل عزيز إلى مكان الحفل واندس بين

النساء كأنه واحدة منهن .. وجعل ينتهز كل فرصة للقرب من علياء.. التي يعرفها تمام المعرفة .. فلما صار بجانبها. أخبرها بمكان أبي زيد وعرفها بنفسه .. وقال إن معه طرف الخيط الذي إذا أمسكته هداها إلى المكان المقصود بدون تعب ولا مشقة ...ولا احتمال في الضياع فقامت علياء كأنها تريد أن تقضي حاجة من حاجاتها وتبعها عزيز فخلا بها وأعطاها ملابسه كرجل والتي كان يخفيها تحت ملابسه التنكرية ولبس ملابسها كأمرأة على أساس أن يتقمص شخصيتها.. يقوم مقامها فيكون هو علياء التي تزف إلى العريس..

وكان عزيز شاباً جميل الطلعة بهي المحيا له جدائل من الشعر تضرب إلى شطاياه.. وأخذت عليا طرف الخيط .. ومشت به إلى أن وصلت أبا زيد..وخلا المحبان في هذا المكان المنزوي.. وجعلا يتبادلان عبارات الحب ويشكوان لواعج الهوى لمبرحه..

وقص أبو زيد قصته على علياء... كيف وصله الخبر في وقت متأخر .. وكيف استطاع بمساعدة عزيز وشهامته أن يصلا في الوقت المناسب.؟. فتعجبت عليا من هذه القدرة الفائقة.. والمغامرة الجريئة التي خاضا غمارها .. وتعاهد الحبيبان على الوفاء والحب وأنها له مهما طال المدى وأنه أيضاً لها.. وأوضحت لأبي زيد كيف أرغمها أهلها على هذا الزواج الذي لا تريده وكيف أغرى هذا الزوج أهلها بالمال إلى أن جعلهم ينصاعون لرغبته.. ويتجاهلون رغبتها..

وجعل أبو زيد يسال حبيبته عن أحوال العشيرة وظروفها المعاشية فتجيبيه بأن كل شيء على ما يرام لولا هذه الزيجة المشئومة.. التي وقعت اتفاقيتها.. وعرفت أوائلها .. إلا أن نهايتها مجهولة..

لكن عليا أكدت لأبي زيد أن الحب سوف ينتصر في النهاية لا محاله.. وأنه ليس هناك قوة مهما عظمت تستطيع أن تحول بين محب وحبيبته .. فشكرها أبو زيد على هذه العواطف النبيلة من عواطف الحب النظيف الشريف.. وأكد لها هو الآخر أن النهاية سوف تكون لهما وأن الأمور بخواتيمها .. وأن الظروف إذا كانت لم تساعدهما حالياً.. فإن الرياح سوف تتحول لصالحهما عاجلاً أو آجلاً فعليهما أن تلتزما جانب الصبر.. وترقب الفرصة..

فإذا واتتها الفرصة المناسبة .. فإنها سوف تعمل من جانبها وهو أيضاً يعمل من جانبه.. وسوف يكون النصر للقلبين المتحابين .. ضد الأهواء والمطامع التي تحكمت وغيرت المياه عن مجاريها.. ولا بد أن يأتي اليوم الذي يسيل فيه كل ما ء في مجراه الطبيعي.. واطمأن كل واحد من الحبيبين إلى وعود حبيبة.. وهدأت تأثرة الحب الفياض ثقة بالمستقبل.. وأفرغ روح كل واحد من الحبيبين لا رضا بالحاضر ولكن أملاً فيما يأتي من ظروف مواتية فيما يستقبل من الزمان.

هذا ما كان من أبي زيد وعليا.. أما ما كان من عزيز مع زوج عليا.. فقد دخل الزوج.. وحاول مع الزوجة بمختلف

الوسائل أن ينال منها ما يريد الرجل من المرأة ولكنه لم يستطع.. لأنه وجد أمامه قرينا قوياً .. لا تلين له قناة .. ولا يفتر له عزم.. وصارع الزوج وبذل كل ما يستطيعه من قوة وكنه لم يفز بطائل.. فلما فنزعزمه وخارت قواه خرج من الغرفة كأنه سيقضي حاجة..

ووجد عجوزاً من أقاربه وشرح لها الوضع.. وأخبرها عن ظنه بأن الذي أمامه رجل لا امرأة وسألها عن الحل .. فقالت له العجوزر اقطع واحدة من جدائل شعرها واجرحها مع كفها الأيمن.. فإن كانت أنثى لم يضرها ذلك وإن كانت رجلاً مات من هذا الجرح. لأن عرق الأكحل المميت يكون موجوداً في اليد اليسرى من المرأة .. وفي اليد اليمنى من الرجل..

وهكذا حصل فقد رجع الزوج المقهور وقطع إحدى خصل شعرها.. وجرحها في يدها اليمنى مع عرق الأكحل أو الشريان المميت ثم انتحى جانباً ونام.. وجاءت عليا مع طريقها الذي سلكته في رواحها وتسللت إلى أن دخلت على عزيز فقام معها وأخبرها بما جرى.. وقال لها ليس أمامنا إلا أن نقطع إحدى خصل شعرك.. وأن نجرحك في يدك اليمنى حتى لا ينكشف امرنا وقال شعراً:

مدي يمينك يا مليحة نجرحه   من خوفتي تزري علينا الغرايب
ومدى الجديله يا عزيزة نقطعه   لا ينكشف من سرنا كل جانب
لا هوب بغض لك ولا مكرهية   لكننا ندري حكايا الزلايب

فمدت عليا يدها فجرحها في يدها اليمنى .. وأخذ خصلة

من شعرها فقطعها.

ولبس عزيز ثياب الرجال وربط جرحه الذي كان يترف دما وذهب مسرعاً إلى خاله .. فشدوا الرحال متوجهين إلى أهلهم.. بعد أن بلغوا كلما أرادوه.. وفوق ما أرادوه.. فقد حصل اللقاء.. وأفضى كل من الحبيبين بما في نفسه إلى حبيبه وصار الوعد والعهد على أن العقبى لهما.. ولم يبق إلا أن يجدوا في السير ليصلوا إلى أهلهم سالمين.. ودهش أبو زيد بضروب الصبر والشجاعة والرأى الأصيل التي تتجلى في ابن اخته الشاب..

خشى أبو زيد على مركزه في العشيرة من هذا الشاب الذي تجمعت فيه كل مقومات الزعامة.. وفكر بالأمر بجد وأهمية .. إن عزيز ابن أخته.. وعزيز أسدى إليه يدا بيضاء في هذه الرحلة لا يستطيع أي رجل أن يسديها إليه .. ومع ذلك فإن الزعامة إذا هددت لا تفكر في قرابة .. ولا تفكر في معروف... وهي تضحي بكل عزيز ولو كان أبا أو أخا أو عما أو خالاً في سبيل المحافظة على الزعامة..

ولذلك فإن أبا زيد لم يتردد لحظة واحدة في أن يبيت الغدر بعزيز .. وأن يزيله من الوجود.. ليطمئن على زعامته.. وليأمن الخطر الذي يهددها من قبل عزيز لأن المواطن العربي يكون مع القوي .. وينضم إلى البطولة والشجاعة في أي شخص وجدت.. ولذلك فإنه لا مجال لاحتفاظ أبي زيد بزعامته أو أن زعامته تكون مهدده-! إلا إذا أزاح عزيزاً عن مسرح الحياة ..

وهذا الجرح الذي في يد عزيز سوف يكون من أكبر الأعوان على القضاء عليه.. وسيكون سبباً معقولاً للوفاة..

وصمم أبو زيد على أمر وهو أن يبعثر الماء الذي يحملونه فإذا وصلوا إلى أقرب مورد.. أمر عزيزاً بأن ينزل إلى البئر ليغرف لهما الماء .. وهكذا حصل .. فوصلوا مورداً وقال أبو زيد لعزيز أنزل إلى البئر اغرف لنا الماء.. فقال عزيز إن جرحي بليغ وأخشى أن يسقط عليه الماء فيقضي على حياتي.. فقال أبو زيد كن أنت حذراً في تناول الماء.. وسوف أكون أنا حذراً في أخذه منك .. ولن يمس يدك قطرة من الماء بحول الله وقوته..

ونزل عزيز إلى قاع البئر.. وهو يعلم مدى المغامرة التي يفعلها وأنها قد تودي بحياته .. فلا مجال للتحفظ من الماء والمرء في أعماق الماء.!! وجعل عزيز يغرف من البئر ويناول خاله بحذر إلا أن خاله كان يأخذ الماء بشيء من الارتعاش والاهتزاز الذي يسبب تساقط الماء .. وهو يتظاهر أن تساقط الماء على رغمه في الوقت الذي كان يتعمد فيه أن يسقط على يد عزيز أكبر كمية من الماء..

وملأ الرفيقان قربهم .. وخرج عزيز من قعر البئر وقد أحس بدنو أجله.. فقال لخاله.. إن الجرح قد ابتل .. وإني هالك لا محالة فاحفر لي قبراً.. وهيء لي كفنا وطيبا ودفني عند هذا المورد.. وعلم أبو زيد أن منية عزيز قد حانت فحفر له قبراً.. وجهز له النصائب وهي حجارة تركز على طرفي القبر

بحذاء الرأس والرجلين..

جهز أبو زيد الطيب والماء .. ثم جاء إلى عزيز وهو يعاني سكرات الموت .. وتذكر عزيز في هذه الحالة زوجته وولده واخوته.. وعلم أن هذا اللحظات هي آخر ما بقي له من هذه الحياة.. فأراد أن يوصي خاله على أفراد عائلته.. وأن يوصي أفراد عائلته بما يجب أن يستقبلوا به نبأ وفاته .. وأراد أن يسجل ذلك كلها في أبيات من الشعر ليسهل نقلها وحفظها والسيرعلى نهجها فقال شعراً:-

أوصى على غرغرير من الصبا	يلعب مع الصبيان وأبوه غايب
أحذرك أنا يا خال عن ضربة العصا	أو نزرة تدعى قليبه حطايب
وقولو لبنت أمي تغطي وتستحى	لا جولها الوراث فوق النجايب
وقولوا لبنت العم ترحل لأهلها	حرم عليها اليوم شوف الحبايب

فلما انتهى هذا الكلام أسلم الروح لبادئها.. وكان كل شيء جاهز.. فغسله خاله وطيبه وكفنه .. ثم دفنه.. فلما سوى التراب على قبره رشه بماء قربته.. ثم وضع على القبر فتخة عزيز وجوخته.. وعقر راحلته عند قبره.. وذلك لأنهم يعتقدون أن الإنسان إذا بعث.. بعثت معه هذه الأشياء .. فيستعملها في ذهابه إلى المحشر.. وعندما أتم هذه الأمور انشد شعراً:-

دفقت على قبر الهلالي قربته	وماها غدا يصيح من كل جانب
وحطيت على قبر الهلالي جوخته	وتكتها تذري عليها الهبايب
وحطيت على قبر الهلالي فتخته	في موقع يشوفها كل صاحب

وعقرت على قبر الهلالي بكرته وخليتها تعتب حوالي النصائب

أنشد أبو زيد هذه الأبيات الشعرية ككلمة رثاء ووداع.!! ثم ركب راحلته متوجهاً إلى أهله وهو بين الحزين والمسرور.. تجذبه هذه العاطفة مرة.. وتجذبه الأخرى مرة أخرى..

ولكن عاطفة السرور كانت هي المسيطرة على فكرة.. فقد أزاح من طريقه شخصاً جنت عليه شهامته .. وجنت عليه رجولته .. وجنت عليه الخلال الكريمة التي كان يتحلى بها.. ومخايل الشرف والزعامه التي تبدو على شمائله .. ووصل أبو زيد إلى جماعته وحيداً.. ليس معه رفيق .. وسارت التساؤلات بين القوم.. ودارت بالخواطر مختلف الظنون..

سئل أبو زيد عندما وصل إلى الحي عن رفيقة فأجاب وهو واجم حزين:- بأن الله قدر عليه ومرض في الطريق من أثر الاجهاد ومات.. وأخبرهم بمكان قبره.. فقابل القوم هذا الخبر بعاصفة من النوح والعويل.. وارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وأصيب القوم بصدمة عنيفة ما كانوا يتوقعونها.! وخيم على الحي حزن ثقيل.. فقد فقدوا شاباً من أبرز شباب الحي كانت تعقد عليه الآمال الكبار في الدفاع عن القبيلة وحمايتها واكسابها المفاخر والمعالي.!! فكم من شخص ارتفعت بسببه قبيله.. وسعدت بجواره الأقارب..

لهذا فقد فجعت القبيلة بموت عزيز وخيم عليها وجوم عميق لا عهد لها بمثله منذ زمن بعيد.. وكان أبو زيد في هذا الجو يتظاهر بالحزن مع المحزونين.!! ولكنه في باطن الأمر فرح

مسرور لأنه أمن من منافس قوي محبوب قد يسلبه مركزه في يوم من الأيام إن لم يكن عاجلاً فآجلاً ؛ لأن المستقبل دائماً للشباب..

مرت أيام وشبح الحزن يخيم على الحي.. ثم صار ينقشع شيئاً فشيئاً إلى أن عاد كل شيء في الحياة إلى مجراه ونسي عزيز.. ولكن ابن عزيز بدأ يكبر .. وبدأت تظهر عليه أمارات النجابة والفروسية.. وصار يركب الخيل ويتمرن على الضرب بالسيف والرمح .. وبدأت الوساوس من جديد تدب إلى نفس أبي زيد..

إن الولد سر أبيه.. وهذا هو ولد عزيز .. وقد بدأت رجولته تتفتح.. وبدأت مخايل النجابة تظهر في شيمه وخلاله.. وتصرفاته.. وزادت مخاوف أبي زيد.. وبدأ يفكر في طريقة خفية يتخلص بها من هذا المنافس الجديد.. إن الزعامة اثماً تخشى ممن هو أقوى منها.. وتحاول أن تتغدى به قبل أن يتعشى بها..

لهذا فقد نشط خيال أبي زيد في رسم طريقة خفية للخلاص من ابن عزيز.. ان المهم هو الخلاص ولا عبرة بما سيقوله بعض الناس.. فالزعيم يعمل ما يراه في صالحه .. ثم إذا تم له الأمر تنصل من معرته وأنكرها .. والناس ينسون سريعاً .. ثم أنهم مع من غلب .. أما كيف غلب وبأي وسيلة غلب فتلك أمور لا يفكر فيها إلا القلائل من أفراد الحي.. ثم لا تلبث تلك الأفكار أن تتبخر مع مرور الأيام..

ثم ان في استطاعة الزعيم ان يضمد الجراح.. ويزيل عقابيل الحادث بأنواع من الحديث المعسول.. والوعود الخلابة.. وسل شخائم الصدور بأنواع من البر والتسامح واللطف.!!

ولاحت الفرسة لأبي زيد بعد أن تم له رسم الخطة..وذلك بأن يدعو ابن عزيز إلى أن يركب فرساً وأبو زيد يركب أخرى ليختبرا سرعتهما .. وأجاب الصبي هذه الدعوة.. وألبست الفرسان سرجين ووضع تحت سرج فرس ابن عزيز مادة لزجة.. بحيث يزل بالراكب عليه عند أدنى انحراف من الفرس.. وكانت هذه المادة خفية لا يستطيع أي باحث أن يطلع عليها أو يعرف سرهاً..

ركب الفارس الزعيم.. وركب بجانبه الفارس الصغير.. وانطلقا يعدوان بفرسيهما وجالا جولة .. وكل منهما ثابت على فرسه.. ثم جالا جولة ثانية وانحرف أبو زيد بفرسه فجد وكانت في غاية سرعتها .. فانحرفت فرس الفارس الصغير وهيو أيضاً مسرعه.. فزل السرج من فوق ظهر الفرس.. وزل الفارس الصغير تبعاً للسرج وسقط على الأرض.. واندقت عنقه .. وسلك سبيل أباه وراح ضحية الرجولة والشرف والنجابة..

وعاد أبو زيد من هذه الجولة أيضاً منتصراً .. وهو يتظاهر بالحزن الشديد على ابن عزيز.. وتظاهر بأنه كان يريد أن يعلمه الفروسية ليكون فارساً من فرسان الحي.. ولكن المنية - كما يقول أبو زيد - عاجلته وحرمت الحي من فارس كان يعده لشدائد الأيام.!! واستقبل الحي خبر موت ابن عزيز بوجوم وحزن عميق ..لم يلبث أن تبخر مع الأيام..

وبقي أبو زيد مسيطراً على الحي ممسكاً بزمام الزعامة بكلتا يديه .. إلى أن جاءه هادم اللذات ومفرق الجماعات..

وكملت وحملت وفي أصيبيع الصغير دملت.!!

سَـــالفة:

١٢- مزنه مع العفريت

كان الجو في هذه الليلة مدلهما والسماء ممطرة.. فأوى الأطفال إلى البيت مبكرين .. وجاءوا إلى جدتهم قبل أن تصلي صلاة المغرب طالبين منها أن تسرع في سرد إحدى السباحين عليهم.. ولكنها طلبت منهم أن يصبروا حتى تصلي المغرب.. لأن صلاة المغرب لا تحتمل التأخير.. وهي مثل كسرة الجذمار وهو جذع عسيب النخلة .. أي إن وقت المغرب يأتي سريعاً ويذهب سريعاً.. فاضطر الأطفال مرغمين.. إلى الصبر..

انتهت الجدة من صلاتها.. وجاءت فتربعت بينهم.. وقالت لهم أي قصة تريدون.؟! فسكتوا على غير عادة منهم فقالت الجدة:- هل أقص عليكم قصة مزنة مع العفريت.؟! فأجابوا بصوت واحد بالموافقة.. لأنهم يحبون قصص المغامرات والمفاجآت وصنع المعجزات.. يحبون هذه الأمور من كل قلوبهم.. ولذلك فلم تكد جدتهم تأتي باسم هذه السالفة..

حتى أجابوا بصوت واحد بالموافقة..

وشرعت الجدة في سرد القصة قائلة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الحي من العرب .. وإلى معهم امرأة جميلة .. جميلة جداً اسمها مزنة.. وكان والدها يعتبر ثريا.. فهو يملك عدداً من الجمال.. وفرقتين من الغنم وعبيداً يقومون برعي المواشي.. وخدمة أهل البيت..وكانت مزنه هي الابنة المدَّلَلَةْ لا مأخوذة الخاطر.. التي لا يرد لها أمر.. ولا يرفض لها طلب..

وعندما بلغت مبلغ النساء جاء الخطاب إلى والدها من كل مكان؛ يطلبون يدها.. ويريدون الزواج بها؛ أولاً لجمالها وكمالها - وثانية للثروة التي يملكها والدها.. والتي سوف يكون مآلها كلها أو بعضها في يوم من الأيام إلى مزنه.. ولهذا كثر الخطاب.. وجاءوا من كل مكان بعضهم يريدها لجمالها وخلالها الحميد.. وبعضهم يريد المال ويطمع في الثروة .. وكان الوالد يرد الجميع رداً كريماً بعد أن يقوم بواجب الضيافة خير قيام.. ويعتذر بأن لها ابن عم هي مخطوبة له.. ومنتظرة إيابه.. من سفره.. فكان الكل يذهبون راضين شاكرين للوالد حسن ضيافته.. وكريم شيمه..

وكان لمزنه هذه جارية خاصة لخدمتها وجمل خاص تركب عليه عند التحول من مكان إلى مكان.. ولها خيمة خاصة تضع فيها فراشها وأدواتها الخاصة.. وفي يوم من الأيام ذهبت مع بعض صويحباتها إلى واد من الوديان القريبة من بيوت الحي



أخو مزنه يهوي بالسيف على الرأس الصغير من رؤوس العفريت..
فيطلب العفريت أن يضربه بالسيف مرة ثانية فلا يفعل..
ويموت العفريت.!!

للنزهة.. واللعب.. الذي يكون بين الشابات .. ولا يردن أن يعلم به أحد.. لأن معظم الشيوخ والعجائز قد يرون في كثير من أعمال التسلية أموراً مخلة بالآداب .. قادحة في الشرف..

ولهذا فقد كانت هؤلاء الشابات كلما ضقن بالي وأردن النزهة والتسلية تواعدن في ساعة من الساعات.. ثم خرجن إلى هذا الوادي يلعبن فيه. ويغنين ويركضن في وهاده.. ويتسلقن جباله.. ويفعلن كلما يحلو لهن من العاب الطفولة.. بعيداً عن أعين المتزمتين.. من رجال الحي ونسائه الجامدين.. فإذا أشبعن غريزة الطفولة والشباب فيهن رجعن إلى بيوت الحي وكأن شيئاً لم يكن..

استمر عملهن هذا مدة طويلة من الزمن وكان يراقبهن في ذلك الوادي عفريت.. مخيف .. وقد مال قلبه إلى مزنة وأحبها حباً عنيفاً.. وجعل يراقبها في كل مرة ويتتبع حركاتها وسكناتها فلا يزداد بها إلا هياماً.. وفي يوم من أيام عبثن في هذا الوادي خلت مزنه بنفسها لقضاء بعض شأنها .. فتسلل إليها العفريت.. واختطفها.. ووضعها بين جناحيه وحلق بها في الجو.. إلى أن كادت الأرض أن تختفي عن بصرها ثم أهوى بها مسرعاً فوقع بها في قصر عظيم له سور منيع مرتفع وباب من حديد.. وغرف متعددة.. وفي هذا القصر سراديب مظلمة.. هي بمثابة المخازن أو المخاجيء عند الأحساس بالخطر..

وعندما نزل العفريت في القصر تخلى عن شكله كطائر وتقمص جلد إنسان.. وأخذ بيد مزنه وهدأ من روعها.. وقال

لها إنها سوف تكون سيدة هذا القصر العظيم.. بكل ما فيه من خدم وحشم.. وكنوز لا يعلم مقاديرها إلا الله.. وجعل هذا العفريت يتجول بمزنه في هذا القصر الواسع الأرجاء وصار يحدثها أحاديث مسليه؛ لعلها يذهب بعض خوفها..

بعد أن انتهت الجولة.. ذهب بها إلى غرفة نظيفة مؤثثة تأثيثاً فاخراً وقال لها هذه غرفتك الخاصة.. ونظرت إلى الغرفة فإذا هي فوق ما تتمنى.. ونظرت إلى جوانبها فإذا هي كلها خزائن الملابس والحاجات وفتحتها واحدة أثر واحدة.. فإذا هي مليئة بكل ما تطلبه المرأة من طيب وأدوات زينة.. وملابس وغيرها..

سرت مزنة بعض السرور بهذه المظاهر الخلابة التي تتوفر في هذه الغرفة.. وقال لها العفريت تعالى أريك غرفتي.. إنها بجوار غرفتك.. وأخذها بيدها وأدخلها في حجرته فإذا هي مؤثثة تأثيثاً طيباً.. وإذا جدرانها مغطاة بأنواع الأسلحة من سيوف وخناجر وبنادق وسكاكين ورماح وأقواس وسهام.. وفيها كل ما هب ودب من أنواع السلاح القديم والحديث..

وعندما انتهى من هذه المراسيم الأولية ذهب بها إلى غرفتها الخاصة.. وقال لها خذي راحتك وحريتك واطلبي كلما تريدين.. كلما تشتهين مما يوجد في هذا القصر.. ثم تركها وانقلب إلى طائر كبير فطار إلى كبد السماء.. وتتبعته في طيرانه حتى اختفى عنها.. فعادت إلى غرفتها ووطنت نفسها على الأمر الواقع.. وكيفت نفسها بحسب الظروف القاهرة التي

تعيش فيها..

استمرت على هذه الحال أياماً.. عرفت فيها وقت نوم العفريت وكيف ينام.!! وساعات نومه .. ومتى يذهب إلى الصيد وطلب المكاسب.؟ والخلاصة أنها عرفت كل دقيقة وجليلة من شئونه الخاصة والعامة..

وفي يوم من الأيام أخذها هذا العفريت بيدها وجعل يدور بها في مخازن هذا القصر العظيم.. فهذه غرفة مليئة بالذهب وتلك بالفضة.. وأخرى بأنواع الأقمشة.. من صوفية وقطنية وحريرية وأخيراً وصل بهما المطاف إلى غرفة مقفولة.. فقل لها العفريت هذه الغرفة إياك أن تدخليها أو تفتحيها .. أما بقية حجر هذا القصر وجميع ما فيه فهو تحت أمرك وفي متناول يدك..

وعندما أكد على مزنه بأن لا تدخل هذه الحجرة.. ذهب كل واحد منهما إلى غرفته وطال بها المقام في هذا القصر وملت العيش فيه.. بين أربعة جدران.. لا ترى ولا ترى.. إنها تأكل وتشرب .. ولا ينقصها شيء من أمور المعيشة؛ إلا أن الحياة الاجتماعية مفقودة تماماً .. وسئمت العيش هكذا وصارت تدور في ردهات هذا القصر الواسع.. وأخيراً قالت لنفسها لماذا لا أفتح هذه الغرفة في غيبته فأرى ما فيها..

ماذا سيجري .؟! إنه لن يدري ودفعها حب الاستطلاع أو الفضول البشري إلى أن تفتح هذه الحجرة وتدخلها.. فلما صارت في وسطها هالها ما رأت من تلك الجثث المعلقة ..

والمصبرة فهذه جثة رجل .. وتلك جثة إنثى .. وهذا جسم شـاب وذاك جسـم فـتـاة.. وهـذه جـثـث حمير وجمال وشـياه وماعز..

إنها مختلف الجثث معلقة بأرجلها .. وجافة من الدم والرطوبة.. جافة تماماً ولم تشم لهذه الجثث أي رائحة كريهة.. فلعله وضع عليها مادة سحرية تفصل الدم والرطوبة عنها بسرعة وتقتل أنواع الميكروبات التي يمكن أن تتوالد فيها.. أن هذا غير بعيد..

خرجت من هذه الغرفة مرعوبة خائفة.. إنها تخشى أن يأتي يوم يكون مصيرها فيه مثل مصير هذه الضحايا المعلقة. وأخفت خبر دخولها.. وهدأت من روعها؛ حتى لا يلاحظ عليها العفريت أي علامة من علامات الذعر فيعلم أنها اكتشفت سره.. فضغطت على أعصابها.. وحاولت أن تبدو طبيعية كأنها لم تر شيئاً..

مرت أيام وهي على هذه الحالة من الذعر المكيوت.. والخوف المستر.. وضاق بها القصر.. وسئمت من الإقامة فيه.. فأشرفت ذات يوم من السور وسرحت بصرها في الصحراء الواسعة التي تحيط بها.. وتمنت أن تتاح لها فرصة في مستقبل الأيام؛ لكي تسرح وتمرح فيها كما كانت سابقاً..

وسمعت ذات مرة صوتاً فأنصتت.. فإذا هو صوت أحد عبيد والدها.. وإذا هو يردد هذه الكلمات:- «جمل مزنه يحن حنين.. ما عاد يبي قرب القطين» وأنصتت بكل حواسها إلى

الصوت.. وخالط قلبها سرور غامر بقرب الفرج.. وجعلت تنادي هي بصوتها النسوى الخافت وتردد هذه الكلمات :-

«يا منادي شعفت فوادي وخليت الدمع على خدي بداد ترى مزنه في القصور البعاد» وعلى ضآلة الصوت فإن العبد أحس به إحساساً خفياً ولكنه لا يدري أين مصدره فأعاد ترديد صوته الأول:-

«جمل مزنه يحن حنين.. ما عاد يبي قرب القطين» فسمعت الصوت يقرب منها وأعادت كلماتها الأولى:- «يا منادي شعفت فوادي وأدعيت الدمع على خدي بداد ترى مزنه في القصور البعادي..»

فسمع العبد الصوت أكثر من ذي قبل واستمر في السير وترديد كلماته السابقة.

وأعادت مزنه كلماتها أيضاً واستمر العبد في التقدم وترديد تلك الكلمات واستمرت مزنه في ترديد كلماتها..

وقرب العبد وعرف مصدر الصوت ومكانه.. ورأى هذا القصر المنيع الذي تقيم عمته مزنه بين جدرانه..وكر راجعاً مسرعاً إلى مضارب الحي ليزف لهم البشرى.!!

ووصل العبد إلى مضارب الحي بوجه مشرق.. وفرحة غامرة وزف إليهم البشرى.. فتداولوا الرأي وقرروا أن يذهب أخو مزنه مع العبد إلى ذلك القصر..

أعد أخو مزنة عدته وركب فرسه.. وركب العبد فرساً

أخرى وأسروعوا متجهين إلى القصر ووصلوا بالقرب منه.. فأخذ أخو مزنه عدته وطعامه وأمر العبد أن يعود بالفرسين إلى مضارب الحي.

دار الأخ دورة أو دورتين حول القصر فوجده منيعاً شامخ الأسوار .. وتلكم في أحد جوانب القصر .. فسمعته أخته مزنه فأطلت عليه من أعلاه السور وقالت له أنه ينبغي أن يختفي بقرب القصر لأن العفريت موجود فيه الآن.. وعليه أن يأتي في ساعة أخرى حددتها له..

فاختفى الأخ في مكان قريب منتظراً حلول الموعد المحدد.. ومر الوقت ثقيلاً طويلاً .. بل إن الوقت بدا في نظره وكأنه واقف لا يتحرك والافكار والهواجس تعبث وتجول في خاطره.. كيف سيلقى هنا العفريت.. وكيف سيراه.؟! وما هي الطريقة التي سيتبعها في القضاء عليه.. إنه قوي.. إنه جبار.. أنه ماكر.. أنه ساحر .. فكيف يستطيع إن يخدعه.؟! فهو بالقوة البدنية أقوى منه.. وهو أيضا بالقوة الفكرية متفوق عليه .. ولولا قوة فكرة لما طار.. ولولا قوة جمسه لما استطاع حماية هذ القصر العظيم بمفرده..

إذاً فإنه سوف يقوم بمغامرة فقط.. قد تنجح والنجاح فيها ضعيف وقد تفشل وهذا الاحتمال الأخير هو الأقوى..

ومع هذه الأفكار والهواجس السوداء فإن أخا مزنه لم يتراجع ولم يفت ذلك في عضده.. بل أنه صمم على خوض المعركة مهما كانت النتائج.. فإن كان نصيبه النصر فإنه يكون

بهذا ضرب الرقم القياسي في الاقدام والتضحية وقوة العزيمة.. وإن تكن الأخرى فلا عار عليه فيها فقد بذل جهده وعمل ما يستطيعه وعلى المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح كما يقولون في الأمثال..

وجاء الوقت المحدد ومشى بقوة وثبات إلى سور القصر.. ووقف حيث كان يقف سابقاً ونظر إلى فوق .. فرأى أخته من أعلا السور.. وهي تدلي حبلاً إليه وعندما وصله طرف الحبل، نظر إلى أخته فإذا هي تشير إليه بأن يصعد فأخذ عدته وعتاده وعلقهما فوق ظهره.. ثم صار يتسلق هذا الحائط الأصم الذي لا نافذة فيه ولا باب غير الباب الرئيسي..

استمر في الصعود وهو يكافح بيديه ورجليه وجميع عضلات جسمه.. وأخيراً وصل إلى أعلا السور وهو لا يكاد يصدق أنه سيصل .. وقبل أخته بين عينيها .. وسألها لعلها سليمه.. فقالت:- إذا سلم العود فالحال تعود وهذا شيء مقدر.! وأمر مكتوب في الجبين.. وما كتب على الجبين لا بد أن تراه العين.. وعلينا الآن أن لا نطيل الحديث.. بل علينا أن نستغل كل لحظة من اللحظات القادمة في إعداد الخطة ورسم الطريق.. والاستعداد التام للقضاء على هذا الوحش اللعين.. الذي يفتك بالبشر فتكاً ذريعاً.. ويغير عليهم ويترصد غفلاتهم.. إننا إذا قضينا عليه لا نكون خدمنا أنفسنا فقط..

إننا نكون أرحنا البشرية من عدو كاسر يغير عليهم ويأخذ منهم حيث لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم..

أخذت مزنه أخاها من يده سارت به داخل القصر وأنفاسه مبهورة من آثار المجهود الذي بذله في صعود السور.. وخلت مزنه بأخيها جانباً وقالت:- إن العفريت الآن ليس موجوداً في القصر، فقد ذهب يبحث عن صيد جديد من البشر.. وهو سوف يأتي في الوقت الفلاني وحدد له الوقت.. ثم يخلع ملابسه وينام على سريره .. وهو لا ينام كما ينام البشر .. بل هو يغمط عينيه إذا استلقى فإذا اسغرق في النوم فتح عينيه.. وله سبعه رؤوس تبدأ براس صغير.. ثم تتدرج الرؤوس الأكبر بعد الأصغر إلى أن تنتهي بالرأس الكبير البارز على الرؤوس كلها..

وعليك إذا أردت قتله ان تضرب الرأس الصغير .. يعني أصغر الرؤوس .. ضربة واحدة فقط .. وإذا فعلت ذلك فإنه سوف يقول لك زد زاد الله في أيامك فلو ضربته ثانية مع الرأس الصغير أومع أحد الرؤوس الستة الباقية لعادت إليه الحياة.. ولكنه إذا قال لك زد زاد الله في أيامك فقل ما علمتني أمي الزوايد.. واتركه فإن ضربة واحدة على رأس الصغير كافية للقضاء عليه.. والقتل يجب أن يكون بذلك السيف المعلق في الحائط .. وأشارت إلى السيف حتى رآه .. وعلم بمكانه..

وعندما وصلت مزنه إلى هذا الحد من الإيضاح ورسم الطريق لأخيها.. قالت ان الوقت قد حان لعودة العفريت.. فلم يبق إلا دقائق معدودات لوصوله.. وإن علينا بعد رسم الخطة أن يتخذ كل واحد منا موقعه في المعركة فاذهب أنت حالاً إلى مكان الاختفاء وكن شديد الحذر .. شديد المراقبة.. كثير

الهدوء وضبط الأعصاب..

وهكذا كان فقد اختفى الأخ .. وبقيت مزنه في مكانها المعهود انتظاراً لقدوم العفريت الذي يسير في حياته بشكل منظم ودقيق لا يتغير ولا يتبدل.. وجاء العفريت في موعده.. وكان كل شيء في القصر يبدو طبيعياً كما عهده.. لم يحس بأي حركه.. ولم ير أي تغيير .. فقصد غرفته ودعا مزنه لمساعدته في خلع ملابسه. ووضعها في مكانها المعتاد.. ثم استلقى على سريره..وأغمض عينيه .. وهدأت حركته تماماً..

ذهبت مزنه لشئونها الخاصة كما هي عادتها.. وفتح أخو مزنه عينيه وجعل يراقب الوضع بحذر ويقظه تامين.. وجعل يستعيد تعليمات أخته واحدة واحدة.. ليتأكد من حفظها حتى يطبقها بدقه.. إن أي ارتباك أو هفوة في هذه الساعات العصبية ستودي بحياته وحياة أخته.. وسيكون مصيرهما الموت المحقق... فهذه معركة حياة أو موت بالنسبة إلى كل من الطرفين.. ولا مجال للإنهزام .. ولا مجال للتردد..

بدأ وقت المعركة يدنو قليلاً قليلاً.. وبدأت دقات قلب أخي مزنه في الارتفاع .. انه مقبل على معركة؛ القوى فيها غير متكافئة.. وإنها تعتمد كل الاعتماد على الحذر والحيطه.. وسرعة المفاجأه .. وصدق العزيمة وهدوء الأعصاب.. وبدأ قلب أخو مزنه يعود إلى حالته الطبيعية شيئاً فشيئاً.. وبدأ يعيش في المعركة بحواسه .. ويألف جوها الموحش المخيف..وبدأت ساعات العمل تقترب.. وبدأ أخو مزنه يستعد

نفسانياً وجسمانياً .. لخوض المعركة..

وأخيراً رأى عينى العفريت تتفتحان وتسلل من مكمنة بحذر.. ومشى إلى الحائط الذي علق فيه السيف.. وجعل يده اليمنى على مقبضة.. ويده اليسرى على غمده ..ثم جره جراً خفيفاً أحدث صوتاً خفيفاً أيضاً.. فشعر العفريت بهذه الحركة وهو في عز نومه.. وقال وهو لم يتحرك من سريره..

«من هاللي عند السيف الحنان الرنان مقطع رووس الصبيان» فقالت مزنه مجيبة على تساؤله:-

أنا يا عمي أكحل عيني.. فسكت العفريت .. وعاد أخو مزنه فسل السيف قليلاً أيضاً .. فأحدث صوتاً .. فقال العفريت «من هاللي عند السيف الحنان الرنان مقطع رووس الصبيان.؟!»

فقالت مزنه أنا يا عمي ألبس ثوبي.. فسكت العفريت واستمر في سباته العميق..

وسل أخو مزنه بقية السيف فأحدث صوتاً فسأل العفريت قائلاً: «من هاللي عند السيف الحنان الرنان مقطع رووس الصبيان.؟!» فقالت مزنه أنا يا عمي ألبس خواتمي .. فسكت العفريت وغط في نومه.. وهنا جاءت الساعة الحاسمة.. فمشى أخو مزنه بالسيف مسلولاً في يده متجهاً إلى سرير العفريت وكان يعلم بموضع كل عضو من أعضائه.. ولا سيما رؤوسه السبعة.. فجاء يمشي بحذر شديد إلى أن وقف في المكان المناسب الذي يمكنه منه أن يسدد الضربة القاضية لهذا

الوحش الكاسر..

وقف أخو مزنه ليسترد انفاسه.. ثم ألقى نظرة فاحصة ليتأكد من موقع ضربة السيف في الرأس الصغير.. وعندما تجمعت له كل عناصر الفوز على خصمه أهوى بسيفه على ذلك الرأس الصغير فقطعه .. وثبت أخو مزنه في مكانه ليرى رد الفعل.. فتحرك العفريت حركة خفيفة .. ثم هدأ وقال:- زدني ضربة أخرى زاد الله في أيامك..

فقال أخو مزنه:- ما علمتني أمي الزوايد .. فبقى العفريت في نومة أبدية لا يقوم بعدها إلى يوم الدين.. وركض الأخ إلى أخته وركضت الأخت إلى أخيها : ليهنيء كل واحد منهما أخاه بالفوز والخلاص.. من هذا العدو الجبار..

وتعانقاً طويلاً وبكى كل واحد منهما بكاء متواصلاً .. هو مزيج من بكاء الفرج .. وبكاء النصر .. وبكاء الخوف والرعب الذي لا تزال بقاياه تخيم على نفسيهما..

وبعد هذا العناق الحار.. وتبادل عبارات التهنئة بهذا الانتصار .. أخذت مزنه يد أخيها وجعلت تدور به في هذا القصر العظيم وتفتح خزائنة خزانة أثر خزانه .. فهذه خزانة جميع ما فيها ذهب.. وتلك أخرى جميع ما فيها فضه.. وأخرى كل ما فيها لؤلؤ ومرجان.. ورابعة مليئة بالأقمشة بجميع أنواعها.. ودهش الأخ من هذه الخزائن العظيمة المملوءة بالثروات الطائلة.. وذهب الأخ وجاء بعدة جمال : حملوها بكل ما خف وزنه وغلي ثمنه..

ثم توجها إلى أهلهم .. وفي الطريق سأل الأخ أخته لعل العفريت لم ينل منها شيئاً فأجابته بأنه لم يعمل شيئاً.. وإنما استبقاها في القصر كتحفة من التحف.. وكلون من الألوان اللطيفة.. التي تلطف جو ذلك القصر المملوء بالوحشة والجمود.. وكان هذا العفريت يعاملها طيلة مقامها عنده معاملة لطيفة.. كلها كرم وطيبه وتسامح .. إلا أنها مع تلك المعاملة اللطيفة كانت تشعر بالضيق والقلق وترتقب هذا اليوم الذي تخلصت فيه من تلك القيود الثقيلة التي تفرضها عليها اقامتها الجبرية بين تلك الأسوار العالية..

وسر الأخ بهذه المعلومات .. وتابع سيره وإياها إلى مضارب الأهل والعشيرة.. ووصلوا فجأة وعلى غير انتظار.. فكان فرح الحي بهم شديداً، فأقيمت معالم الأفراح .. وصار السؤال عن واقع الحال.. وصار الجواب بما حصل..

ونسج الخيال حول هذه الحادثة أنواعاً من الحديث. وألواناً من الخيالات والتخيلات.. وانتشرت قصة مزنه .. وتعدد جوانب روايتها وخرجت عن محيط العشيرة إلى المحيط المجاور.. وسارت بين الأقوال كمسير الأمثال وتناقلها الرواة.. وتحدث بها الثقات .. وعاش جميع أفراد العائلة في سبات ونبات إلى أن جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات..

وحملت وكملت وفي أصبيع الصغير دملت.!!

سَـــالفة:

١٣- جهم مع جلاّل

«هذه السالفة رويت أصلها عن زوجتي العزيزة نوره بنت ناصر العوفاني. وصفتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا...»

اجتمع الأطفال عند جدتهم كعادتهم .. وقال أحدهم قصي علينا يا جدتي سالفة جهم مع جلال فقالت الجدة حبا وكرامه..

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الشاب الشريف في قومه الغني بثروته الحيوانية حيث يملك فرقتين من الغنم وذوداً من الإبل الأصيلة.. وجاء هذا الشاب بابله ذات يوم إلى الماء ليسقيها.. وجعل يخرج لها الماء من البئر ويصبه في الحوض وابله تتزاحم على الماء كل واحدة منها تريد أن تشرب قبل زميلاتها.. وكل واحدة تريد أن تشرب أكبر كمية من المال..

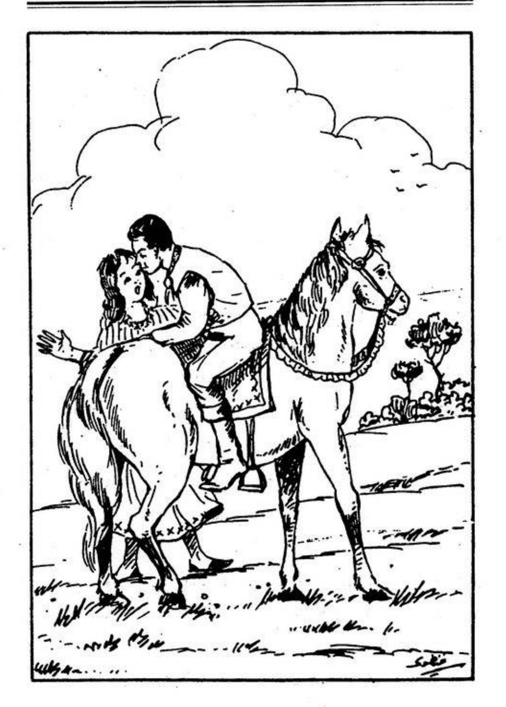
في هذه الاثناء جاءت ناقة غريبة.. ناقة عجوز في الحي

لتشارك إبل هذا الشاب في شرب الماء.. وكانت صاحبتها ترقبها من بعيد.. وعندما اقبلت هذه الناقة .. وصارت بقرب الحوض لتشرب وتزاحم ابل هذا الشاب، لم يكن منه إلا أن أخذ هراوة كبيرة وأسرع إلى هذه الناقة فطردها عن الحوض.. وأخرجها من بين الإبل..

رأت العجوز صاحبة الناقة صنيعة.. وحز ذلك في نفسها.. وجاءت إلى ان وقفت أمامه وجهاً لوجه وقالت له: الله يحرمك من حبة جهم كما حرمت ناقتي من شرب الماء.. فاستيقظت عواطف الشاب عند ذكر جهم وحبة جهم.. فقال للعجوز ومن جهم هذه.؟ فقالت انها شابة جميلة ذات أصل عريق في الشرف والمجد.. ومع شرف المحتد فإنها اجمل أهل زمانها على الإطلاق.. فقال الشاب وأن تقيم جهم وأين مضارب قبيلتها .. فقالت العجوز أنها من القبيلة الفلانية .. وأبوها فلان سيد قومه وهم يقيمون في المكان الفلاني..

انشغل قلب الشاب بهذه الفتاة الجميلة .. وصارت حديث نفسه إذا خلى.. وصار يتخيلها في منامه.. ويمنى النفس بالحصول عليها في يقظته.!! وحاول مراراً وتكراراً أن يصرف فكره عنها أو أن يقلل من التفكير فيها.. لكنه كان كلما حاول ذلك زاد إنشغاله بها وهواجسه وتخيلاته في جمالها..

استبدت به هذه الأفكار إلى أن شغلته عن كل شيء عن حاله وعن أهله وعن أصحابه .. حتى كاد أن يصاب بنوع من الهوس لا عهد له به.. وعندما وصلت حاله إلى هذا الحد..



جلال يقبل جهما قبلة مفاجئة وهي تساعده على ركوب الحصان..
ويسير إلى المعركة ووجهه إلى الوراء.!!

ورأى أنه لا خلاص من هذه الأفكار والتخيلات إلا بالرحيل في طلب جهم..

عندما رأى ذلك .. صمم على السفر في طلبها واستأجر لمواشيه من يقوم برعيها وتنميتها .. ووكل على أهله وولده من يقوم بشئونهم .. وشد الرحال في طلب جهم.. وجعل يسير من حي إلى حي .. وهو يسأل عن حي جهم مدعياً أن له صديقاً في ذلك الحي بينه وبينه علاقة تجارية يريد أن يصفيها..

وطال تنقل جلال بين الأحياء بدون جدوي .. وأخيراً وجد شخصاً عرفه بمضارب حي جهم فواصل السير ليله بنهاره.. حتى وجدهم حيث وصف له.. فحط رحاله عندهم.. متظاهراً بأنه فقير معدم.. وأنه يرغب في العمل لدى أحد أفراد الحي.. ورحب به والد الفتاة الذي هو شيخ القبيلة وسأله عن الشيء الذي يحسنه فقال أنه سائس خيل..

اتفق شيخ القبيلة مع جلال على أجر سنوي معلوم.. وقام جلال بعمله خير قيام فصار يهتم بإطعام الخيل وسقيها وتنظيف مكانها وكان يبذل جهداً كبيراً في هذا العمل.. أما ما زاد من وقته فهو يقضيه بين أفراد عائلة جهم فيأتي لهم بالماء ويساعدهم في كل شأن من شئون البيت من طبخ وطحن وغيره.. وهو في ذلك يتظاهر بالتغفيل والبله.. ولذلك فقد ارتفعت الحجب بينه وبين جميع أفراد العائلة التي تضم الأب وزوجته وسبعة أولاد وابنة هي جهم.. واستمرت الحياة هادئة آمنة لا مخاوف فيها ولا قلاقل..

واندمج جلال مع أفراد العائلة ورأى من جمال جهم فوق ما سمع وفوق ما تصور .. وكانت جهم تبدو أمامه - على سجيتها - كخادم بسيط مغفل لا يمكن أن يفكر في نيلها أو نيل شيء منها.. ولهذا فهي تظهر أمامه بدون تكلف ولا حشمه.. فيبهره ما يرى من جمالها ودلالها .. وكمالها.!!

وفي ذات يوم من الأيام أغار جماعة من اللصوص الفرسان فأخذوا جميع ابل الحي وساقوها أمامهم وحموها من الخلف.. فهب رجال الحي جميعاً.. مشاة وفرساناً .!! ولحقوا بالإبل.. واللصوص.. وكان من جملة من ذهب في طلب الإبل ستة من أولاد أبي جهم.. أما السابع فقد كان غائباً .. ولم يبق في الحي إلا النساء والشيوخ.. أما الرجال والشباب فقد ذهبوا على بكرة أبيهم .. لاسترداد الحقوق المسلوبه..

وجعلت جهم تمازح جلالاً.. وتقول له اذهب مع رجال الحي.. وأعيدوا الإبل .. فقال لها.. وهل تعطيني سلاح أخيك الغائب..؟ فقالت نعم أعطيك .. وذهبت جهم إلى البيت وأخذت السيف والرمح وجاءت بهما إلى جلال.. وعندئذ لم ير بداً من اللحاق بالقوم .. فأخذ السيف والرمح منها.. ثم قال لها ساعديني على ركوب الفرس فساعدته إلى أن ركب .. ثم أهوى إليها وقبلها قبلة حارة ما كانت لتتوقعها من مغفل ابله مثل جلال .. وجعل وجهه إلى خلف الفرس وقفاه إلى وجهها فقالت له جهم:

عدل من وضعك.. اجعل وجهك إلى الأمام وخلفك إلى

الخلف .. ولكنه قال:- هكذا علمتني أمي ركوب الخيل.. وسوف اهزم اللصوص وأنا هكذا.. وسار من مضارب الحي على هذه الحالة .. وجعل ينظر إلى جهم وهي تنظر إليه إلي أن اختفى عن أعينهم.. وعندئذ نزل من فوق ظهر الفرس وأصلح من وضعه.. ثم ركب وحث فرسه برجليه وصاح بين أذنيها.. فانطلقت به تعدو كالريح.. وعندما أشرف جلال على اللصوص وإذا ببوادر الهزيمة تبدو لعينيه .. وإذا الرجال قد انقلبوا إلى أهلهم بعد أن يئسوا من استراداد الإبل .. واستمر جلال في طريقه إلى اللصوص فصار أفراد الحي يسخرون منه.. ويقولون من باب الهزء والسخرية:-

إن جلالاً سوف يرد الإبل .. وقد سخر من جلال قبلهم نساء الحي ومن جملتهم جهم.. ولكن جلالاً سار بفرسه حتى قارب اللصوص .. فقال لهم:-

دعو الإبل تعود إلى مراعيها فسخروا منه أيضاً بأنواع من السخريات اللاذعة .. فأطلق لفرسه العنان وهجم عليهم هجوماً عنيفاً ما كان منتظراً .. وشق القوم نصفين وشطر الخيل شطرين .. وصرب هذا وجندل ذاك.. فلما خرج من الجانب الآخر.. قال لهم دعوا الإبل تعود إلى مراعيها .. فسكتوا ولم يهزأوا به فيه هذه المرة كما هزأوا به من قبل..

وعندما رأى جلال أنهم لا يستجيبون .. هجم عليهم هجوماً أعنف من هجومه الأول وكان قد عرف زعيمهم من طريقة وقوفه وأمره ونهيه فصب الغارة عليه رأساً .. وضربه

بالسيف ضربة قوية قدته إلى نصفين .. عندما رأى بقية اللصوص صنيعه أولاً وصنيعة آخراً لاذوا بالفرار وتركوا الإبل وتركوا من سقط منهم من القتلى..

وهربوا لا يلوون على شيء..

وأخذ جلال أعنة الخيل التي صرع فرسانها ثم لحق بالمنهزمين.. ولما رأى أفراد الحي بوادر الهزيمة رجعوا إلى المعركة.. ولكنها كانت قد انتهت.. واستمر جلال في مطاردة المنهزمين.. وكان كلما جندل فارساً أخذ عنان فرسه..إلى أن تركهم قتلى إلا من نجيى منهم بنفسه وعلى قدميه..

عاد القوم إلى الحي فرحين مستبشرين .. وكل منهم يتحدث عن انتصاراته أفعاله وما كسبه من الإبل والخيل والتفوا حول زعيم القبيلة والد جهم.. وقال :- ليحدثني كل واحد منكم عن أفعاله وليعدد لي مكاسبه.. فأفاض القوم في الحديث.. وكل قال أنا فعلت.! وأنا فعلت.!! وجلال ساكت في طرف المجلس.. فالتفت إليه والد جهم وقال له:-

وأنت يا جلال .. وكان والد جهم قد علم بأن جلالاً هو الذي هزم اللصوص.. فقام جلال من مكان جلوسه.. وتقدم إلى أن جاء في وسط المجلس وقال:- والله أنا يا عمي ما كسبت إلى هذه الخويطات .. (أي أعنة الخيل ولجمها) فقال أبو جهم أن الذي كسب هذه هو الذي كسب المعركة..

وخجل القوم من أنفسهم.. وتصاغر رجال كانوا يرفعون أعناقهم.. وعاد جلال إلى ماكنه من المجلس وأفاض القوم

العارفون بما رأوا من جلال من ضروب الفروسية والشجاعة والاقدام..

وقال أبو جهم لجلال من أنت وما هي قبيلتك فقال له أنا فلان ووالدي فلان وأنا من القبيلة الفلانية.. فوجد أنه من أصل كريم.. ومحتد من الشرف مرموق فقال أبو جهم لقد بيضت وجوهنا وأعدت أموالنا .. ومحوت عاراً كاد أن يلحق بنا لولا شجاعك وأقدامك فالآن تمن.!!! طلب مني ما تري.؟! فإن طلبك مجاب أياً كان ورغبتك نافذة مهما عزت..

فقال جلال إنني أطلب منك جهماً فتوقف الأب قليلاً وامتدت أعناق كثير من الشباب الذين كانوا يتطلعون إلى جهم ويمنون أنفسهم بالزواج منها.. ويرون أنهم أحق بها وأهلها.. ورفع الوالد رأسه بعد أطراقه فتره.. وقال أن جهماً هي أغلى شيء عندي ولكن شرفي أغلا من جهم.. وقد رددت لنا شرفنا ورفعت رؤوسنا بهزيمة هؤلاء الأعداء..

ولهذا فأنا قد زوجتك على جهم.. وقام من وسط المجلس.. علامة لانفضاض الجلسة ..ودخل إلى زوجته وابنته.. وأخبرهم بقصة جلال. وأنه حكمه فيما يريد.. وأنه طلب الزواج من جهم فأجاب طلبه.. وهو رجل كريم من أصل كريم فوافقت الأم على ما أمضاه الأب.

وسكتت الفتاة خجلاً وحياء.. وكان في نفسها كلام ولكن الحياء منعها أن تقوله.. وتركت الأمور تجري في مجاريها.. وخلت بأمها فقالت ماذا يقول شباب الحي وشاباته.. إذا

تزوجت من سائس خيل .. قد يكون انتصاره في هذه المعركة من باب الصدفة..

إنني لا أكاد أصدق أن والدي يتسرع هذا التسرع ويزوجني بدون اذني وبلا مشورة منك سابقة... وبلا سابق معرفة.. إنني أعجب مما جرى .. فقد وضعنا والدي أمام أمر واقع.. لا خيار لنا فيه.. حقاً إنني لم أعهد من والدي مثل هذا التصرف المرتجل.. الذي يتعلق بشرفنا ومسقبلنا .. فقالت الأم كوني واثقة.. فإن والدك أعرف منك بما يرفع قدرك ويعلي شأنك بين نساء الحي وشبابه.. ولولا أن جلالاً يستحق هذا.. لما عجل والدك فما عهدته إلا حكيماً بعيد النظر بصيراً بما يقدم عليه..

فاطمأنت الفتاة بعض الشيء .. ولكن زواجها من سائس خيل لا يزال يحز في خاطرها.

وذهب جلال إلى بئر مجاورة فخلع ملابسة التنكرية.. وغسل جسمه ولبس ثياباً نظيفة كانت معه.. قد أعدها لمثل هذه المناسبة وجاء إلى الحي بثياب جديدة وسحنة جديدة.. ونفس فرحة متوثبة.. وكادوا أن لا يعرفوه .. ونظرت إليه بنات الحي فعجبن منه وأعجبن به.. ولا سيما بعد الأعمال البطولية التي قام بها..

ان العرب يتعشقون البطولة بل يكادون يعبدونها .. ولذلك تغيرت نظرات أفراد الحي نحو جلال وصاروا ينظروا إليه كمنقذ وكمحارب قوي وكمدافع عنيد..

وبدا الناس بخلاف ما كانت جهم تتصور فبدل أن يشمتوا بها غبطوها.. وبدل أن يندبوا حظها اعتبروها اسعد فتاة في الحي بزفافها إلى هذا الشاب الوسيم الطلعة .. القوي الجنان المفتول الساعد ولكن .. جهماً مع هذا عندما لم تجد نتيجة عند والدتها ذهبت إلى والدها وأفضت إليه بذات نفسها .. وأبدت له مخاوفها من أحاديث الناس.. ولمز اللامزين، وشماتة الشامتين.

أخذها والدها بيدها وانتحى بها زاوية خالية وعرف جهم بجلال.. أنه رجل شريف كريم من محتد أصيل وقد جاء متنكراً قد يكون للوصول إلى هذا الغرض وهو الزواج منك وقد يكون لأغراض أخرى وسواء كان هذا أو ذاك فإن زواجه منك سوف يزيدك شرفاً إلى شرف. وسوف ينقلب الشامتون إلى حاسدين.. والهازئون إلى غابطين .. فاملكي أعصابكِ وثقي بي يا والدك فإن هذا شرفي وأنا أعرف أين أضعه .. وسمعتي وأنا أعرف كيف أصونها.!!

فاطمأنت الفتاة بعد هذا الحديث بينها وبين والدها.. واقتنعت برأي والدها.. وبدأ الاعداد للزفاف. وجاءت ليلة الزواج فإذا الحي كله فرح مرح.. الشباب والشابات في أزهي حللهم.. والشيوخ والعجائز جرتهم العدوي فانجرفوا في التيار وأوقدت النيران وانعقدت حلقات الرقص والطرب والأناشيد حولها..

حتى الولدان الصغار أحبوا تلك الليلة إلى آخرها.. وزفت

جهم إلى زوجها جلال والقت الجميلة الشابة بالشاب الفارس.. وصار حديث.. وصار أخذ ورد بين العروس وعريسها فإذا جلال الذي يخلو بها في هذا الليلة غير جلال الذي عرفته سائساً للخيل .. قذراً في ملابسه.. وقذراً في جسمه..

لقد تغير بقدرة قادر جزئياً وكلياً..وحتى حديثه الآن غير حديثه بالأمس .. إنه يبدو مركزاً في حديثه سريع الإجابة عما يسأل عنه وهو يتحدث بمعرفة وحنكة ودراية.. لم تعهدها فيه منذ عرفته سائساً للخيل بسيط التفكير بسيط الفهم تافه الحديث..

واطمأنت إلى جانبه واطمأن إلى جانبها.. وحتى لدات جهم لم تسمع منهن إلا ثناءاً على جلال واكباراً لجلال وحسداً على جلال.. إن كل فتاة في الحي تتمنى أن يكون جلال زوجها.. وكل شخص في الحي يتحبب إلى جلال ويظهر له الاحترام والتقدير والحب!!

وعاش جلال سنوات طوال في هذا الحي.. في وسط عواطف حب وتقدير من الجميع .. نسي معها أهله وعشيرته وزوجته الأولى وأولاده منها..

ورزق جلال بمولود ذكر من جهم.. ازدادت به علاقة الحب.. وتوثقت به الروابط بينه وبين زوجته.. ثم رزق بمولود ثان وثالث..

تقدمت السن بجلال وانطفأت تلك الشعلة من الحب والغرام الذي كان يسيطر على فكره ووجدانه.. وتذكر أهله

وعشيرته ووطنه .. وفكر في العودة .. ولكن كيف يعود.؟! كيف يتكر زوجته جهم وأولاده منها.؟! وازداد حنينه إلى موطنه الأول.. وظن في باديء الأمر ان هذا الحنين عارض سوف يزول.. ولكنه لم يزل .. بل صارت الأيام لا تزيده إلى قوة.. وجعل يصارع هذه الرغبة الجامحة في نفسه إلى أهله وعشيرته.. ولكنه لا يزداد إلا ضعفاً أمامها .. كما أنها لا تزداد إلا قوة وعنفاً على مرور الأيام..

وأخيراً رأى أن هذا الحنين لا يمكن أن يقاوم مهما بذل من جهد وتغافل..

وأفضى بهذه الرغبة لزوجته وحبيبته جهم فدهشت لهذه الرغبة.. وهذا الحنين.. انه شيء لم تتوقعه من جلال.!! ولا فكرت فيه في يوم من الأيام.. بل أنها كانت تظن أنه سعيد بين زوجته وأولاده .. وكرر عليها هذه الرغبة في العودة إلى أهله، ليرى بعد هذا الغياب الطويل ماذا صنع بهم الدهر وليؤدي نحوهم بعض ما يجب عليه من حقوق طال إهماله لها.. وتغافله عنها..

ولكن جهماً خيرته بين أمور ثلاثة:- إما أن يقيم معها أو يرحل بها فتقيم معه.. أو يطلقها.!!

فكر جلال في الأمر وقلبه على جميع وجوهه .. ورأى أن إقامته مستحيلة أمام شوقه العارم إلى أهله وعشيرته.. كما أن رحيله بها لا يمكن لأنه سوف يحدث تنافساً ومشاكل عائلية لا طاقة له بتحمل أعبائها .. وأخيراً رأى انه لا مفر من الطلاق

على مرارته.. وإشفاقه من عواقبه التي قد تكون مريرة بالنسبة إليه وإلى أولاده .. وحاول أن يقنعها بالحل الوسط وهو بقاؤها في ذمته ووعدها بأن يعود إليها قريباً بعد زيارة أهله وأولاده.. وتفقد أمورهم.

لكن جهماً لم تقنع بهذا الحل الوسط.. ورأى جلال أنه بين أمرين أحلاهما مر.. كما يقولون في الأمثال فطلقها وهو نادم .. وودعه الحي وداعاً حاراً ولكنه قبل الرحيل أراد أن يودع زوجته الجميلة الوفية بهذه الأبيات شعراً:

احذرك عن عود كبير قد انحنى — يموت وعيلانه عليك صغار
ولا تأخذي يا جهم شحيح بماله — يمرك عيد وما عليك خدار
ولا تاخذي يا جهم غرير من الصبا — يزيدك عند القاعدات حقار
لا تأخذي يا جهم إلا مجرب — رمحه نهار الكاينات كسار

قال لها جلال هذه الأبيات وودعها وودع أولاده .. وسار في طريقه إلى أهله .. لقد مضى عليه وقت طويل.. وهو لا يدري من مات منهم ومن هو لا يزال على قيد الحياة .. كما أنه لا يدري عند قدومه على الحي هل يعرفونه أم ينكرونه.. لقد ذهب من عندهم شاباً في ريعان الشباب.. وسيرجع إليهم كهلاً قد أخذت منه السنين..ووخطه الشيب وتغيرت كثير من ملامح وجهه وجسمه..

سار من حي إلى حي إلى أن وصل إلى مضارب أهله عشيرته.. فأناخ راحلته لديهم كغريب أو عابر سبيل .. ولم يعرفوه لأول وهلة ووجد شيخيه قد ماتا.. ووجد زوجته الوفية

قد كف بصرها.. ووجد أولاده وقد صاروا رجالاً وكانت والدتهم قد أخبرتهم عن والدهم وعن سفره وانقطاع أخباره فلا يدري أحي يرجى أم ميت ينعى..

وعندما عرفهم جلال بنفسه عرفوه.. فاستقبلوه بفرح لا حد له.. وصاروا يسألونه عن قصته فيخبرهم بما جرى.. خطوة خطوة.. فيتعجبون من مجازفته أولاً.. وصبره عنهم ثانياً.. واستقر به المقام بين أهله وعشيرته وبجانب زوجته المهدمة وأولاده الشباب المتفتحين على الحياة .. الباسمين لها ولآمالها..

ووجد في الحي رجالاً من لداته الكهول.. فاندمج معهم.. وصار يقضي معظم وقته بصحبتهم.. يتحدثون عن ذكريات شبابهم ويتطارحون الأخبار ويستعرضون حوادث الزمان.. وتقلبات الحدثان..

وتقدم العمر بجلال فأحس بقرب أجله فجمع أولاده وقال لهم: - يا أولادي .. لقد كبرت وتقدمت بي السن.. وصرت إذا أصبحت لا أدري هل أدرك المساء.. وإذا أمسيت لا أدري هل أدرك الصباح .. وأحب أن أخبركم بأن لكم إخواناً هم فلان وفلان وفلان.. وهم مع القبيلة الفلانية.. ونخوتهم هي نخوتكم.. فإذا أنا مت فاعرفوا نصيبهم من ميراثي.. واعطوهم إياه..

وإن لقيتموهم في حيات فاكرموا إخوانكم فإن أخوالهم كانوا قد أكرموني وزوجوني بأجمل فتاة فيهم.. ورفعوا مكاني وأكرموا

مثواي.. ولم أرد لهم شيئاً من جميلهم .. ولم أكافئهم على معروفهم .. فاحرصوا ان اتيحت لكم الفرصة أن تؤدوا لهم ولو بعض ما تتطلبه شيم الكرام.. من مقابلة المعروف بالمعروف والإكرام بالاكرام..

ألقى جلال على أولاده هذه الوصية .. وبعد فترة من الزمن أدركته المنية فقدم على رب كريم...

وغزا أولاده الكبار في سنة من السنوات.. والتقوا بقوم كانوا يريدون أخذ مواشيهم واختلطت الخيل بالخيل .. واعتزى كل أصله الكريم ليزداد حماسه.. ويقوى قلبه .. ويتضاعف اقدامه وسمع الإخوة الكبار ما قاله أولئك .. من الانتساب إلى ذلك الأصل الذي يضمهم جميعاً..

نزل الإخوة الكبار عن أفراسهم .. وألقوا السلاح.. ومشوا إلى القوم مسالمين .. فتعجب الرجال الآخرون من صنيعهم.. فقد جاؤوهم مغيرين طامعين .. وفجأة ألقوا السلاح مسالمين.!!

التقى الرجال بالرجال وعرف بعضهم بعضاً بنفسه فتعانقوا طويلاً وساد الحب والوئام .. بدل النهب والصدام والخصام..

وأخبروا أولاد جهم بوفاة والدهم.. وأخبروهم بوصيته.. فتذكروه .. وحزنوا على وفاته وعاشوا في سبات ونبات إلى أن جاءهم هادم اللذات ومفرق الجماعات...

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت!!!

سَـــالفة:

١٤- أبوسَالم مع الساحر الذي سَحر زوجته

اجتمع الأطفال عند جدتهم وقال أحدهم قصي علينا سالفة أبو سالم مع الساحر الذي سحر زوجته . . قالت الجدة حباً وكرامة.

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي تزوج زوجة جميلة أحبها.. وأحب طباعها.. وعاش بجانبها سعيداً مرتاحاً.. كأكرم زوج لا كرم زوجة.. ثم عرضت له حاجة تتطلب السفر إلى بلاد أخرى فأخبر زوجته بعزمه على السفر..وذكره لها ما دعاه إلى هذا السفر.. فتمنت له زوجته الوفية سفراً موفقاً وعوداً حميداً..

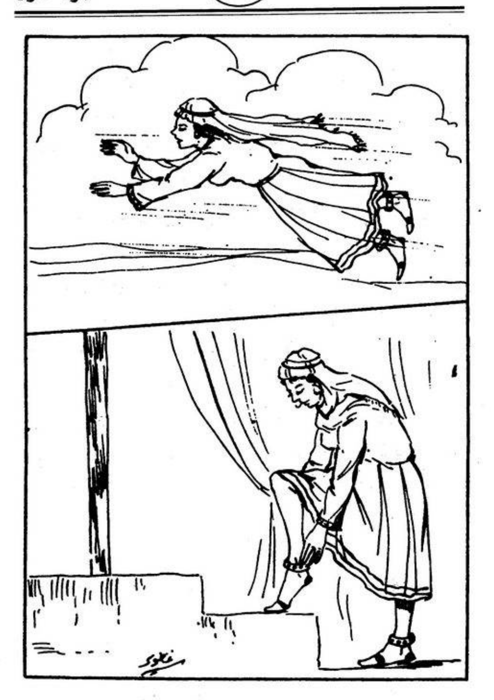
أعد أبو سالم عدة السفر.. وحان وقت الرحيل .. فجاء يودع زوجته الوفية .. وقال لها ما هي الهدية التي تريدين أن آتي بها لك من تلك المدينة التي أقصدها.. فقالت إنني لا أريد إلا رجوعك بالسلامة.. ولا ينقصني أي شيء.. فكل ما أريده

عندي .. فالح عليها زوجها.. فقالت:-

إذا كان لا بد من هدية فلتكن خلخالاً صفته كذا وكذاويعمله الصائغ الفلاني وذكرت له اسم صائغ مشهور بصنع أمثال هذه الحلية .. فقال لها زوجها وهو كذلك.. وبدأ رحلته إلى تلك المدينة .. وترك قلبه وعواطفه لدى زوجته المحبوبة ووصل إلى المدينة المقصودة.. كان أول شيء بدأ به أن ذهب إلى هذا الصائغ وطلب منه أن يعمل هذا الخلخال وأعطاه المقاسات والموصفات اللازمة.. واتفقا على القيمة .. واتفقا على موعد التسليم .. وزاد أبو سالم في الثمن قليلاً ليرضي الصائغ فيجيد في الصناعة بالقدر الذي يستطيعه.. وتعجب الصائغ من حرص أبي سالم على هذا الخلخال ومن كرم أبي سالم في البذل في سبيل هذا الخلخال.. وقال في نفسه لولا أن صاحبة هذا الخلخال جميلة جداً. لما وجهت إليها كل هذه العناية والحرص الشديد..

لهذا فقد وضع الصائغ في الخلخال مادة سحرية لها مفعول. مدهش .. وليس لها لون ولا وزن ولا يلاحظها أبصر الناس بالصناعة .. وانتهى الوقت وانتهى عمل الخلخال بحيث صار غاية في اتقان الصنعة.. وفي الجمال والرشاقة.. وأخذه أبو سالم ودفع بقية ثمنه بنفس سخية..

وانتهت أعماله في هذه المدينة فشد الرحال عوداً على بدأ.. قافلاً إلى بلاده فوصل سالماً وقدم هذا الخلخال إلى زوجته الحبيبة فكشفت غلافه فسرت به أيما سرور وكادت أن تطير من



زوجة أبي سالم تحلق في الجو بعد ان لبست الخلخال .. متجهة إلى المدينة التي قدم منها زوجها..

الفرح .. وحط الرجل رحاله. وهو سعيد مسرور بسعادة زوجته وسرورها.. فلما استقر في البيت كان أول ما طلبه من زوجته العزيزة أن تلبس هذا الخلخال ليرى هل هو على المطلوب.. هل القياس مضبوط.؟ فلبست أول واحدة فكادت أن تطير..

ظن الزوج باديء ذي بدأ ان هذا من الفرح.. ولبست الثانية.. ومشت ثم ارتفعت من الأرض قليلاً قليلاً.. إلى أن حلقت في الجو وبهت أبو سالم.. لقد طارت زوجته.. ولم يكن هناك فرصة لتقول كلمة واحدة.. لقد طار قلبه وابتعدت أوصاله ولم يدر ماذا يصنع.. ان في الأمر شيئاً.. إنها لم تطر إلا عندما تم لها لبس الخلخال.. إذاً فالخلخال هو سبب طيرانها..

قد يكون الصائغ عمله على سحر.. إنه لا يشك في هذا.. وكيف يصنع في هذا الظرف الدقيق.. إنه يريد طريقاً مختصراً يسلكه لانقاذ زوجته من هذا الصائغ .. فيكف يصنع ..؟ وفكر في الأمر ملياً .. وتذكر شخصاً كان يسمع عنه بأنه يتعطاى مثل هذه الأمور.. وقال أبو سالم في نفسه انه لا يفل الحديد إلا الحديد.. والطير بالطير يصاد.. والساحر يحطم سحره بقوة ساحر مثله..

أسرع أبو سالم إلى هذا الرجل وقص عليه القصة.. وبذل له مكافأة سخية إذا هو أسرع لإنقاذ زوجته من هذا الصائغ المحتال فهدأ من روعه وقال له:- صحيح أنه لدي عرفة بهذا الشيء إلا أنني لا أستعمله .. وأبرأ إلى الله أن أستعمله..

فقال أبو سالم انها ضرورة ملحة.. إنك إذا استعملته في مثل هذه الظروف فتأكد أن الله سيثيبك .. لأنك اسعملته لجلب خير وصد شر.. أما استعماله في الأضرار بالناس والتفريق بين المرء وزوجته .. فهذا لا شك أنه إثم عظيم..!!

سأل الرجل أبا سالم عن القصة فقصها عليه من أولها إلى آخرها.. وسأله عن اسم الصائغ وبلده فأخبره بذلك فعرفه .. فوعده خيراً وقال له هل أنت مستعد الآن.. فأجابه أبو سالم بأنه مستعد فمشى الساحر إلى غرفة مجاورة فأخرج منها جذع نخل منحوت..

ركب الاثنان في باطنه..وقرأ عليه الساحر بعض الطلاسم.. فما كاد الساحر يتم قراءتها حتى تحرك الجذع بقدرة قادر قليلاً قليلاً إلى أن حلق في أجواز الفضاء.. وبعد فترة ليست طويلة وصل بهم الجذع إلى المدينة وانحط بهم في مكان منزو من ضواحيها اخفوا فيه جذعهم.. ثم ذهب الإثنان سريعاً قاصدين بيت الصائغ..

وعندما وقفا عند الباب وقرعاه كلمهما من وراء الباب.. وقال لهما إنني مشغول وأن عليهما إذا كان لهما حاجة أن يعوادا في وقت لاحق.. فألحا عليه بأنهما يريدانه في عمل مستعجل لا يقبل التأخير ..فأجابهم بأنه لا يستطيع أن يعمل أي شيء في هذا اليوم وعليهما أن يعودا إليه غداً..

وأخيراً قال له الساحر أخرج رأسك إلى من النافذة لأقول لك كلمتي مشافهة ثم أذهب .. فأخرج الصائغ رأسه من

النافذة وكان الساحر الثاني قد أعد في يده حبتين من النوى.. فقذفه بهما بقوة وقال مخاطباً الصائغ: كن وعلاق.. فلصقت النوتان في جانبي رأسه وصارت كل واحدة منهما قرناً امتد أحدهما إلى جهة اليمين وامتد الآخر إلى جهة الشمال..

صار الصائغ بهذا لا يستطيع أن يتحرك من مكانه.. لقد لصق بالنافذة وسمر فيها .. بفعل هذه القرون التي هي أكبر من النافذة.. فلا تدخل معها.. ولا تخرج منها..

عندئذ نفخ الساحر في الباب فانفتح ودخلوا الدار مسرعين وبحثوا عن الزوجة المسكينة فوجدوها في غرفة نوم الصائغ. وسألها زوجها لعلك سالمة يا أم سالم.. فقالت إنني سالمة .. فلم أصل إلا منذ بضع دقائق.. ولم ينل مني شيئاً بحمد الله.. فشكروا الله جميعاً على أنهم جاءوا في الوقت المناسب وذهبوا إلى الصائغ فذل وتضرع وقال:- استروا على ستر الله عليكم.. وخذوا من مالي ما شئتم..

تعاهد الساحران على أن لا يستعمل الصائغ سحره في إيذاء الناس والسطو على حقوقهم .. والتفريق بين محب وحبيبه أو بين زوج وزوجته.. وأخذت المواثيق الغليظة .. ففك أسر الصائغ...

أخذ الرجل زوجته وكلاهما لا يكاد يصدق بما جرى .. أنه أشبه ما يكون بالحلم .. أشبه ما يكون بالكابوس المزعج الذي يطرأ على النائم ثم لا ينفك منه إلا باليقظة .. ومشى الثلاثة إلى مكان الجذع حيث أعادهم في مثل لمح البصر إلى

بلدتهم.. وسر الزوج من هذا الساحر الشهم النبيل..وعرض عليه عروضاً مغرية لمكافأتة على صنيعه.. بل معجزته التي قام بها في خدمته.. فرفض بإباء وشمم .. وقال :- إنني لم أفعل سوى الواجب .. أنا لم أتعلم السحر إلا لهذه المشكلة وأمثالها.. من مشاكل السحرة الجهلة؛ الذين يستعملون سحرهم للأضرار بالناس.. وأخذ حقوقهم بطرق غير مشروعة..

كرر أبو سالم الشكر لهذا الساحر الشهم .. وعاش مع زوجته في سعادة وصفاء .. وبعد فترة من الوقت رزق منها ابناً سماه سالماً.. وسر الوالدان بهذا الولد.! ونمى وترعرع سالم إلى أن بلغ سن الدراسة فأدخله والده في المدرسة التي يدربها إمام البلدة .. ويقوم بتدريس جميع العلوم فيها..

رأي هذا الإمام نظافة سالم واشراق وجهه وحسن هندامه.. وترتيبه لدراسه ولوقته .. فعزا ذلك كله في نفسه إلى أم الطفل فأحبها من بعيد لبعيد !. وسأل عنها من طرف خفي فقيل له إنها فائقة الحسن والجمال .. بل تكاد تكون أجمل امرأة في المدينة فدبت في نفسه عوامل الطمع.. وعوامل الشهوة الحيوانية.. وجعل يتملق ابنها سالم ويحسن معاملته.. ويهدي إليه بعض الهدايا الطفيفة التي يحبها الأطفال وتحبب الأطفال إلى من يقدمها إليهم.!

واستمر هذا الإمام على ذلك فترة من الزمن .. إلى أن اطمأن إليه الطفل.. واطمأن هو إلى الطفل .. وفي ذات يوم قال هذا المدرس:- إنني أريد منك أن تأتي إلي بشعرات من

شعرات رأس أمك إذا مشطت شعرها.. ولا أريد أن يعلم بهذا أحد .. لا أمك ولا أبوك.. فوعده الطفل بذلك .. كان الطفل ذكياً وعارفاً ببعض الأمور فدبت الشكوك والتساؤلات في نفسه.. وقال ماذا يريد هذا المدرس بشعرات أمي .. وأي علاقة له بهذه الشعرات .. وما هو الهدف من اقتنائه لها.. وقبل أن يقدم على هذه الخطوة .. أخبر أمه بما قال له هذا المدرس.. وقال أنه هددني إذا لم آت له بشيء من هذا الشعر.. كما أنه أمرني بأن يكون هذا سراً .. فقالت أم سالم.. إنني سوف أعطيك شيئاً من شعراتي ما دام يريدها.. فلا ضرر علينا من ذلك ولا خوف منه.!

ثم أخذت جلد خروف كان يستعمل كفراش في أحد أركان المنزل، وأمرت عليه المشط حتى أخرج منه بضع شعرات فعطرتها ثم لفتها في ورقة نظيفة وربطتها برباط وثيق وأعطتها ولدها سالماً وقالت أعطه هذه الشعرات .. ولا تخبره أنني علمت بالأمر.. فأعطاه سالم تلك الشعرات فسر الأستاذ بهذا الأنتصار..

جاء الزوج فأخبرته زوجته بما جرى.. فقال احفظي هذا الجلد في غرفة مغلقة الأبواب والنوافذ لنرى ماذا يكون من أمره.. وصبرا يوماً أو يومين .. ولم يشعرا ذات يوم إلا والجلد يطير في داخل الغرفة يبحث عن منفذ فلا يجده ..ويكرر المحاولة للخروج فلا يجد مخرجاً وتركوا الأبواب والنوافذ مغلقة على هذا الجلد حتى جاء وقت الصلاة وتقدم امام المسجد للصلاة بالناس وكان هو مدرس الأطفال.

عندئذ فتحوا الباب لهذا الجلد.. فخرج من الغرفة ثم من البيت مسرعاً.. وطار إلى أن حلق فوق المسجد ثم دخل واستمر في الطيران حتى جاء عند الإمام وهو في أثناء الصلاة فالتف عليه.. وجعل يتحرك حوله .. فتارة يصعد وتارة يهبط إلى أن شعر جميع المأمومين بما جرى فأتم صلاته سريعاً.. ثم انصرف إلى بيته عجلاً والجلد معه.. وهو لا يستطيع أن يعلل ما جرى للمأمومين.. ولا أن يأتي لهم بأسباب معقولة لهذا الحادث الشاذ .! ولما جن الليل أخذ هذا الإمام أمتعته ورحل عن هذه البلدة التي انكشف فيها أمره.

وهكذا يبقى الجمال مطارداً وفي حالة حرب دائمة .. مع حساد يريدون أن يحطموه ومنافسين يريدون أن يغلبوه .. وطامعين يريدون أن يمتلكوه .. ولا تقتصر هذه الحرب على الجميل نفسه.. أنها تمتد إلى من حوله .. وما حوله .. ومن تربطه بهم رابطة.. ان من يملك الجمال .. أو يقتني الجمال يكون في شغل شاغل عليه ووساوس دائمة نحوه حوله..

وقد تخلق أوهام الحب أموراً لا وجوج لها.. ويبني على هذه الشكوك والأوهام أمور من المتاعب التي لا حد لها ولا نهاية.. كما أن الجميل إذا كان يشعر بجمال نفسه يصح في دوامة من الرغبات الطائشة .. والاغراآت المتنوعة التي تجعل الجميل متقلباً متلوناً تتجاذبه شتى التيارات وتتنازعه شتى المطامع .. إلا من رحم ربك وقليل ما هم..

وكملت وحملت وفي اصيبع الصغير دملت .!!

سَـــالفة:

١٥- كليب ومهلهل

قال أحد الأطفال في هذه الليلة للجدة قصي علينا سالفة كليب ومهلهل.. فقالت حباً وكرامة هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي.. وإلى هنا قبيلة تنقسم إلى فرعين هما بكر وتغلب وكان يسود هذين الفرعين سيد مهاب مطاع ومحبوب في عشيرته بفرعيها وهو كليب ..وكانت له مهابة عظيمة .. ومكانة عالية.. في قومه ولدى أعدائه وخصومه فلا يجرأ أحد أن ينتهك شيئاً من حرمات .. ولا حرمات قومه وكان إذا حمى حمى لا بله ولا بل من يتعلق به لم يقرب هذا الحمى أحد.

وكان له أخ يقال له مهلهل لا يقل عنه أصالة وحنكة ودهاء.. إلا أنه لا يمكن أن يسود العشيرة اثنان ولا أن يجتمع في مربط حصانان ولا في عمد سيفان.. فترك مهلهل أمر العشيرة.. وقيادتها وسياستها لأخيه كليب وانصرف مهلهل إلى الأكل والشرب واللذات الجسدية.. وكان في بعض الأحيان يواصل ليله بنهاره في لهوه وعبثه وشرابه.. ثم يواصل النوم فلا

يجرأ أحد أن يفزعه .. ولا يستطيع أحد أن يتقدم لا يقاظه خوفاً من صولته .. ولأنه قد تقدم إليهم بانذار مؤكد بأن لا يوقظه أحد.. بل يترك إذا نام حتى يأخذ كفايته من النوم فيقوم بنفسه..

وسار على هذا المنوال زمناً طويلاً.. وحدث ذات يوم أن اضطر الحيان بزعامة كليب أن يرحلوا من المكان الذي كانوا يقيمون فيه إلى مكان آخر .. فشد القوم رحالهم .. وساقوا أموالهم ورحلوا وتركوا مهلهل فلم يجرأ أحد على إيقاظه من نومه.. واستمر القوم في المسير إلى أن وصلوا إلى المكان الذي يريدونه مساء وتطلع كليب إلى الوجوه ليرى أخاه معهم فلم يره.. وسأل عنه من يعرف أحواله فقيل له انها تركت عليه خيمته وهو نائم فيها.. وكان الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يوقظه بلا خوف هو أخوه كليب..

وإذاً فلا بد من رجوع كليب إلى أخيه لإيقاظه .. فليس هناك من يجرأ على هذا غيره.. وعاد الأخ إلى أخيه .. ووصل إلى المكان فوجد أخاه يغط في نومه العميق.. فمشى حتى وقف عند رأسه وناداه باسمه .. مهلهل.! مهلهل!. فاستيقظ مهلهل مهتاجاً مذعوراً تظهر بوادر الشر على وجهه وقد كان مصمماً على أن يفتك بمن جرأ عليه وأيقظه من نومه كأن من كان .. فلما رأى أنه أخوه كليب تراجع إلى حالته الطبيعية بسرعة.. وارتدى ملابسه بعجل .. ثم تقدم كليب أمامه وقال الحق بي .. فقد رحل الحي وسبقوك إلى مكان آخر.



كليب يسير على راحلته .. ومهلهل يتبعه ماشياً .. حافياً..

مشى مهلهل خلف ناقة كليب مسافة ليست بالقصيرة.. حتى ظهر التعب عليه لأنه كان يسير حافياً ..فرمى إليه كليب نعليه وقال البسهما فلما لبسهما استراحت قدما.. وقال «اثر الناعل راكب» أي حقاً إن الذي يلبس نعلين ويمشي فيها كأنه راكب على راحلته.. ثم استمر بهما السير فترة طويلة.. والتفت كليب إلى أخيه فرأى أن التعب قد أخذ منه فنزل من فوق الراحلة وقال لأخيه مهلهل اركب!. فركب.. فلما استقر على ظهر الراحلة وأحس بالراحة بعد التعب الشديد قال: - هذه الكلمة «اثر الراكب سلطان» أي حقاً ان الراكب سلطان أو كالسلطان فذهبت كلمتاه مثلين..

ووصل الأخوان الحي بأمان .. وحمى كليب حمى وجاءت ناقة لأمرأة اسمها البسوس في جوار بكر ودخلت في حمى كليب فما كان منه إلا أن أخذ سهماً من كنانته ورمى به ضرع ناقة البسوس فاختلط دمها بحليبها .. فذهبت الناقة إلى صاحبتها وهي على هذه الحالة.. وكانت هذه هي الناقة الوحيدة التي تملكها.. وهي الأمل الذي تتعلق به في مستقبل الأيام.. في نتاجها وحليبها.. وعندما رأت منظر ناقتها وهي بهذه الحالة صاحت بأعلى صوتها وبلا شعور فقد فقدت شعورها وفقدت السيطرة على نفسها وقالت كلمتها المشئومة.

واذلاه .!!! يا لبكر .!! فسمعها كل من في الحي وتجمعوا إليها وجاء جساس وهو رجل شجاع من بكر وأخته قد تزوجها كليب فأخذ العجوز بيدها.. وانتحى بها ناحية خالية..

وقال لها اهدئي .. ولا تثيريها حرباً عواناً بين بكر وتغلب واطلبي مني ما شئت .. فقالت إنه العار الذي لا يغسله الماء.. وإنه الذل الذي ليس بعده ذل.!! لقد انتهكت حرمتي وقتلت ناقتي التي لا أملك غيرها.. والتي يعد لها في نظري عشرات من أمثالها.. ولذلك فأنا لن أقبل بها بديلاً..

حاول معها محاولة أثر محاولة .!! ولكنها لم ترض إلا بالثأر مهما كانت النتائج حتى ولو كانت الحرب بين الحيين بكر وتغلب .. فوعدها جساس خيراً وقال إنني أريد منك شيئاً واحداً وهو أن تضبطي أعصابك إلى الغد .. وسوف أثأر لك ممن اعتدى على غلقك الوحيد النفيس .!!

وجاء الغد وركب كليب على فرسه وذهب يتمشى في أطراف الحي.. وابتعد قليلاً وكان جساس يرقبه .. فلما ابتعد عن الحي لحقه .. وفاجأه بطعنة أطاحته من فوق فرسه.. وأتبعها بأخرى حتى قضى عليه.. وجاء يعدو إلى عشيرته الأدنين.. وأخبرهم بما جرى.. فخاف القوم وانعزلت بكر عن تغلب .. وبدأ الفريقان يستعدان لحرب لا يعلم مداها إلا الله.. !! بكر للدفاع وتغلب للأخذ بثأر رئيسهم وزعيمهم كليب.. وقال أحد رجال بكر لماذ لا نرسل إلى مهلهل رسولاً يعرض عليه حلولاً عادلة للقضية؛ لعله يقبل واحداً منها فينجوا الحيان من حرب مدمرة.!! الغالب فيها خاسر كالمغلوب...

فاستحسنوا هذا الرأى.. وفكروا في الحلول التي يمكن عرضها على مهلهل واستقر الرأي على عرض ثلاثة حلول لاختيار

مهلهل واحداً منها.. وهي:-

أن يدفع لهم القاتل جساس فيقتلونه بكليب .. وأما أن يختار أشرف رجل في بكر فيقدم ويقتل فداء لكليب وأما أن يعطوه دية الأشراف مضاعفة.. والرابعة إذا لم يقبل واحدة من الثلاث هي الحرب:-

وذهب واحد من بكر يعرض هذه الحلول الثلاثة .. وعرضت على مهلهل فقال: أنا ليس لي مطمع في مال أتكثر به.. وإنما أريد سبع الشويهات البيض ليحتلبها ويعيش من ورائها بنات كليب... وأريد القعود الأعفر لينتقلوا عليه من مكان إلى مكان... ولا طلب لي غير هذين الأمرين .. فودعه الرسول ورجع إلى قومه .. فزف إليه هذه البشرى .. وأن مهلهلاً رضي بدل دم أخيه بسبع شويهات بيض.. وبقعو أعفر.

واجتمع كبار القوم لتداول الرأي .. وهل هذا عرض جاد أم هازل.؟! وتشعبت الآراء وقال بعضهم ان مهلهلاً رجل أبله وأن طلبه هذا يدل على بلهه.. ورجل بهذه الحالة لا يخشى منه.. وعندما انتهى المجتمعون من عرض آرائهم كان معهم رجل حكيم عجوز لم تتح له الفرصة بأن يتكلم أو لعله تأخر في الكلام بعدهم ليعرف آراءها ويكون رأيه هو مسك الختام .. فتحرك الشيخ الحكيم وأراد وسيلة يلفت بها أنظار القوم إليه.. ويلفت انتباهم إلى ما سيقوله فلم ير أفضل من اطلاق ضرطة قوية يتركها تلعلع في كل المجلس كجواب على هرائهم العقيم الذي سمعه..

وعندما سمع القوم تلك الضرطة، التفتوا جميعاً إلى الشيخ الحكيم وقالوا ماذا لديك.. فقال هذا الشيخ لقد ذهبتم عن الحقيقة التي أراد مهلهل بعيداً .. وتصورتم تصورات خاطئة عن الرجل وعن موقفة منكم.. أن معنى كلامه هذا هو الحرب .. الحرب ولا شيء غير الحرب.!!

فقال وكيف !. قال إنه يقصد بالشهويهات البيض السبع بنات نعش ويقصد بالقعود الأعفر القمر.. فهل تستطيعون أن تعطوه القمر وبنات نعش ؟! فقالوا لا .. فقال إذاً فما هي إلا الحرب فاستعدوا لها حتى لا تؤخذوا على غره .. فاقتنعوا بكلامه.. وساروا على ضوء رأيه .. ولم يشعروا بعد أيام قليلة إلا الغارة عليهم من تغلب فكانت الحرب التي ولد المولود فيها وبلغ مبلغ الرجال واشترك في معاركها..

واستمرت الحرب بين الحيين أربعين سنة!.. تارة تميل الكفة لبكر وأكثر الحروب كانت الغلبة فيها لتغلب .. وكان لكليب بنات أكبرهن تدعى حمامه...

فكان مهلهل يقول في حروبه، هذه الأبيات الشعرية أوهذا الكلام المسجوع:-

يا حمامة باصريني ... أذبح في كليب ألفين بعير

ولا تسوى أصيبعه الصغير

وأقسم مهلهل أن يقتل من بكر مائة رجل.. ثأراً لأخيه كليب ولما بلغ قتلاه من تغلب تسعة وتسعين رجلاً توقفت الحرب بين الحيين توقفاً قهرياً لموت مهلهل في الوقت الذي لم

يف فيه بقسمه.. وتفرق الحيان في البلاد بعد أن أنهكتهم الحرب.. وأكلت زهرة شبابهم .. وأهلكت أكثر مواشيهم.. ولكن الله أراد أن يحقق قسم مهلهل .. فبعد عام من الأسفار والرحيل عن مواطن المعارك .. عاد الحيان إلى مواطنهما..

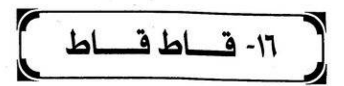
ورأى رجل من بكر عظماً يلوح من عظام قتلى قبيلة تغلب.. فأخذ العظم وحاول أن يكسره فوق ركبته .. وعندما ضغط على العظم بركبته انكسر العظم ولكنها انفصلت منه شظية دخلت في ركبة هذا الرجل .. فأحدثت جرحاً، وتعفن الجرح!.. فأحدث توماً .. وكبر التورم واتسع إلى أن تسمم الجسم كله فمات مقتولاً بشظية من شظايا عظام أحد القتلى من تغلب ...

فكان قتيل العظم هو تمام المائة من بكر .. الذي أقسم مهلهل أن يقتهلم ثأراً بأخيه..

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت!!.

حاشية:- هذه القصة بنصها وفصها يتناقلها الصغار عن الكبار في الأوساط الشعبية بلفظها ومعنا وقد يكون في بعض نقاطها ما يوافق ما كتبه المؤرخون عن حرب البسوس.. وما تفرغ عنها من حروب .. وقد يكون هناك نقاط فيما يتناقله المواطنون تخالف ما سجله المؤرخون خلافاً سطحياً أو خلافاً جوهرياً.. فاقرأ هذه القصة أيها القاريء الكريم على أنها إحدى الأقاصيص الشعبية التي يتناقلها الخلف عن السلف... وتقبلها على علاتها .. أو صحح منها ما ترغب في تصحيحه!!.

سَـــالفة:



قال أحد الأطفال للجدة قصي علينا سالفة قاط قاط فقالت الجدة: اطلبوا غيرها لأن فيها حوادث مزعجة! . وصور من الرعب مخيفة!. فقال الأطفال بصوت واحد: إننا لا نريد في هذه الليلة إلا هذه القصة .. وازعاجها على من وقعت عليه .. أما نحن فلا تضيرنا تلك المواقف ولا تزعجنا تلك الصور المرعبة..

فقالت الجدة ما دمتم مصرين على ذلك.. فاعلموا أن تلك الأمور كانت في سالف الزمان وقد إنقضت تلك الأزمنة بخيرها وشرها وبقيت قصصاً تروى فقط من باب التسلية.. وتزجية الفراغ وأخذ العبرة!!.

ثم اعتدلت الجدة في جلستها وقالت:

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك العائلة الفقيرة .. التي تضم عجوزاً مقعده .. ورجلاً أعمى وشابة هي ابنتهما الوحيدة.. التي تقوم بشئونهما .. وتسعى

لنيل الرزق لها ولهما .. وكانت هذه الشابة تكافح كفاحاً مريراً في سبيل العيش .. والترفع عن الحاجة إلى الناس.. وكسب قوتها وقوت والديها بعرق الجبين!!.

استمرت هذه الفتاة على هذه الطريقة فترة طويلة من الزمن.. إذا ضاقت بها مناهج العيش في المدينة، خرجت إلى الصحراء .. تجمع من حطبها .. وتجمع من أعشابها .. وتأكل ما يؤكل من نباتها.. وخرجت إلى الصحراء ذات يوم وحيدة فريدة .. وأوغلت في الصحراء بحثاً عن الحطب.؟ وعندما أرادت العودة ظلت الطريق.. وجاء الليل وأرخى سدوله وهي لا تزال في متاهتها .. ونظرت من جميع الجهات فلم تر أثراً لحي.. ولا مناراً لطريق .. فأيقنت بأنها واقعة في خطر شديد..

كانت الريح شديدة والهواء بارداً .. فجمعت ملابسها على جسمها وأطبقت على نفسها بزنبيلها الذي خرجت به لتحتطب فيه وتجمع فيه أعشاباً.. وحاولت أن تنام ولكن هيهات!. ان النوم هجر جفنيها فلا سبيل إلى النوم.. وجعلت تتململ تحت الزنبيل.. تارة تنقلب على جنبها الأيمن.. وتارة تنقلب على جنبها الأيسر.. وتريد أن تنام.. تريد أن ينقشع عنها هذا اكابوس فلا تستطيع.. وتريد ولا أن تعمل أي سبب من الأسباب.

ان وحشة الخلوة .. وسكون الصحراء .. جعلها تتخيل أموراً من المخاوف مزعجة.. وتتصور أشكالاً مخيفة .. فتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتنقلب على جنبها الآخر فلا تزداد



الوحش قاط قاط يقف على رأس الفتاة وهي خائفة وجله.!
ويوجه إليها بعض الأسئلة.!!

الهواجس إلا الحاحاً .. ولا المخاوف إلا شدة ..ولا مجال لها لكي تهرب من هذا الوضع الذي وضعتها فيه الأقدار .. وأسلم الأحوال في مثل وضعها الحاضر أن تلتزم الهدوء .. وأن تلجأ إلى الأرض تندس فيها إلى أن ينقشع كابوس الليل فتستطيع رؤية الأرض وأعلامها.. فلعلها تهتدي إلى المدينة بجبل تراه.. أو علامة تهديها إلى سواء السبيل.

بقيت الفتاة على حالها تلك .. في جحيم من الأفكار السوداء تأتي فكرة وتذهب فكرة .. وقلبها يدق دقات متوالية، فلا يكاد يدعها تهدأ .. ولا يترك لأعصابها فرصة للراحة... وهكذا أخذت ساعات الليل تمتد .. وتمتد .. وتمتد.. والفتاة المسكنية لا يهدأ لها بال.. ولا تستطيع أن تستقر على جنب واحد لتنام.. وعندما جاء منتصف الليل.. سمعت ضجيجاً وجلبة .. وأصواتاً مختلطة، هي مزيج من حركة مندفعة وأصوات وحوش كاسرة.. وظنت باديء ذي بدأ أن هذا من تصورات خيالها المرعوب !.. أو تصوير خاطرها المكدود..

وفركت عينيها .. وأصغت بأذنيها إلى هذه الأصوات!.. وإذا هي حقيقة لا مجال للشك فيها .. وواقع تحسه .. وبسمعها .. وتحسه بجسمها.. وتحسه بعقلها .. وتحسه بخيالها... ولكنها مع هذا تحاول أن تغالط نفسها ... تريد أن تكذب هذه الهواجس كلها.. تريد أن تتيح لنفسها ولو قليلاً من الراحة وهدوء البال..

ولكن لا مجال! .. فقد بدأت الأصوات تقترب!.. وبدأ صوتها

يرج الأرض رحاً من تحتها.!! ولم تشعر الفتاة وهي داخل زنبيلها إلا وجسم كبير غريب يقف عند رأسها!. والجلبة والضوضاء كلها من خلفه!.. وإذا هو يوجه الكلام إلى من تحت الزنبيل :- «من هنا» فتكلمت الفتاة بكلمات متقطعة مرعوبة.. وأنفاس مبهورة .. قائلة أنا يا عميمي!.. فقال لها: - هل تعرفيني.؟ فقالت نعم!.. فقال من أنا؟.. قالت الفتاة أنت ملك الوحوش وسيد الصحراء.. ومصدر الخير .. ومصدر البلاء .. فقال كيف ترين جمال .. قالت يا له من جمال باهر.. كالقمر الزاهر والضياء الغامر.. قال وكيف ترين جنودي قالت أنهم نعم الجند قوة. ونعم الجند كثرة .. ونعم الجند شجاعة..

قال ما اسم بلدك قالت هي كذا.. فأمر أن تحمل إلى أقرب نقطة من بلدها.. وأن يملأ زنبيلها ذهباً وفضة.. وجواهراً..

وهكذا فلم يشعر أهل الفتاة آخر الليل إلا بابنتهم تقرع عليهم الباب.. وهي محملة بتلك الثروة الطائلة. التي لا تحلم بها الأسرة في المنام.. ولا تخطر على بالها في الخيال.. ووجدت والدها لا تكاد تحمله قدماه من التعب والاجهاد والهم القائم..!! ووجدت أمها قد انعقد لسانها فهي لا تستطيع ان تتكلم .. وإنما وسيلتها للمفاهمة بالإشارة..

جاءت بتلك الثروة الطائلة وصبتها بين أيديهم .. فهالتهم هذه الثروة العظيمة، التي هبطت على ابنتهم من السماء .. وقال الأب لابنته ما هي القصة.؟! فأخبرته بما جرى منذ أن خرجت من البيت إلى أن عادت إليه.. فقال الأب لقد وفقت

في الجواب كل التوفيق..إن هذا وحش كاسر يسمى «قاط قاط» ... وهو يعمل هكذا بكل من ينفرد به في الصحراء .. فيمتحنه بهذه الأسئلة ، فإن وفق إلى مثل جوابك نجا وإن لم يوفق .. كان مصيره الدمار! والهلاك..

حمدت الفتاة ربها على أن وفقها للجواب الحكيم، والطريق السليم، للخلاص من ذلك الوحش المخيف.. وأعطت الأموال والدها يتصرف فيها بما يرى فيه المصلحة للأسرة في حاضرها ومستقبلها .. وظهرت آثار النعمة على هذه الأسرة فقد ضمدت جراحها .. وارتفعت مكانتها ورغد عيشها وصارت تنفق المال بسخاء .. وتظره بمظاهر الأثرياء ، فغبطها قوم وحسدها آخرون..

أخذ الناس كلهم يبحثون ويتكهنون عن أسباب هذا الغنى المفاجيء ، الذي سقط على هذه الأسرة .. فبعضهم يقول إنه كنز رآه أحدهم في النوم وحفروا عنه في الأرض فوجدوه .. وكان كنزاً عظيماً فيه ثروة طائلة ، من ذهب وفضه وجواهر .. وبعضهم يقول إن غنى هذه الأسرة بسبب قريب لها كان مسافراً إلى الهند وعمل في التجارة حتى كون ثروة عظيمة فمات ولم يخلف أولادا ولا بنات فتحولت معظم هذه الثروة لهذه الأسرة..

وبعضهم يقول إن الله إذا رزق العبد رزقه من حيث لا يحتسب فالله يرزق من يشاء بغير حساب.. والله هو الرزاق ذو القوة المتين..!

والمهم ان الناس ذهبوا مذاهب شتى في هذه الثروة المفاجئة وسبب حصول هذه الأسرة عليها .. وكان من جيران هذه

الأسرة عائلة غنية بعض الغنى .. وكانت أرفع مكانة في الثروة والمجتمع من أسرة فاطمة .. فلما جاءتهم هذه الثروة صاروا أغنى من هذه الأسرة .. وأكثر مالاً ، وأرفع منزلة فحسدوا أفرادها.. وكانت لهم ابنه في سن فاطمة لا تزال في مقتل الشباب.. وهي تنظر إلى الثروة والجواهر بشوق لا حد له..

لذلك جعلت تغدو وتروح على عائلة فاطمة.. وتجمتع بفاطمة كثيراً ..وتسألها في مناسبات عديدة، عن مصدر هذه الثروة .. فكانت فاطمة تتخلص من سؤالها فلا تعطيها عليه جواباً واضحاً محدداً .. وفي ذات يوم الحت بنت الجيران هذه على فاطمة .. بأن تخبرها عن مصدر هذه الثروة .. ولم تجد فاطمة بدأ من أن تخبرها بالخبر .. مقلوباً لتتخلص منها..

أخذتها فاطمة بيدها وخلت بها في إحدى الحجرات .. وقالت لها إن سبب هذه الثروة، إنني خرجت ذات يوم لأحتطب في الصحراء .. فتوغلت فيها ولم أجد شيئاً مما اردت فزاد توغلي وكان النهار على وشك الانتهاء .. فجاء الليل ولم أستطع أن أهتدي إلى الطريق، فنمت في المكان الفلاني وجعلت زنبيلي على رأسي فلما توسط الليل.. لم أشعر إلا بضوضاء وجلبة عظيمة .. وبعد وقت قليل وصل إلى وحش عظيم تمشي من ورئه وحوش الصحراء على مختلف أنواعها.. فسألني عن نفسه فقلت أنت الوحش الكاسر والعدو الغادر .. وسألني عن لبساه ومظهره فقلت لباسك الصوف ومظهرك مظهر الخروف..

وسألني عن جنده .. فقلت جندك وحوش أنذال.. وهم

ملفقون من السهول والجبال..

أخذت بنت الجيران هذه المعلومات المقلوبة رأساً على عقب قضية مسلمه .. وفي ليلة من الليالي سلت نفسها من بين أفراد عائلتها وكانت قد أعدت زنبيلاً خفية عن أهلها .. فأخذته وسارت في جنح الظلام فلما أوغلت في الصحراء .. وأخذ منها التعب .. وأحست بوحشة العزلة والانفراد .. كفأت الزنبيل على رأسها.. وجلست تحته، مبهورة الأنفاس.. تلوم نفسها تارة على هذه المجازفة التي لا تعلم عواقبها.. وتارة تمنى نفسها بالثروة العظيمة التي سوف تنالها في هذه الليلة .. وبقيت تحت زنبيلها وقلبها يخفق وجسمها يرتعش ونفسها الجشعة تذهب بها في آمال طوال..

وعندما صار الليل ليلين .. سمعت ضجيجاً وجلة عظيمه آتية من ناحية الجبال .. وأخذت هذه الأصوات والجلبة ترتفع شيئاً فشيئاً.. إلى أن اهتزت الأرض من تحت الفتاة .. فعلمت بقرب الوحش وجنوده وأعدت الأجوبة التي كانت حفظتها حرفياً.. وجعلت تعيد الأسئلة والأجوبة فيما بينها وبين نفسها.. وتستعد للأخذ والرد مع هذا الوحش الكاسر.. وبينما كانت على هذه الحالة، وإذا بالوحش يقف على رأسها ويوجه إليها السؤال الروتيني المعروف..

من أنت؟ قالت أنا فلانة .. فقال لها ومن أنا.؟! قالت أنت الوحش الكاسر والعدو الغادر.. ثم جعل يلقي عليها بقية الأسئلة فتجيبه بنفس الأجوبة المثيرة التي لقنتها إياها فاطمة .. وكان الوحش ينخر من الغضب بعد سماع كل جواب.. فلما

تكاملت أجوبتها كان الوحش قد نفد صبره .. واحتدم غيظة.. وتعطش إلى روية دمعها .. مراقاً على أرض الصحراء فقال لجنوده مزقوها.. فانقضت عليها الوحوش من كل جانب ومزقتها شر ممزق ... ولم يبق في مكان المعركة إلا أشياء من زنبيلها وملابسها .. أما جسمها .. أما عظامها .. أما دمها.. فقد ذهب ذلك كله في بطون تلك الوحوش الكاسره..

وأصبح الصباح وبحثت العائلة عن ابنتها فلم تجدها .. وسألت عنها الجيران فلم يدلوا عنها بخير .. وشاع في المدينة هروب هذه الفتاة.. وكثرت الإشاعات والأقاويل حول هذا الهرب.. فمنها مايقول لعلها هربت مع حبيب لها كانت تحبة في السر ويمنعها أهلها من الزواج أو الاجتماع به جهراً وبعضهم يقول لعلها سئمت القيود العائلية المتزمتة التي كانت تعيش في وسطها بين أهلها.. الذين قد يكونون متزمتين أكثر مما يطاق.. وبعضهم يقول لعلها نكبت في حب لها مع شاب غرر بها.. ثم غدر وتخلى عنها في منتصف الطريق فلم تر وسيلة للخروج من هذا المأزق إلا بالهرب إلى إحدى المدن المجاورة..

هذا بعض ما يقوله الناس ويتناقلونه عن فقدان هذه الفتاة، التي ذهبت حياتها بسبب الطمع والجرى وراء الثروة.. والركض الآمام الكاذبة .. التي يتساقط ضحاياها بين البشر بالعشرات بل بالمئات في كل يوم من أيام هذه الحياة...

لقد ذهبت هذه الفتاة ضحية الطمع .. ضحية الجشع .. فقد كان أهلها من طبقة متوسطة . تعيش في رغد وعز ومكانة

مرموقة ولكن أثراء جيرانهم جعلها بدافع المنافسة تقوم بهذه المغامرة الفاشلة .. وبحث أهل الفتاة عنها.. سألوا عنها صديقاتها فلم يجدوا على سؤالهم جواباً.. واستمروا في البحث والتحري وسؤال الغادي والرائح.. فلم يضفروا بأي نبأ عنها..

وخرجوا إلى الصحراء ، من عدة جهات.. يبحثون لعلهم يجدون .. أو لعلهم يسمعون شيئاً عنها واستمر البحث عدة أيام بدون جدوي.. ولكن اليأس لم يدب إلى نفوسهم فما زال لديهم أمل في العثور عليها أو على أخبارها .. واستمر البحث.. وفي ذات يوم كان أحد الذين يبحثون عنها حول مكانها .. ورأى سواداً فقصد إليه .. وعندما وصله .. وجد ثيابها الممزقة .. ووجد ساعتهاالمحطمة .. ووجد بعض خواتمها وحليتها..

أخذ الجميع وذهب به إلى أهل الفتاة وقال إني وجدت هذه الأشياء في مكان كذا من الصحراء.. ولا أدري هل هذه لابنتكم أم لغيرها.. فحصوا هذه الأشياء،وتأكدوا أنها ملابس ابنتهم.. وحليها .. وعلا البكاء والنحيب .. وعم الحزن والأسى على هذه الشابة التي ماتت في مقتبل شبابها.. لأسباب لا يعلمون عنها شيئاً.. وعادت الإشاعات والأقاويل بين الناس عن الأسباب والمسببات .. في وفاة هذه الفتاة .. ولكن هذه الأقاويل كلها كانت ظنوناً وتكهنات..

إلا أن تلك المجتمعات تملأ بمثل هذه الأحاديث أوقات فراغها.. وتزجى بها فترة من ساعاتها اليومية لا مجال إلى ازجائها إلا بأمثال هذه الأحاديث والظنون والتخرصات .!!

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت!!.

سَـــالفة

١٧- محسن مع السّاحرتين

قال الأطفال لجدتهم قصي علينا سالفة محسن مع الساحرتين فقالت حباً وكرامة واستوت الجدة جالسة وتنحنحت مرة أو مرتين ثم قالت: -

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. وإلى هنا هاك الرجال الذي أبعده طلب المعيشة عن بلده.. فسافر وترك والدته وحيدة في قريته طلباً لرزق.. وبحثاً عن مناطق الرخاء ووصل إلى مدينة تبعد عن بلاده كثيراً ... والتمس العمل.. وبحث عمن يريد جهداً بمال.. وأخيراً جاءه رجل واتفق معه على أن يخدم في أحد البيوت.. يشتر حاجات أهل البيت ويهتم بأمورهم صغيرها وكبيرها.. ويحوط أهل البيت بكل عناية..

فوافق على ذلك مسروراً .. لأنه فرض له مقابل عمله هذا مبلغ طيب .. ودخل البيت وحددت له أعماله .. فشرع في أدائها بروح متوثبة..وحب للعمل مستمر وأمانة تامة.. وعرف

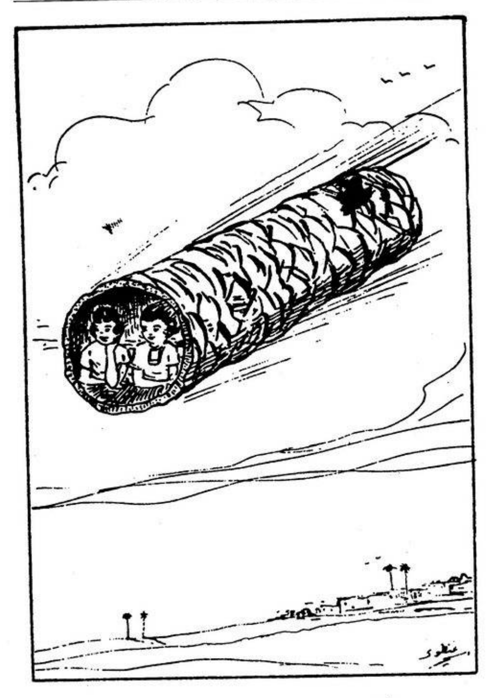
كل من في البيت .. إنه لا يوجد فيه إلا فتاتان شابتان يظهران بمظهر الثروة والغنى.. وينفقان على نفسيهما نفقة من لا يخشى الفقر .. ويسكنان في بيت جميل نظيف مؤنث بأفخر الأثاث ومنسق أجمل تنسيق ..

كانت مهمة محسن أن يحافظ على هذا التنسيق وأن ينظف كلما يحتاج إلى تنظيف . وأن يعد للفتاتين كلما يضمن لهما راحتهما .. من ملذات العيش..

استمر على ذلك سنة كاملة .. وهو راض ومسرور بعمله... وهاتان الفتاتان مرتاحتين لنشاط محسن وتوفيره لهما كلما يريدانه من متطلبات حياتهما من لوازم المعيشة. ومتطلبات المنزل على اختلاف أنواعها .. والفتاتان من ناحيتهما لا تبخلان في النفقة ..بل تبذلان بلا حساب..

جعل محسن يفكر في هاتين الفتاتين .. ان حياتهما كلها أسرار وألغاز... فهو لا يدري من أين تأتيهما هذه الثروة العظيمة التي ينفقان منها .. وهو لا يدري أين يروحها وكيف يرجعان.. ولا يرى أحدً يغشاهما من أهل المدينة... وحتى الرجل الذي اتفق معه لم ير له بعد ذلك أي أثر فكأن الأرض قد ابتلعته .. أو كأنه فص ملح وذاب وجعل محسن يديم التفكير في هذه الألغاز والمعميات التي تكتنفه من كل جانب .. ويدفعه حب الاستطلاع إلى أن يعرف مصادر تلك الأمور ومواردها..

أخذ يرقب الوضع من طرف خفي .. فوجد أن الفتاتين



الجذع يطير بالساحرتين .. ومحسن بداخله
من غير أن تشعر به الفتاتان..

لا تبرحان المنزل طيلة ساعات النهار.. إذاً فإن الأسرار والألغاز كلها في الليل .. وإذاً فلا بد من التفكير في الليل فقط .. لقد انحصرت الأسرار في جانب معين فليرقب هذا الجانب برفق وحذ ر.. وكان محسن ينام في غرفة خصصت له في الطابق الأرضي بينما تستقر الفتاتان في الطابق العلوي والأخير لأن العمارة طابقان فقط.. واستمر على اليقظة والمراقبة مدة طويلة لم يظفر فيها بشيء..

لم ييأس محسن .. بل أخذ يضيق حلقة المراقبة شيئاً فشيئاً إلى أن حصرها في ساعات محدودات من الليل .. فصار يأوي إلى فراشه ويتمدد فيه ولكنه لا ينام .. إنه يتأخر عن النوم كل ليلة ساعة ليرقب ما يحدث في هذه الساعة .. وبقي اسبوعاً على هذه الحالة وفي الليلة الثامنة .. شعر بحركة غير عادية .. وأحس أن الفتاتين نزلتا إلى الطابق الأرضي .. ثم أخرجنا جذعاً من جذوع النخل قد نحت باطنة حتى صار يتسع لشخصين أو ثلاثة .. ثم رأى الفتاتين تركبان داخل هذا الجذع.. ثم تقولان كلمات لم يتبينها... يطير بهما الجذع على أثرها..

فرح محسن فقد استطاع أن يحل لغزاً من الألغاز التي تحيط بهذا البيت .. ولعل هذا السر هو سر الأسرار الذي منه تتفرغ جمعيع الألغاز والمعميات التي كان يعيش فيها قبل اكتشاف هذا الأمر .. في هذا البيت الهاديء الوديع .. الذي لم يكن محسن يظن أن ساكنتيه تتمعان بهذه القدرة الفائقة.. وسكت وكتم

الأمر في نفسه .!! وكأنه لم ير شيئاً.

واستمرت الفتاتان على هذا النهج... واتسمر محسن في المراقبة الواعية الحذرة... وفي ذات ليلة بعد أن أدى كل ما يطلب منه .. وقدم للفتاتان كلما تحتاجان إليه ... تظاهر بأنه ذاهب إلى غرفة الخاصة لينام ..وذهب إلى غرفته فعلاً.. وضع فوق السرير وسائد وغطاها بلحاف .. بحيث أن من يرى هذا السرير لا يشك أن عليه شخصاً نائماً..

تسلل إلى الجذع .. وكان قد عرف مكانه .. ودرس وضعه.. وعرف مداخله ومخارجه .. فدخل فيه .. وانزوى في آخره في مكان لا أهمية له في الجذع ولا طريق للفتاتين عليه .. وكتم أنفاسه وضبط أعصابه .. ولم يطل به الانتظار.. فبعد وقت قصير من دخوله في الجذع نزلت الفتاتان من الطابق العلوي إلى الطابق الأرضي وجرتا الجذع على عجلاته ؛ حتى أخرجتاه في ردهة واسعة في مؤخرة المنزل.. ثم استقرتا في مكان القيادة ..

صارتا تتلوان كلمات وطلاسم لم يفهم منها محسن شيئاً قالتا للجذع بصوت واحد طر بانثاوين .. فلم يتحرك الجذع .. وانتظرتا قليلاً ولكن الجذع بقي حيث هو لم يتحرك.. فنزلت الفتاتان منه وتفقدتاه من جيمع جوانبه .. فلم تريا فيه أي نقص .. ولا أي خلل فعادتان إلى مكان القيادة ..

أعادتا طلاسمهما وكلماتهما المقطعة ثم قالتا بصوت واحد طر بانثاوين .. فلم يتحرك الجذع .. فقالت إحداهن للأخرى

لعلك حامل يا فلانة . فضحكت . ولم تستطع أن تنفي .. ولم تستطع أن تثبت .. وعندئذ قالت المتكلمة الأولى أنك حامل ولا شك ولنفترض أن ما في بطنك ذكر .. فتلتا طلاسمهما وحروفهما اللقطعة.. ثم قالتا بصوت واحد طر بانثاوين وذكر فتحرك الجذع.

ارتفع عن الأرض قليلاً قليلاً .. حتى صار فوق البيوت ثم انطلق الجذع يحلق بهم في أجواء السماء.. وجعلت الفتاتان تمزحان.. وتتكلمان فيما بينهما بنكت.. وتقصان أقاصيص.. يقضيان بها الوقت .. ويملآن بها الفراغ.. الذي لا طريقة لملئه إلا بسلوك هذا النهج.. هذا ومحسن كاتم أنفاسه .. ضابط أعصابه لا يتحرك ولا يصدر منه أي صوت خوفا من أن ينكشف أمره فلا يدري ماذا يكون مصيره..

إنه أمام ساحرتين تستطيعان أن تقلباه حجراً .. أو تحولاه إلى خروف أو تجعلانه في شكل قطعة أليفة تأكل الحشرات وتطارد الفئران.. لقد أحسن محسن بأنه رمى نفسه في مخاطرة عظيمة نجاته من أخطارها تتوقف على مدى ضبطه لأعصابه. وتحكمه في حركاته.. وبعد فترة وجيزة من هذه الأفكار والهواجس؛ أحس بأن الجذع بدأ في الهبوط إلى الأرض..

لم يكن هناك نوافذ يستطيع أن ينظر منها إلى الأرض.. كما أن الليل مرخ سدوله فلا يكادالمرء يبصر شيئاً من معالم الأرض وأنهارها وجبالها .. وبينما كان محسن على هذه الحالة.. وإذا بالجذع يهبط، على الأرض هبوطاً هادئاً رزيناً.. لا اهتزازات

فيه ولا ارتطام .. وبعد أن استقر الجذع على الأرض خرجت الفتاتان منه وتركتاه في موضعه .. وصارتا تسرحان وتمرحان.. ومحسن يعيش في ظلمتين ظلمة الليل وظلمة الجذع .. ولكنه يسمع ما تقولانه .. ويتابع تحركاتهما من طريق صوتيهما.. فيعرف مقدار بعدهن من الجذع من صوتيهما..

عندما ابتعدت عنه الأصوات خرج من الجذع متسللاً .. ورأى ما بهر عقله .. وأطار لبه!! .. وفكر هل هو يعيش في حقيقة أم خيال.. لقد رأى جزيرة جميلة منسقة الأشجار .. جارية الأنهار فواحة الأزهار .. أما أطيارها فهي نائمة ليلاً ولو كان الوقت نهاراً لقلنا ومغردة الأطيار .. أرضها بطحاء نظيفة.. وأشجارها باسقة كثيفة.. ومياهها عذبة .. ونسماتها منعشة .. وتنسيقها باهر..

حدق النظر في نباتاتها.. فإذا هي الورد والزعفران .. وإلى بطحائها فإذا هي اللؤلؤ والمرجان .. ولم يذهب محسن بعيداً عن الجذع؛ خوفاً من أن يعدن سريعاً فيتركنه حيث هو أو يعلمن بوجوده معهن فينكشف أمره ثم يكون مصيره في أيديهن .. ولهذا فقد بقي قريباً من الجذع وجعل يملأ جيوبه من اللؤلؤ والمرجان .. ويأخذ كلما يستطيع أخذه من هذه الأحجار الكريمة .. وبعد أن لم يجد مكاناً فارغاً يضع فيه شيئاً من هذه الأشياء الثمينة .. ذهب إلى الجذع ودخله بهدوء.. خوفاً من أن يحدث حركة فيه فيسمعن الحركة ... بحاستهن السحرية لا بشيء من الحواس الخمس...

استقر محسن في مكانه فرحاً مسروراً .. لقد طار وعلم الأسرار وسوف، يكسب ثروة طائلة من هذه الأحجار الكريمة التي جمعها في جيوبه..

وبعد لحظات جاءت الفتاتان وهما تضحكان وتلعبان وتتبادلان أنواع النوادر والمضحكات !!. ثم استقرتا في مكانهما من الجذع . وخفق قلب محسن خوفاً من أن يطلعا عليه فيقلباه صخرة ويلقيانه في هذه الجزيرة .. أو ينفخان في بدنه فينقلب إلى فأر أو أرنب أو جرذان..

لكن الفتاتين لم يظهر عليهما أنهما شعرتا بشيء.. فقرأتا طلاسمهما وكلماتهما المقطعة.. ثم قالتا بصوت واحد «طر بانثاوين وذكر».. فتحرك الجذع قليلاً قليلاً إلى أن ارتفع عن الأرض ... ثم حلق في أجواز الفضاء.. وبعد فترة غير طويلة انحط بهما الجذع في الردهة التي طارا منها... وذلك قبيل طلوع الفجر بوقت وجيز.. وذهبنا إلى غرفة محسن فرأتاه في الفراش .. فانطقلتا إلى طابقهما العلوي تقفزان الدرج قفزاً ... سريعاً .. وعندما تيقن محسن أنهما نامتا تسلل من مؤخرة الجذع .. وراح يمشي الهوينا إلى غرفته الخاصة .. وجمع ما معه من الجواهر والأحجار الكريمة، فأخفاه في مكان منزو .. وخلع ملابسه ونام على فراشه.! ثم استيقظ في وقت يقظته المعتاد... فأدى جميع أعماله وكأنه لم ير شيئاً...

ولم يحاول محسن أن يذهب معهما مرة ثانية .. خوفاً من أن ينكشف أمره لأنه ليس في كل مرة تسلم الجرة.. كما

يقولون في الأمثال: بل اكتفى بما قسمه الله له في المرة الأولى.. وهي ثروة عظيمة إذا بارك الله فيها فسوف تقوم بحاجاته مدى الحياة!!.

وأقبل عيد رمضان وأهلت ليلة العيد ونزلت الفتاتان من طابقهن إلى الطابق الأرضي .. وصرن يسلين محسن ويمازحنه.. فالليلة عيد والعيد لا بد أن يكون فيه شيء من التسامح والتنازلات عن المراتب والرتب .. وقالت له إحداهن مازحة:-

ماذا تتمنى يا محسن في هذه الليلة؟!.

فقال أتمنى أن أقضي أيام العيد في بلدي وبين أهلي وولدي وعشيرتي وأن آكل في ضحى العيد من الجريش الذي تعمله والدتي!!.

فقلن له كن على استعداد .. وبعد ساعات قليلة سوف تكون عند أمك .. إنما على شرط واحد وهو أن تبقى لدى عائلتك شهراً واحداً فقط ... بعده تتوجه إلينا لتقوم بعملك لدينا على المعتاد .. فقال محسن أعدكن بذلك.

أعد محسن نفسه، وجمع متاعه.. ووضع جواهره وأشياءه الثمنية في خرقة بالية وربط عليها ...ووضعها بين أسمال ثيابه.. وفي الموعد المحدد كان محسن على أتم الاستعداد .. فقادته إحداهم إلى الجذع وأركبته فيه... وكانت زميلتها قد سبقتها فاحتلت مكانها المعتاد .. ثم تلت إحداهن بعض الطلاسم والحروف المقطعة .. وأكدت الفتاتان على محسن قبل

ذلك أن لا يذكر اسم الله .. بل يبقى صامتاً كل الصمت .. وأن لا يبدي أي تساؤل عما يجري أمامه ..

وعدهن محسن بذلك.. ثم قالتا بصوت واحد «طر بانثاوين وذكر فحلق بهم في أجواء السماء. وسألت إحداهن محسناً عن بلدته ما اسمها وأين اتجاها وعن بيت أمه أين يقع من المدينة.. فوصف لهن الاتجاه .. وأخبرهن باسم البلدة .. ووصف لهن منزل أمه.

فلم يشعر بعد لحظات إلا وهن ينزله على سطح دار أمه فودعنه وودعهن.. ثم واصلن طيرانهن إلى حيث لا يدري..

هبط محسن من السطح إلى أمه .. فكانت مفاجأة سارة.. ما كانت تخطر على بالها في الخيال ... فقبل الولد رأس والدته وقبلت الوالدة ولدها في خديه.. وتعانقا طويلاً جرت فيه دموع الفرح مدراراً .. وسألت الوالدة ولدها:- كيف جئت؟!. هل هبطت علي من السماء... أم نبعت علي من الأرض؟!. إنني لا أدري يا ولدي كيف جئت إلى في ليلة العيد الذي صار بالنسبة إليّ أعياداً..

فقال لها الولد لقد أتيت بواسطة معجزة لا يمكن أن تخطر على البال قالت الوالدة وكيف؟!. وأراد محسن أن لا يخبر والدته بالحقيقة لأنها تشير إلى أنه خادم للسحرة .. ومرتبط مع السحرة.. ويتعامل مع السحرة .. وهذه كلها ثغرات قد تسبب له مواقف محرجة .. وسمعة غير لائقة .. فتهرب من هذا كله بأن قال لوالدته:-

لقد قدمت معروفاً إلى أحد الجان من حيث لا أشعر. وكنت أتحدث وأتمنى أن أكون في ليلة هذا العيد عندك لآكل من طعامك الذي تصنعينه في العيد.. ولعل هذا العفريت علم برغبتي وأراد أن يكافئني على معروفي فطار بي حتى رماني فوق سطح منزلنا... فازداد عجب الأم... وتناثرت دموعها على خديها من الفرح للمرة العاشرة.. وذلك لنجاة ابنها من هذه المغامرة الخطرة التي خاض غمارها .. حيث طار إلى الجو أو طير به إلى الجو ... وتعلق بين السماء والأرض ... ثم هبط سالماً في بيت أمه...

جعلت الأم تفكر كيف نزل وكيف نجا.. وكيف استطاع أن يتنفس في طبقات الجو وأن يضبط توازنه في الجو .. والمهم أن الولد قال لأمه :- اكتمي الخبر فلا يدري به أحد لا قريب ولا بعيد ومن سأل عن مجيىء وعمن جئت معه فقولي : - جاءمع قافلة من البادية مرت بالمدينة ووضعته خارجها ... ثم واصلت سيرها إلى مضارب حيها...

وعاش محسن بجوار أمه وفي بلده وبين أهله وذويه عيشة غنى وثراء .. وجعله يبيع من هذه الجواهر واحدة بعد أخرى. وينفق من ثمنها على نفسه وعلى ذويه ثم تزوج إبنة عمه ورزق منها عدة أولاد وعاش الجميع في سبات ونبات.. ورزقوا الكثير من البنين والبنات.

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دلت!!.

سَــــالفة

١٨- الأنسى الذي حاكمه الجن

في هذه الليلة قالت إحدى الفتيات للجدة : - قصي علينا يا جدتي سالفة الانسى الذي هبط به الجن إلى أعماق الأرض لمحاكمته عندما قتل أحد أبنائهم..

فقالت الجدة إنني قد لا أعرفها بجميع تفاصيلها.. فاقترحوا غيرها فقال الأطفال كلهم:- لا نريد إلا هذه القصة.. فقالت سمعاً وطاعة .. سوف أقص عليكم ما أعرفه منها .. فوافق الأطفال على ذلك فشرعت قائلة:- هناك هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي.. وإلى هنا هاك الرجال الفلاح الذي يدعى محمداً وكان محمد هذا فلاحاً ممتازاً يهتم بأرضه . ويهتم بإصلاحها .. ويهتم بأشجارها .. وهو دائماً في توسع.. وحديقته دائماً تكبير وتزداد حسناً وجمالاً..

وبالاختصار فقد كان فلاحاً ناجحاً ينظر إلى الناس نظرة تقدير واحترام.. وينظر إليه بعضهم نظرة حسد وكراهية ..

فالناس دائماً تحقد وتحسد الناجح لجريرة جناها.. ولا لعدوان.!! ارتكبه وإنما لأنه موفق في حياته .. وفي مساعيه..

والمهم أن محمداً لاحظ أن كلباً اسود يقفز إلى حائطه ويحدث فيه أضراراً وتخريباً مستمراً .. فطرده أول مرة.. فعاد.. وطرده ثانية فعاد .. وطرده ثالثة فعاد .. وفكر في وسيلة يتقي بها أضرار هذا الكلب الأسود ولكنه لم يجد وسيلة.. واستمر الكلب في التخريب والعبث والفساد .. وحاول محمد أن يجدد طريقاً لاتقاء شره فلم يجد..

وأخيراً وبعد أن أعيته الحيل فكر في الحل الأخير وهو قتل هذا الكلب.. لأنه لا وسيلة إلى اتقاء شره إلا بقتله ..وصمم على هذا الأمر فأعد قوسه إعداداً طيباً وترقب الكلب في مواعيد مجيئه وعبثه.. وعندما أبصر محمد هذا الكلب.. سمى بالرحمن الرحيم وكررها عدة مرّات .. ثم أطلق السهم الأول فأصاب الكلب ولكنه لم يقتله .. فأوتر قوسه للمرة الثانية ثم قرب من الكلب وأعاد ذكر اسم الله ثلاثاً كما فعل مع السهم الأول ثم أطلقه فقضى على الكلب قضاءً تاماً..

عاد محمد بعدها إلى منزله قرير العين مرتاح البال.. فقد قضى على هذا الحيوان الخبيث الذي يأكل ويخرب ويعبث في مزرعته.. والذي لم تجد فيه أي حيلة.. ولم تمنع شره أية وسيلة... وجاء الليل ونام الرجل في منزله قرير العين.. ولكنه وهو في أثناء النوم لم يشعر بنفسه إلا وقد هبط به إلى داخل الأرض..



محمد يدافع عن نفسه أمام قاضي الجان.!!

فكان الهبوط مبدئياً في الأرض الأولى.. ثم هبط به إلى الأرض الثانية فالثالثة إلى السابعة لأنه من نوع الإسراء.. ولكنه إسراء إلى أسفل كما قال الشاعر:

فيالـه مـن عـمـل صـالح يـرفـعـه الله إلى أسـفـل

وعندما وصل الأرض السابعة كان يخفره حارسان لا يدري محمد هل هذه الحراسة خوفاً منه أو خوفاً عليه .. وجروه من حيث لا يقدر على الدفاع عن نفسه إلى ملك الجن..

فرحب به كرجل غريب ... وهدأ من روعه .. فقد كان بصر محمد زائغاً ولونه ممتقعاً .. وأنفاسه متلاحقة.. وريقه جاف ولسانه منعقد .. وقلبه دائم الخفقان ... فقال له الملك الجان لا تخف يا محمد إننا مسلمون مثلكم .. ونحن نحكم بكتاب الله وسنة رسوله .. ونتحرى العدل في أحكامنا.. ولا نرضى بالظلم ولا بالجور ولا بالتعدي على حقوق الغير .. والكلب الأسود الذي قتلت هو ولدي.

كان سئم من المقام عندي .. وطلب مني السماح له بالخروج على وجه الأرض للنزهة والتسلية فأذنت له .. ولكنني بعد أذني له بفترة من الزمن .. فوجئت بخبر قتله على يديك.. وقد جئت بك لمحاكمتك في محكمة شرعية تحكم بالشريعة المحمدية...

لقد كان في الإمكان أن أعفو عنك .. ولكن هذا الشاب الذي قتلته... له أقارب: إخوان وأخوال وأعمام .. ولو تركت دمه يذهب هدراً لأمكن أن يتقولوا علي شتى الأقاويل ... وأن

ينسبوا إلى شتى الاتهامات... وشخص في مثل مقامي تؤثر عليه هذه الأقاويل وتسيء إليه مثل هذه الإشاعات .. ولهذا فقد جئت بك لأسد أمامهم هذا الطريق .. وثق أن المحاكمة سوف تكون نزيهة.. وأن الحكم سوف يكون عادلاً...

فاطمأن محمد بعض الشيء .. وأفرغ روعه .. وجعل يتصفح وجود القوم .. فيرى أشكالاً وألواناً من المخلوقات لا حد لها ولا عد... فهذا وجهه مستطيل .. وذاك وجهه متعرج وهذا عيونه بالطول وذاك عيونه بالعرض .. أما شعورهم فهي واقفة تشكل قبة فوق جسم كل واحد منهم .. ونظر إلى منزل الملك فإذا هو بسيط للغاية .. ولكنه نظيف ومنظم تنظيماً دقيقاً والحراس في قصر ملك الجان مفرقون في الزوايا وكل زاوية فيها شخص منهم بكامل عدته وعتاده.

وقال الملك للحارسون إذهبا به إلى المحكمة... فإذا انتهت المحاكمة فأعيداه إلي .. وليكن الحكم له أو عليه معكما.! فأخذاه بيده وسارا به بينهما .. في شبه مظاهرة .. فقد وجد الشوارع مكتظة.. وسطوح المنازل ملأى .. ونوافذ المنازل تطل منها الرؤوس.. ينظرون إلى هذا الأنسى.. الذي سوف يحاكم في محكمة الجان...

شق الحارسان طريقهما إلى المحكمة بكل صعوبة ... والهتافات تصم أذني محمد التي منها ما مؤداه : اقتلوا مزقوه أحرقوه .. ومنها ما يطلب العدل ويمجد الملك .. ويثنى عليه في تحري الصواب الحق بالنسبة إلى هذا الانسي الذي لا ناصر له إلا الله ..

وصلوا إلى المحكمة بكل صعوبة ...ومثل محمد أمام القاضي وتلي قرار الاتهام واتبع بطلب انزال عقوبة الاعدام بهذا الشخص الواقف أمام القاضي .. وعندما انتهى المدعي العام من إلقاء اتهامه قال القاضي لمحمد هل لديك حجة تدافع بها عن نفسك ... وتنفي بها ما اتهمت به .. فوقف محمد على قدميه.. وقد عادت إليه ثقته بنفسه وألف تلك المناظر المفزعة.. فصارت بالنسبة إليه مناظر عادية ... لا تحرك في نفسه أي عامل من عوامل الخوف والرهبة...

وقال محمد إنني أريد أن أدافع عن نفسي وأنفي بعض التهم الباطلة .. وأعترف بالحق على نفسي وسوف أقص على فضيلة القاضي جميع ما جرى بصدق وأمانة .. وأوضح له موقفي من القتيل منذ أن ظهر على مسرح الحياة .. إلى أن أراد الله له الوفاة..

قصَّ محمد القصة على القاضي إلى أن جاء إلى نقطة هامة في المحاكمة.. هي ذكر اسم الله عند قتله ذلك الكلب .. وذكر اسم الله عند قتله ذلك الكلب... فإذا كان محمد استعاذ بالله من هذا الكلب .. وذكر اسم الله عند قتله فإنه بذلك ينجو.. أما إذا كان قد أخل بهذا الأمر فإنه يكون مداناً لا محالة.. وينفذ فيه حكم الإعدام .. رمياً بالسهام .. وكان المدعي العام قد نفي نفياً قاطعاً أن يكون محمد قد ذكر اسم الله أو استعاذ بالله.. إلا أن محمداً أكد أنه ذكر اسم الله واستعاذ بالله عدة مرات...

وهنا جاء دور الشهود .. وقال القاضي هل لديك من يشهد لك بأنك استعذت وذكرت اسم الله عند قتله فقال لم يكن لدي شهود من بني جنسي إلا أن الأرض لا تخلو من شخص يقول كلمة الحق ويصدع بها غيرة على العدل وحرصاً على تنفيذ شرع الله الذي شرعه لضمان سير العدالة بين عباده..

وأردف محمد قائلاً : إنني أود من فضيلة القاضي أن يبعث منادياً ينادي:- من كانت لديه شهادة عن مقتل فلان وكيف قتل وهل استعيذ منه قبل قتله أم لا فليتقدم بها.. فاقتنع القاضي بوجهه نظر محمد ووجه منادياً ينادي في الناس أن يحضر من كانت لديه شهادة بشأن هذا الحادث .. وجاء عدة أشخاص إلى المحكمة أدلوا بشهاداتهم التي مؤادها أن محمداً قد استعاذ بالله من القتيل عدة مرات.. وأنه قد ذكر اسم الله عند قتله..

تعددالشهود بشهادات كان مؤداها كمؤدي شهادة الشاهد الأول.. وحكم القاضي بالبراءة وصدر الحكم حالاً.. وأخذ الخفيران معهما وتوجها به مع المتهم البريء .. ودب الخبر إلى الجمهور الذي ينتظر خارج أسوار المحكمة... وعلموا بالحكم النظيف العادل الذي لم تؤثر عليه قرابة القتيل للملك... ولم تأخذهم في الحق لومة لائم..

وعندما علم أفراد الشعب بهذا الحكم هتفوا جميعاً ليحى الملك ليحى العدل !!.. هتف بهذا الهتاف كل من حول

المحكمة .. فسمعه من حولهم فهتفوا به .. وهكذا صار هذا الهتاف.. ينتقل من حلقة ضيقة إلى حلقة أوسع منها إلى أن عم المدينة كلها! .. ليحى الملك !! ليحى العدل!!..

ووصل الخفيران إلى الملك ومعهما المتهم وحكم المحكمة .. وقري الحكم على الملك فاقتنع بعدالته وأمر بأن تتخذ الترتيبات اللازمة لإعادة هذا المتهم الى ظهر الأرض كما أخذ منها ..وأن يعامل معاملة كريمة ؛ لأنه ثبت أنه لم يعتد ولم يخالف شيئاً من أوامر الشريعة الإسلامية...

ذهب الخفيران إلى وزير المواصلات وسلماً المتهم إليه.. وبلغاه بأمر الملك ... فصدع بالأمر وجاء بوحش قوي شرس.. وقال للمتهم عليك أن تركب على ظهر هذا الحيوان... وكلما اجتاز بك طبقة من طبقات الأرض فاعطه قطعة من قطع اللحم السبع التي سوف نعطيكها...

فوافق الانسي على ذلك وأخذ السبع القطع وركب على ظهر هذا الوحش.. بعد أن أكدوا عليه أن يحافظ على هذه السبع القطع فلا يعطي الوحش قطعة إلا بعد أن يجتاز به مرحلة أو طبقة من الأرض .. كما أنه يجب عليه أن يحذر من اعطاه الوحش أكثر من قطعة في المرحلة الواحدة لأنه إن فعل ذلك فقد اللحم قبل قطع المسافة ... وبهذا يتوقف الوحش عن السير.. فيفتك براكبه..!!

وسار الوحش براكبه فقطع أول مرحلة .. وأعطاه قطعة.. ثم قطع المرحلة الثانية فأعطاه القطعة الثانية والثالثة والرابعة

واستخفه الفرح والسرور بقرب النجاة.. فأعطى هذا الوحش قطعتين في مرحلة واحدة..

وصل الوحش به إلى الطبقة السادسة التي لا يبقى بعدها إلا مرحلة واحدة والتفت يريد قطعة اللحم .. ولكن اللحم كان قد نفد حيث أعطاه قطعتين في آن واحد .. فقال هذا الأنسى ان اللحم قد نفد ولم يبق معي منه قليل ولا كثير ... فالتفت إليه الوحش ونظر إليه بكل شراسة وقسوة !! وقال له : «من زندك والا مت » فذهبت هذه الكلمة مثلاً..

عندما رأى جد الوحش وتصميمه ... أراد أن يضحي بالبعض لينقذ الكل. فأخذ سكيناً كان في جيبه ... وأهوى بها على لحمة من عضده فقطعها .. وأعطاها الوحش فابتلعها .. وسار في طريقه المرسوم حتى أخرج محمداً على وجه الأرض... حيث أخذه فعاد محمد إلى أهله بعد غياب لا يدري ما مقداره.. لأنه ليله قد اختلط بنهاره..

وقص على أهله ما رأى وما سمع وصارت قصته حديث الناس .. طرفة المجالس وزاد الناس فيها ونقصوا .. وصدق بها قوم وكذب بها آخرون .. وصارت عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين ...

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت!!.

سَـــالفة :

١٩- سالم وزوجته وأخته

خيم الليل على الكون وأرخى سدوله ولم تعد الرؤية الواضحة ممكنة؛ ليواصل الأطفال لعبهم وحركتهم .. ونشاطهم.. فاجتمعوا حول جدتهم ليتحرك خيالهم بعد أن احتبس نشاطتهم.. وليحلقوا بالخيال... بعد أن هدأت حركة أجسامهم وقالوا لجدتهم قصي علينا سالفة سالم وزوجته وأخته فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي.. وإلى هنا هاك الرجال الذي تزوج زوجة جميلة كانت مثال الزوجة الصالحة.. التي تجعل البيت جنة.. حيث توفر لزوجها فيه كل وسائل الراحة والاطمئنان لينطلق منه إلى أعماله.. وهو مرتاح الفكر .. مرتاح الجسم .. نشبط الحركة... وكان لسالم هذه أخت يتيمة صغيرة ليس لها من يقوم بتربيتها إلا أخوها سالم... فكانت أخته عنده في البيت تعيش معه ومع زوجته..

كبرت الفتاة .. وبدأت تعرف شؤون الحياة...وتدري بما يدور حولها.. وسافر سالم لبعض شئونه المعاشية إلى بعض الأقطار المجاورة.. ورأت الأخت ما ساءها ... لقد رأت رجلاً غريباً لا عهد لهم به .. ولا معرفة .. يتردد على البيت في أوقات معينة وتنصرف زوجة أخيها معه تصرفات مريبة ... ودبت الغيرة في نفسها على أخيها ومحارم أخيها وبيت أخيها الذي ترى هذه الأعمال المشبوهة تعمل فيه.. وترى محارم الله تنتهك في حجراته...

تألمت الأخت من هذه الأعمال ولكنها صبرت لعلها تكون هفوة عابرة.. أو شهوة طائشة تخيم فترة ثم تنقشع.. رغبة مكبوتة تندفع ثم ترتدع.. وجاء سالم من سفره فوجد كل شيء في بيته على ما يرام .. زوجة مطيعة.. وبيت منظم مريح! .. وحياة هادئة مستقرة.. وبالاختصار فإن سالماً يجد في بيته كلما يحلم به رجل من زوجة مثالية صالحة..

رأى سالم أن كل شيء في البيت في حالة جيدة.. إلا أخته أنه يرى أن صحتها تتدهور .. وشبابها يذبل .. ونفسها تتحطم يوماً بعد يوم.. وسألها أخوها ما بك يا أختاه؟. هل تحسين بمرض فأعالجه .. أو هل تشعرين بنقص في شؤون معاشك فأكمله؟!. هل في هذا البيت ما يضايقك فأزيله؟!.

نفت الأخت كل هذه الأمور .. وهدأت من روع أخيها.. وقالت أنها وعكة بسيطة أحس بها وسوف تزول بإذن الله..



أخت سالم تنام وهي ممسكة ثوب أخيها .. ولكنه يقطع طرف ثوبه الذي تمسكه ويعود إلى المدينة .. ويتركها في مجاهل الصحراء

وهذه الحالة التي أنا فيها ليست خطيرة .. بل هي عارضة بسيطة وسوف أتغلب عليها بحول الله وقوته .. ترك الأخ أخته بعد أن أكدت له أنها مرتاحه وأنها لا تحس بشيء يستحق الانزعاج..

ولكن الأخت في واقع الأمر تحس بشيء يستحق الانزعاج.. وتفكر في هذا الأمر بينها وبين نفسها وتفكر في الصدمة العنيفة التي سوف تسببها لأخيها.. لو أخبرته بما يقع في بيته.. ولهذا فإنها رأت أن من الحكمة أن تضغط على أعصابها وأن تسكت على مضض وأن تتحمل الآلام والعذاب الذي تحس به من جراء هذه الأمور التي تعمل وراء ظهر أخيها...

وسأل سالم زوجته عن أخته .. وافضى إليها صراحة بأنه ليس راض عنه حالتها ..ولا مطئمن على صحتها .. وسألها هل ينقصها شيء ؟!. هل في البيت ما يزعجها ويديم آلامها !. قالت الزوجة أنه لا شيء من ذلك مطلقاً.. ولكنني مطلعة على بعض الأمور في سلوكها... إلا أني أرجو أن أوفق لاقناعها بالعدول عنها ... فقال الزوج لهفة وخوف ما هي هذه الأمور؟!. فقالت الزوجة:-

إنني حتى الآن لم ألاحظ عليها شيئاً يدنس شرفها ... أو يشين عائلتها ... إنما هو شاب يقف تجاه البيت في أوقات معلومة... فيحادث أختك تحادثه ... ثم يذهب الفتى في سبيله وهي تعود إلى ما كانت عليه ..ولكن ثق أنني سوف

أتغلب على هذا الانحراف.. وسوف أعيدها إلى جادة الصواب.. وسأقنعها بأن مثل هذا الحب العابر قد يجني على مستقبلها ... ويحطم حياتها.. فاستاء الأخ من هذه الأنباء.. ولكنه ضبط أعصابه .. وأكد لزوجته أنه واثق بحكمتها..وحسن تدبيرها.. وأنه يترك علاج هذا الأمر لها!!.

وسكت سالم على مضض .. ودب الشك في نفسه من ناحية أخته.. ولكن ماذا يصنع؟! . أنه يرى صحتها متدهورة فهل يزيدها سواءً على سوء .. ويرى نفسها محطمة .. فهل يساعد الأحداث عليها فيحطم ما تبقى من نفسيتها..

لا .. إنه لن يصنع شيئاً من ذلك .. وسوف يترك الأمر لزوجته الحكيمة التي سوف تعالج الأمر بنفس مجردة لا تعميها العواطف.. ولا تندفع وراء الانفعالات الجامحة .. التي قد تصدر من الأخ إلى أخته لو بحث معها مثل هذه الأمور...

كتم الأخ هذا الجرح في نفسه ..وأمات هذا السر في طواياً ضميره .. وما أشد مثل هذه الحالة .. أنه يريد أن يميت هذا الأمر.. ويخفه حتى عن نفسه .. ولكنه ينمو ويزداد على مر الأيام...

رحل سالم في إحدى رحلاته .. واتصلت الزوجة بحبيبها.. وصار يتردد عليها في أوقات معروفة.. اكتشفتها الأخت.. وعلمت.. الزوجة بأن الأخت اكتشفتها .. وأنها إذا لم تدهور هذه الأخت .. فإنها سوف تدهورها.. وانها إذا لم تسبق إلى المعركة للخلاص منها وإماتة هذه الأسرار في نفسها..

فإنها سوف تكشفها لأخيها !! . فتكون ما لا تحمد عقبا!!.

صممت الزوجة على التخلص من هذه الأخت .. بأسرع وسيلة ممكنة .. وفكرت وبحثت عن طريقة الخلاص.. وسنحت لها الطريقة .. وضحت لها معالمها وذلك بأن تأتي ببيض الحمر وهو طائر صحراوي في حجم العصفور.. ثم تلزم الأخت بابتلاعه بحجة أنه طيب لصحتها.. التي تتدهور من سيء إلى أسوأ !!.

وأوصت الزوجة حبيبها أن يجمع لها من أطراف الصحراء مجموعة من هذا البيض .. وفعلاً جاء هذا الحبيب بماطلبت.. وأجبرت الأخت على أن تبتلع هذا البيض كما هو بدون طبخ ولا شوي ولا مضغ .. وغلبت الأخت على أمرها فبلعت البيض واحدة أثر واحدة..

تجمع هذا البيض في بطنها فانتفخ حتى لا يشك من يراها أنها حبلى ... وجاء الأخ من رحلته وقابلته زوجته بوجه مشرق .. وأعدت له في المنزل كلما تطلبه نفسه.. من هدوء وراحة .. وسأل عن أخته فقالت الزوجة أنها مريضة قليلاً.. وهناك وراء مرضها سر.! فسأل الزوج عن هذا السر في لهفة.!! فقالت الزوجة:

إنني لا أقوى على البوح به لأنه يتعلق بشرف العائلة .. وقد حاولت مراراً وتكراراً لا يحصل هذا ولكنني غلبت على أمري.. وأخفقت جميع الوسائل التي حاولت بها تفادي هذا الأمر .. فارتبك الأخ وثارت أعصابه وغلى دمه .. وقال

أوضحي لي الأمر.. فليس بيني وبينك أسرار والشيء الذي يعيب أختي يعيبنا جميعاً !!

فقالت الزوجة لقد خرجت أختك وتكرر خروجها من البيت بدعوة زيارة إحدى صديقاتها.. وحاولت منعها .. ولكنها تمردت على وعصت أمري وصارت تخرج من البيت في أوقات معلومة.. وهي الآن حبلى وأنا لا أشك أن هذا الحمل نتيجة لعلاقتها بالشاب الذي كنت أخبرتك عنه.. وقد حاولت مراراً وتكراراً أن أبعد هذا الشاب عنها أو أبعدها عنه.. ولكنني لم أستطع..

والآن تتظاهر أختك بالمرض.. وما هو بمرض وإنما هو الحمل الذي يملأ بطنها .. ويشل حركتها.. ويجعلها تبتعد عن كل أحد خوفاً من اكتشاف هذا الأمر...

فتغلغل كلام الزوجة في نفس الزوج .. ولم يشك في حرف واحد مما قالته زوجته..

صمم الأخ على الخلاص من أخته .. ولكنه يرد هذا الخلاص مستوراً .. وفي غاية من السرية لأن انكشافه يؤثر على سمعة العائلة وشرفها ومركزها الاجتماعي .. ولهذا فقد فكر طويلاً في طرق الخلاص كلها.. هل يقتلها ويدفنها في حفرة في بيته؟! . أم يسافر بها فيلقيها في إحدى المدن النائية ..؟ أم يعمد بها إلى صحراء قاحلة فيرميها فيها .. ويتركها للوحوش والجوع والظمأ يقضي على حياتها..

فكر في هذه الطرق الثلاث .. وفي طرق أخرى غيرها!..

فرأى أن أنسب طريقة هي أن يخرج بها إلى مجاهل الصحراء فيتركها فيها.. حتى تموت جوعاً وظمأ .. وتأكلها الوحوش .. فلا يعثر لها على عين ولا أثر..

وهكذا صمم على سلوك هذا الطريق .. وأخبر زوجته بما دبر فشجعته عليه قالت ان هذه خير وسيلة لغسل العار.. واخفاء حادث القتل.. وفي ليلة باردة مظلمة قال الأخ لأخته. يا أختاه : إنني أريد أن أسافر وإياك إلى طبيب في مدينة قريبة.. لعلاج ما تحسين به من المرض فاستعدي!! . ولكن ذلك سريعاً فإننا سوف نمشي في الساعة الرابعة ليلاً أي بعد ثلاثة ساعات من الآن..

فلبت الأخت هذه الدعوة وأعدت نفسها .. وجمعت لكما تحتاجه من أغراضها الخفيفة.. وأودعته صندوقاً صغيراً كان معها.. ولما جاء موعد السفر كانت البنت جاهزة.. فأخذ الأخ أغراضها وحملها على الراحلة .. ثم أخذ يد أخته وأركبها عليها.. ومشى بها في ظلام الليل حتى أن احداً من أهل البلدة لا يعلم بهذا السفر.. ولا يدري شيئاً عنه...

وكان الأخ طيلة الطريق ساهماً حزيناً على فراق أخته .. ولكن شرفه المنتهك أعز عليه من أي اعتبار آخر !!. وسكتت الأخت منتظرة من أخيها أن يكلمها! .. أن يؤنس وحشتها!.. أن يزيل بعض ما في نفسها من آلام مكبوتة !. سببتها زوجته العزيزة عليه.. المنتهكة لحرماته!!. ورجت الأخت أن يجر الحديث إلى ذكر طرف مما تعمل هذه الزوجة!.. ليعالج أخوها

الأمر بالحكمة المعهودة فيه.. وسداد الرأى المعروف عنه..

لكن أخاها لم يفه بكلمة طيلة ساعات الطريق .. ولم تجد الأخت مجالاً للحديث .. ولا منفذاً لعرض مشكلة الزوجة أمام زوجها.. وهي قادرة على أن تفاجيء أخاها بما تعلم عن زوجته .. ولكن الأمر إذا كان هكذا .. فسوف يكون مشكوكاً فيه... بخلاف إذا جاء في وقته المناسب وأن يكون الحديث جر إليه.. والسامع مستعد لسماعة..

لهذا فإن الأخت لم تجد مجالاً لأي حديث .. لأن أخاها كان ساهماً حزيناً تتجاذبه الأفكار السوداء والهواجس العمياء !! . وجاء آخر الليل وهم يمشون .. وتعمقوا في مجال الصحراء وهم صامتون. وبدأ النعاس يدب إلى الأجفان من آثار التعب والسهر.. وأناخ الأخ راحلته بقرب شجرة عوشز... وأنزل أخته من فوق الراحلة وفرش فراشين متجاورين أحدهما له والثاني لأخته..

نام الإخوان.. إلا أن الأخت من كثرة خوفها وتعلقها بأخيها قالت اعطني طرف ثوبك لأقبضه بيدي .. وأنام وهو في يدي فإنني أخشى أن يأتي وحش فيجرني دون أن تشعر بي.. فأعطاها طرف ثوبه .. فقبضت عليه بأصابعها الخمس.. نامت وطرف الثوب في يدها..

كان الأخ يراقب أخته مراقبة دقيقة .. فلما استغرقت في النوم.. أخرج سكيناً فقطع بها طرف الثوب الذي في يدها.. فانفصلت القطعة التي في يدها عن الثوب الذي يلبسه..

بهذا لم يبق رابطة تربط هذا الأخ بأخته .. فطوى فراشه

بهدوء.. وحمله على راحلته بسكينة ..وعاد أدراجه إلى زوجته تاركاً أخته في هذا الجزء الموحش من الصحراء الذي إن لم تقتلها فيه الوحوش فسوف يقتلها الجوع والظمأ .. ووصل الزوج إلى زوجته.. وأخبرها بما جرى.. فأظهرت الحزن وأبطنت السرور. لأن أسرار خيانتها لزوجها قد ماتت وإلى الأبد ؛ بموت هذه الأخت التي كانت تعد عليها أنفاسها وتحصى عليها كل صغيرة وكبيرة .. لقد استراحت منها وأمنت من شرورها .. وأصبح لها الجو صافيا.. لا يكدره أي مكدر...

حفرت الأسرة حفرة في فناء المنزل ودفنت فيها جذعاً من جذوع النخل .. ادعوا أنه أختهم العزيزة .. التي وافتها المنية من آثار المرض الذي كانت تعانيه..ونسوا هذه الأخت تماماً واعتبروها في دنيا الأموات..

أما الأخت التي نسينا أن نسميها باسمها وهو سلمى.. فإنها استيقظت في الصباح على حرارة الشمس!! . فلم تجد أخاها بجانبها.. ونظرت يميناً وشمالاً لعلها تراه يرعى راحلته فلم تر شيئاً.. ونظرت إلى الجزء الذي كان يربطها به فرأته مقطوعاً بسكين.. فعلمت أن مكيدة دبرت لها من قبل زوجة أخيها. وأن تلك المكيدة قد نفذت بحذافيرها. ونجحت بكل جزء من جزئياتها..

ونظرت سلمى فيما حولها فلم تر إلا رمالاً وصحاري قاحلة لا ماء فيها ولا أنيس.. وكان الوقت شتاءً والجو بارداً فبحثت لها عن كن .. فوجدت غاراً في جبل مجاور لها فجمعت حوائجها فيه ونظفته ونظمته.. واستعدت للبقاء في هذا الغار ؛

حتى يوافيها أجلها المحتوم.. وصارت تتجول فيما حولها من الصحراء فتأكل من أعشابها وتقتات من أوراق شجرها .. واستمرت على هذا وقتاً طويلاً..

ثم أحست بآلام الوضع! .. ان بطنها مليء ببيض الحمر وهي تحس أنه تكامل نموه ولم يبق إلا أن يخرج من بطنها .. وفي صباح أحد الأيام جاءها المخاض .. فولدت حمرة .. أي طائراً من نوع الطير الذي أكلت بيضه...

احتضنتها سلمى وعطفت عليها .. واهتمت بها حتى شبت وترعرت .. فكانت حوقلا .. ثم مقصاباً .. ثم مطياراً.. ثم بلغت حد الكمال فصارت طائراً كجملة الطير .. وصارت هذه الحمرة تطير إلى ما حولها وتنقل إلى أمها أنواع الأطعمة .. وتأتي إليها بالماء..

واستقرت سلمى وأنست بهذه الحمرة اللطيفة التي أذهبت وحشتها.. وآنست وحدتها ووفرت لها كل ضروريات العيش الذي يبقى على حياتها .. واستمرت على هذه فترة من الزمن وقالت هذه الحمرة لأمها ما هي قصتك يا أماه أخبرته بقصتها من أولها إلى آخرها .. كما أخبرتها بأخبار زوجة أخيها .. وأن هذه الأمور كلها بأسبابها.. !!.

فقالت الحمرة لأمها .. إني سوف أسعى لرد الكيد إلى نحر عامله والسهم إلى قلب صانعه .. فدعت لها أمها بالتوفيق .. ورجت أن تكلل أعمالها بالنجاح .. حتى تنكشف الحقائق.. ويعلم الأخ أن أخته بريئة .. براءة الذئب من دم ابن

يعقوب.. وحتى يتخلص من زوجته التي تعبث بشرفه وتسرف في ماله .. وتحطم أسرته ..

وطارت الحمرة متوجهة إلى المدينة .. وأهوت على بيت سالم فوقعت على بعض حيطانه .. وأشرفت فرأت سالماً يجلس في ركن من أركان المنزل يقرأ كتاباً فأطلت عليه.. وألقت عليه هذه الكلمات المسجوعة : أو الشعر المنثور:-

«يا الحمرة .. يا الدمرة يا بايع أخته بالمرة .. ترى البنية ما زنت .. إلا ببيض الحمرة» .

فأنصت الأخ إليها .. وسمع كلاماً متقطعاً عرف بعضه.. وأنكر بعضه الآخر .. وعجب كل العجب من طائر صغير يتكلم بمثل هذه الكلام .. وعندما أنهت هذه الحمرة نشيدها أو شعرها المنثور..

حلقت في السماء . وعادت إلى أمها في غارها المنزوي في مجال الصحراء تؤنس وحشتها .. وتقوم بخدمتها .. وفي اليوم التالي وفي نفس الموعد عادت الحمرة إلى شرفة البيت التي كانت عليها بالأمس.. فألقت نشيدها المعهود فالتفت إليها سالم أكثر من ذي قبل.. وجعل يستعيد كلامها فيذهنه.. ويحلله ليخرج منه بنتيجة ..

إن ما تقوم به هذه الحمرة .. وما تقوله هذه الحمرة .. ليس عبثاً .. وليس صدفه بل هو أمر مقصود ولا شك .. وله معان .. ووراءه حقائق وأسرار .. فلينتظر إلى الغد فإن جاءت كعادتها فإنها بذلك تقطع الشك باليقين ويتحقق من أن وراءها سراً لا بد من اكتشافه..

صبر إلى الغد وهو يتعجل الساعات ويستبطي سير الزمن.. فلما جاء موعد مجيئها وإذا بها على الشرفة .. وهو في مكانه قد استعد للسماع واستعد لفهم .. واستعد لمتابعة هذه الحمرة حتى يعرف ما رواءها..

ألقت الحمرة نشيدها وفهمه كل الفهم وعرف مغزاه معرفة لا يشوبها شك .. وقام من فوره وتبع الحمرة وهي تطير أمامه قليلاً ثم تقع لانتظار وصوله.. وهكذا جعلت الحمرة تطير وتقع.. فإذا لحق بها طارت وإذا ابتعدت عنه قليلاً وقعت .. حتى وصلا إلى سلمى...

كانت سلمى جالسة في الغار وحدها.. ترفو بعض ملابسها.. ورأت أخاها ورآها أخوها فأقبل الإخوان بعضهما إلى بعض بشوق وحنين . وندم من الأخ لا يماثله ندم .. وقبل رأس أخته وقبلت أخته رأسه وجلس الإخوان وجهاً لوجه..

وقال سالم لأخته قصي على جميع ما جرى لك مع زوجتي فلقد تسرعت .وخدعتني فانخدعت .. فقصت عليه الأخت قصتها .. وقصت عليه قصة زوجته مع صحيبها . أي محبوبها الذي يختلف إليها عند غياب زوجها .. وانكشاف هذا السر للأخت .. وخوف الزوجة من أن يعرف زوجها هذه الأعمال فيكون في ذلك خراب بيتها .. وتقويض سعادتها..

بكى الأخ بكاء مريراً .. وكرر اعتذاره وأسفه لأخته.. وقال لها هيا اجمعي ملابسك .. وهيا بنا إلى الزوجة الخائنة الماكرة لأذيقها ثمرة مكرها وخيانتها.. ووصل الأخ وأخته إلى

البيت ودخلا .. فكان دخولهما مفاجأة غير سارة للزوجة.. وأيقنت بانكشاف أمرها.. كما أيقنت بالهلاك لا محاله .. وهكذا حصل.. فقد أخذ الزوج زوجته الخائنة..

انتحى بها جانباً.. وظنت أنه سوف يعاتبها ثم يضربها ويطلقها.. هذا هو أسوء شيء ظنته الزوجة .. ولكن الزوج كان مصمماً على الخلاص منها بالقتل السريع .. وعندما خلى بها أخذ لباس رأسها الذي يسمونه الشيلة .. وخنقها به حتى أسلمت الروح لبارئها.. وانتقلت من عالم الأحياء إلى عالم الأموات..

ثم حفر الحفرة التي دفن فيها الجذع بحجة أنه قبر الأخت فدفنها فيها.. ثم جمع أثاث بيته وسافر مع أخته من تلك المدينة إلى مدينة أخرى لا يرى فيها من المعالم ما يذكره بهذه المأساة المحزنة .. التي انتهك فيها شرفه.. وقطع فيها رحمه .. حطم بها بيته الذي كان يغبط نفسه به .. ويرى أنه أسعد زوج !!. وأن بيته أنظف بيت!.. وأن زوجته أنقى زوجة .. وأوفى زوجة..!!

إلا أنه رأى فجأة أن هذه القيم تتحطم .. وإذا بعكسها هو الذي يحل محلها !! . فرأى أن البعد هو العلاج الوحيد لتناسي هذه المأساة المؤلمة..

ووصل سالم مع أخته إلى المدينة التي قصدها .. وعاش مع أخته .. وحرم على نفسه الزوجات .. وعاشت أخته بجانبه .. لأنها لا يمكن أن تتركه وحيداً !!.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.

سَـــالفة :

٢٠ - جحة ولد علي مع والده وزوجة والده

«هذه السالفة رويت أصلها عن الأخ الأستاذ صالح الجهيمان وصغتها بأسلوبي الخاص كما تراها هنا».

اقترح أحد الأطفال في هذه الليلة أن تكون السالفة في هذه الليلة من سوالف حجه ولد علي ..واقترح ثان أن تكون سالفة جحة - مع والده وزوجة والده الشابة .. التي هي غير والدته.. فقالت الجدة حبا وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي إلى جحه ولد علي كان في صغره عند والدته المطلقة من قبل والده .. وترعرع حجه عند والدته .. ثم أدركتها المنية.. فذهبت إلى بارئها ..وكان جحه قد أصبح شاباً قوياً نشيطاً .. فطلبه والده ليكون عنده في بيته .. فليس من المعقول أن يبقى وحيداً .. وقد كان والده تركه عند والدته في حياتها .. أما بعد موتها فليس له إلا أن يبقى في كفالة والده.!!

لبى جحه هذه الدعوة .. صار فرداً من العائلة .. إلا أنه رأى أنه كالغريب بينهم .. فليس هناك روابط وثيقة تربطه بزوجة والده .. وليس هناك أيضاً روابط وثيقه ترطبه بوالده ؛ لأن جحه قضى مطلع شبابه في حضانة والدته .!! عليها رحمة الله ورضوانه .. فهو كالغريب إذاً بين أفراد هذه الأسرة .. ولكنه لا مفر له عن هذا الأمر .. وصار جحه يساعد والده الفلاح ويعمل معه في أعمال الفلاحة وكبر والد حجة .. بينما كانت زوجته لا تزال شابة في ريعان الشباب ..ولاحظ جحه أموراً كثيرة تجري في بيت والده .. تتعلق بشرف العائلة وسمعتها .. فقد اكتشف أن زوجة والده لها صحيب (أي حبيب) .. يأتي إليها في سويعات الغفلة..

لاحظ جحه هذا الأمر .. وتألم منه وأراد أن يخبر والده .. ولكن والده رجل كبير في السن وضعيف البصر .. وضعيف الإرادة.. وقد لا يصدق ولده .. أو قد تغلب حجة الزوجة حجة الولد .. فهي تستطيع أن تؤثر على الوالد أكثر مما يستطيع الولد أن يؤثر عليه .!! ولهذا فقد صبر جحه .. وأراد أن ينتهز إحدى الفرص فيجعل والده يرى بعيني رأسه .. ما تعمله زوجته في الخفاء ..

جاء الوالد ذات يوم ..وصديق الزوجة عندها .. فطوت عليه الحصير .. ووضعته في إحدى زوايا البيت .. وكان جحه يرقبهما بكل دقه .. فلما جاء والد جحه ليجلس .. انطلق جحه بكل سرعته .. وجر الحصير الذي بداخله الحبيب ليفرشه



جحه يوقع زوجة والده في المكيدة التي دبرتها له فيرمي الزوجة بمعاونة والده في البئر قبل أن ترميه فيه!!

لوالده وليخرج هذا الشخص الغريب فيراه الزوج بعيني رأسه ولكن هذا الحبيب يقفز بسرعة فاقة .. ويختفي بسرعة البرق .. بحيث أن الوالد الضعيف البصر لم يتمكن من رؤيته .. ولاحظت ذلك زوجة الوالد .. وحقدت على جحه.

جعلت الزوجة تعيب جحه بأمور كثيرة عند والده فهو كسول.. وهو أكول .. وهو كثير البحث والتنقيب في البيت .. فإذا وجد شيئاً أخذه وباعه واشترى بثمنه بعض الأشياء التي يحبها الشباب.. وملأت صدر الوالد بأمثال هذه الوشايات التي لا أول لها ولا آخر.!! ولكن والد جحه يعتذر إليها ويعدها بأنه سوف ينصحه .. فلا يعود ..

إلا أن الزوجة تكرر الشكوى .. تلوا الشكوى من جحه، بغية أغضاب والده عليه .. ليطرده من هذا المنزل حتى يخلو لها الجو فلا يكون أمامها مكدر ولا منكر .. إلا أن والد جحه يقول لها :- لقد عجزت عن ولدي ولا حيلة لي فيه.. ولا أستطيع أن أطرده من هذا البيت لأنني أخشى من أقاويل الناس وتخرصاتهم الكثيرة.! إلى لن يكون فيها إلا ما يسيء إلى سمعتنا ويحط من مكانتنا في المجتمع..

علم جحه من طرف خفي بما تقوله زوجة والده فيه.. وما ترميه به من العيوب الكثيرة .. فصبر .. وجعل يتابع حركاتها وحركات عشيقها..

دخل ذات يوم هو ووالده وكان الحبيب داخل البيت.. فوضعته في قفة وهي وعاءمن الخوص يتسع أسفله ويضيق أعلاه

يجعل عليه غطاء من نفس الخوص.. وعلقت هذا الحبيب في وتد فوق التنور .. ولاحظ جحه مكان الحبيب .. وعندما قدمت زوجة الوالد طعام العشاء .. مد جحه يده إليه وأكل منه لقمة ثم .. رفع يده وقال لوالده..

إن الأكل بارد ويحتاج إلى أن يحمى في النار.. وقفز إلى التنور فأوقد فيه شعلة كبيرة ارتفع لهبها إلى القفة التي يختفي الحبيب بداخلها .. فاحترق أسفلها وأكلته النار وتدلت خصيتا الحبيب في الهواء.. حتى كادت أن تظهر للعيان فقفزت الزوجة من مكانها .. وذهبت مسرعة إلى التنور وبجواره جحه .. فأخذته بيده وأزاحته بعيداً.!! وقالت:-

ابتعد عن التنور فهذا عملي .. وأنا أبصر به منك فتنحى جحه مكرها..وجعلت الزوجة تحرك الطعام بداخل التنور بعود معها يسمى المعصاد وتردد هذه الأغنية :- «نحوق عشانا حوق حوق .. ارفع خصيانك ياللي فوق» .. ورددت هذه الأغنية عدة مرات .. حتى سمعها الحبيب ووعاها ورفع خصيتيه إلى أعلا حتى اختفت..

ومرت هذه الحادثة بسلام .. فلم يستطع جحه أن يكشف فيها هذا السر لوالده ..

وكانت الزوجة تأكل وجباتها من الطعام وحدها .. لاعتبارات اجتماعية كثيرة تسود الناس في ذلاك الزمان .. منها أن الجشع وكثرة الأكل من المرأة عيب .. ومنها أن الآكل تتغير ملامح وجهه .. وقد يبدوا في حالة الأكل مضحكاً .. ومنها

أن المرأة تقوم بإحضار جميع ما يلزم الآكلين من ماء للشرب وماء لغسل الأيدي وصابون لتنظيفها .. وهكذا يستلزم الأمر أن تقوم وتقعد أثناء الأكل .. عدة مرات الأمر الذي يجعلها مهضومة الحق في الطعام بقلة ما تتناوله..

ثم من ناحية أخرى فإنها لا تتلذذ بمواصلة الأكل وتلاحم اللقم .. وتتابعها .. ولهذا الاعتبارات كلها وغيرها.. فإن زوجة والد جحه تأكل وحدها.. وتضع طعام جحه ووالده وحدهما.. وكانت الزوجة تترك في أسفل القدر أطايب الأكل لها ولحبيبها.. وتضع لجحه ووالده أقل الطعام نفعاً .. وأبعده عن الأشتهاء .. فكان جحه يقوم من فوق قصعة والده ويذهب إلى القدر ليأكل منها .. فيقول والده أين تذهب.؟! ولماذ لا تأكل فيقول إني سوف آكل من البقايا التي في القدر .. فيقول له والده .. إنه لا يبقى في القدر إلا الحكاك أي الرواسب التي ترسب في أسفل القدر .. وقد تحترق إذا كانت النار تحت القدر قوية .. فيقابل جحه قول والده بهذه الحكمة الرائعة : - «إن كان ما تدري فوليدك يدري.. إن طعم الزاد في حكاك القدر»..

فيتركه والده .. ويضحك من هذه الحكمة التي لا يعرف مغزاها .. ويجد جحه في أسفل القدر كلما لذ وطاب.. من أطايب الطعام .. وشرائح اللحم.. وصدور الدجاج ..فيأكل كلما تصل إليه يده..وتضيق زوجة الوالد بهذه التصرفات .. لأنها تحرمها وتحرم حبيبها الذي سوف يهجرها .. إذا لم تطعمه طيباً..

وهكذا حصل .. فإن الحبيب قال لحبيبته إنني سوف لا آتيك في بيتك بعد الآن .. فلقد نجوت من الفضيحة مرتان .. وأخشى أن لا أنجو في الثالثة .. فوافقت الزوجة على أن لا يأتي إليها في بيتها .. ولكنها طلبت منه أن يعطيها عنوانه يومياً .. أين يعمل .. وفي أي بستان يستقر لتأتي إليه بالأكل الذي تخصه به من كل طعم تصنعه فقال لها الحبيب:-

إنني سوف أضع على الحمار الذي أركبه وقراً ..- أي وعاءاً يجعل على ظهر الحمار من الجانبين ويكون متصل الوسط.. فتوضع فيه الأشياء المراد حملها على الحمار - وأضع في الوقر رماداً ثم أخرق الوقر وأمشي بالرماد.. فيتساقط الرماد قليلاً قليلاً .. حتى يتكون من هذا الساقط من الرماد خط سوف تهتدين به إلىالنخل الذي أعمل فيه..

وكان جحه يسمع هذا الكلام فأعد للأمر عدته .. وأحضر رماداً .. وفي الوقت المحدد جاء الحبيب ومشى بالحمار من عند باب والد جحه .. وصار الرماد يتساقط مكوناً خطاً أسود فتبعه جحه وصار يمحو خط الحمار ويصنع خطاً آخر .. يؤدي إلى النخل الذي يعمل فيه جحه .. لا الذي يعمل فيه الحبيب..

جاء موعد الزوجة لإيصال الحبيب نصيبه من الطعام فأخذت المرأة قدرها بحجة أنها سوف تأتي بماء عذب إلى البيت.. ووضعت إناء الطعام في وسط القدر.. ومشت على الخط الأسود حتى قادها إلى الحديقة التي أرادها جحه لا التي

فيها الحبيب .. ووضعت الطعام عند نهاية الخط حسب الاتفاق بين الحبيبين .. ثم ذهبت في طريقها..

استمر جحه على هذه الطريقة .. واستمرت الزوجة عليها.. وجحه ينعم بأطايب الأكل.. الذي تعمله له زوجة والده من حيث لا تدري .. واشتاقت الزوجة لحبيبها .. وبحثت عنه حتى وجدته.. فقالت: - أين أنت.؟! ولماذا كل هذه القطيعة

فقال الحبيب إنني غاضب عليك .. كيف تعديني وتخلفين الميعاد ..قالت الحبيبة وكيف.؟ ! قال الطعام ؟! قالت إنني آتي به في كل يوم منذ أن اتفقنا على تلك الطريقة التي وضعتها. فقال الحبيب إنه لم يتأتي شيء من الطعام منذ أن اتفقنا .. فقال الإثنان بصوت واحد إذا فقد خدعنا جحه .. وصار الطعام يذهب إليه.!!

صممت الزوجة على الانتقام من جحه .. لقد فرق بينها وبين حبيبها .. فلا يزورها في بيتها .. وأغضب عليها حبيبها فهجرها ..وضايقها في كل أمر من أمور بيتها .. وكشف كثيراً من الأمور المستورة التي لا تحب الزوجة أن يطلع عليها أحد.. وإذاً فلا سبيل إلى الراحة إلا بالخلاص من جحه..

رتبت الخطة .. بأن تعمل عند الوالد سيلاً من الدعاية ضد جحه .. وأن تكون هذه الدعاءة مستمرة ومنظمه تنظيماً دقيقاً.!! بحيث لا ينتهي الوالد من التفكير في مشكلة حتى تشكو إليه من مشكلة أخرى . وهكذا جرى واستمر في

الشكاوى المترابطة الحلقات .. حتى امتلأ صدر الوالد غيظاً على ولده .. ورأى أن بيته سيبقى جحيماً لا يطاق ما دام جحه فيه.!! وقال الزوج لزوجته لقد كدر جحه على معيشتي وأقض في مضجعي .!! وإني أريد الخلاص منه وأفكر في الطريقة الناجحة في ذلك فلا أجد... فقالت الزوجة ان الطريق للخلاص منه لدى قال الزوج وما هي .؟!

فقالت الزوجة أنها بسيطة .. ومأمونة العاقبة.. ولا تكلفنا إلا جهداً بسيطاً .. فقال الزوج اشرحي لي الطريقة ورتبي الخطوات التي يجب أن نتبعها.. وحددي الوقت والزمان والمكان.. فقد سئمت من جحه ومشاكله الكثيرة التي يثيرها داخل المنزل وخارجه.. هذا مع قلة الفوائد التي نجنيها من ورائه..

فقالت الزوجة إن الطريقة .. هي أنه إذا نام على فراشه في هذه الليلة .. وصار الليل ليلين أي انتصف الليل واشتد سواده أن أوقظك فأحمل أنا وإياك جحه في فراشه ثم نلقيه في البئر المهجورة التي بجوارنا .!! فلو سلم من الرضوض وانكسار العنق. لم يسلم من الحشرات والدواب التي في قعر هذه البئر.!! ولو سلم من هذه ومن تلك فإن الأمر سوف يكون سهلاً .. بأن ندبر له مكيدة أخرى لا يقوم بعدها أبداً.. ولو اطلع الناس على سقوطه في البئر.. فإن هناك مبرراً بأن نقول.. إنه ذهب ليأخذ فراخ العصافير من جانب من جوانب البئر فتفلتت يداه وسقط .!!

واتفق الزوج والزوجة على هذه الطريقة ..وأن تكون ساعة الصفر هي منتصف الليل.. وأن التوقيت ومراقبة تنفيذ الخطة كله موكول للزوجة .. وكان جحه يسمع كلما يقال .. فأعد للأمر عدته فلما نام والده في تلك الليلة التي سوف تنفذ فيها المؤامرة ضده.. ونامت زوجة والده أيضاً..

أخذ حصيرها الذي تنام فوقه فجره بهدوء ورفق حتى جعله في منامه هو وجر حصيره فوضعه في منامها .. وغطاها بغطائه المعتاد وذهب إلى والده قبل الميعاد .. فأيقضه بصوت ناعم لطيف يقلد به صوت الزوجة .. وكان يلبس لباس امرأة أيضاً .. فقام الأب وهو بين اليقظة والمنام .. وقاده جحه إلى أن وقف به أمام الفراش الذي تنام فوقه الزوجة .. فقال جحه احمل الفراش مما يلى الرجلين .. وأنا أحمله مما يلي الرأس .. وهكذا حملوا الفراش بمن فيه وألقوه في البئر .. وبعد أن سمعوا الصوت الذي أحدثه السقوط تنفس والد جحه الصعداء.!! وقال الحمد لله . !! إن راحة من جحه راحة .. فقال جحه .. بل أن راحة من أم العييل راحة .. فالتفت الوالد إلى ولده غاضباً منزعجاً وقال: - عملتها يا جحه؟!

فقال جحه لوالده .. وماذا تريدين أن أصنع؟! هل أبقى حتى تقضون على حياتي .. إن الذي يفوز في مثل هذه المعارك هو من يبدأ أولاً .. حيث يفاجيء خصمه بضربة تضعف قواه.. وتثير فيه الخوف والرهبة .. وتحطم معنوياته .. وتجعله مرتبكاً في أي تصرف من تصرفاته.!!

وقال الولد لوالده أيضاً إنني أرجو أن تعطيني فرصة كافية لأشرح لك تصرفات زوجتك .. وأنا لا أشك أنك إذا علمت بالحقيقة كاملة .. فسوف تسر بما جرى.. فقال الوالد اشرح لي ما تعلمه عن زوجتي فقال جحه لقد خلصك الله يا والدي من فتاة لعوب تعبث بشرفك .. وتعبث بثروتك.. وتعبث بأفكارك. فتصور لك الطيب خبيثاً والخبيث طيباً .. فامهلني يا والدي العزيز إلى الغد حتى تهدأ أعصابك .. ويرتاح بالك بعد هذه الصدمة.. التي ما كنت أريدها .. لولا أنها أريدت لي..

اتفق الوالد وولده أن يؤجل بحث هذه الشئون إلى الغد... وجاء الغد واستيقظ الوالد على يوم جديد وجاء إليه جحه.. ويجعل يشرح لوالده الوضع.. ويورد الدلائل المقنعة على ما يقول.. اقتنع الوالد بكل ما قال ولده وحمدوا الله جميعاً على أن خلصهم من هذه الأفعي التي كانت تبث سمومها فيما بينهما.. وتدنس شرفهما بتصرفاتها المشينة...

وكملت وحملت وفي اصيبع الصغير دملت.!!



سَـــالفة:

٢١- مطوّع البدو الجاهل

قال أحد الأطفال للجدة العزيزة .. قصي علينا سالفة مطوع البدو المزيف فقالت الجدة حبا وكرامة..

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. وإلى هنا هاك الرجال الحضري المسافر في البادية.. ومر في أثناء سفره بحي من أحياء العرب.. فأضافوه وأكرموه وقالوا له أبق عندنا لتكون لنا إماماً.. ولأولادنا معلماً ومبصراً بأمور دينهم.. وكان البدو ينظرون إلى أي شخص من سكان المدن أوالحضر على أنه عالم وقاريء وعارف بجميع الأمور .. وأن الشيء الذي يمتازون به عليه هو الحرية والشجاعة والنخوة..

لهاذ فقد أغروا هذا الحضري أن يبقى عندهم.. وعرضوا عليه مكافآت سخية فأغرته بالمقدم عندهم فأقام... وصار يصلي بكبارهم .. ويعلم صغارهم .. ويعقد لهم الأنكحة .. ويفتي في أي أمر من أمرو الدين بجرأة فائقة. وبديه حاضرة .. وكان

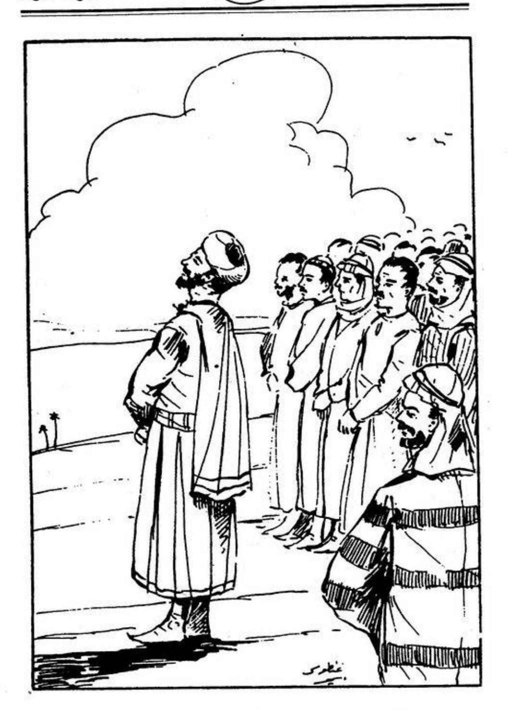
لذلاقة لسانه .. وسرعة بديهته تأثير كبير عليهم .. فصاروا يصدقون كل ما يقوله .. ويعجبون برأيه وعقله.. ومنطقة ..

إنقادوا له انقياد أعمى .. وسحرهم بأفكاره .. فصدقوه في كل ما يفتهيم فيه..

استمر على هذه الحالة فترة طويلة من الزمن .. معززاً مكرماً سعيداً بوجوده بينهم .. وهم سعداء بوجوده بينهم .. وفي ذات يوم جاء إلى هذا الحي رجل من الحضر في طريقه إلى مدينة أخرى.. وكانت دابته قد تعبت .. فأراد أن يبقى عند هذا الحي ليريح راحلته .. ويرتاح هو أيضاً .. وليبيع ويشتري معهم..

جاء وقت الصلاة وكان هذا القادم الجديد قارئاً وعارفاً بكثير من أمور دينه .. فلا ينطلي عليه الزيف.. وتقدم الإمام المعتاد لأفراد الحي .. وشرع في الصلاة .. وقرأ الفاتحة ثم اردفها بسورة .. كانت جديدة .. ليست من القرآن ولا تمت إليه بصله .. وإنما اضطره إلى تأليفها جهله بسور القرآن وكبرياؤه وترفعه عن أن يقول لأفراد الحي إنني لا أحفظ شيئاً من القرآن.. والعامل الأهم في هذا كله هو جهل أفراد الحي . وعدم تمييزهم بين القرآن الصحيح والقرآن المزيف..

والشيء الثالث هو الاغراء بالمادة التي أغروا هذا الحضري بها .. ليبقى بين ظهرانيهم إماماً لهم ومعلماً لأولادهم.. كل هذه الأمور دفعت هذا الحضري إلى أن يدعي ما ليس لـــه ..



حضري آخر يكتشف زيف الحضري الإمام .. ولكن الإمام يعده باقتسام المكاسب مناصفة فيغريه الطمع ويسكت.!!

وأن يتظاهر بما ليس فيه ..

لكن حبل الكذب قصير كما يقولون في الأمثال .!! والمهم أن هذا الأمام عندما قرأ الفاتحة وأراد يردفها بسورة من القرآن كان لا يعرف شيئاً منه وألف سورة من عنده .. وصار يكررها في كل صلاة .. ويدخل عليها بعض الزيادات ويعد لها في بعض المناسبات .. والسورة المزيفة التي قرأها هي:

«اطعموا مطوعكم من لحم الدجاج .. وزوجوه البنت المغناج .. تدخلوا الجنة أفواجاً أفواج» .. فتنحنح الحضري الجديد علامة الاستنكار .. وكرر هذه الإشارة ليعلم هذا الإمام بأنه قد اكتشف أمره .. وعرف زيفه .. ومرت الركعة الأولى.. وجاءت الركعة الثانية .. فقرأ الإمام الفاتحة .. ثم اردفها بهذه السورة المزيفة أيضاً..

«اسكتوا أيها المتنحنحون ..فإن الشرط أربعون .. لنا عشرون.. ولكم عشرون ...» وعندئذ سكت هذا الحضري الجديد.. وحيث أغراه الإمام بالوعود وألجم فمه بالطمع .. وتشاركاً في المكاسب وأعماهما حب المادة عن اجتناب الخداع والتزوير .!! وأخذ أموال الناس بالباطل..

وكملت وحملت وفي اصبيع الصغير دملت...

★ ★ ★

سَـــالفة:

٢٢- جحة مع المرابي

«هذه السالفة رويت أصلها عن الأخ الأستاذ صالح الجهيمان وصغتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا»

قال أحد الأطفال للجده في هذه الليلة : قصي علينا سالفة جحه مع المرابي .. فقالت الجدة حبا وكرامه..

هنا هاك الواحد .. والواحد الله في سماه العالي وإلى جحه ولد على كان يكره الربا والاحتكار .. واستغلال ظروف الناس القاسية لسلب أموالهم .. وأخذها بالباطل .. وهو لا يستطيع أن يزيل هذه الأوضاع .. ولا أن يقتلع هذه العلة الاجتماعية من جذورها.. ولهذا فقد هداه تفكيره إلى أن يعمد إلى حيلة لطيفة، لعله يستطيع بها أن ينبه عملياً رذائل هذا الأمر من رذائل الغش التجاري الذي كان منتشراً في زمن جحه..

هذه الحيلة تتلخص في أن جحه يتنكر ويتقمص شكل فلاح بسيط لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد .. ومعه حمار ادعى

أن ضراطه ورجيعه ذهب .. وعمد جحه فأدخل في معدة هذا الحمار عشر جنيهات ذهبية .. وجاء بالحمار إلى السوق وصاح بين أهله قائلاً : - من يشتري الحمار الذي لا يضرط إلا جنيهات ولا يخرج منه في رجيعه إلا ذهب .!!

التف التجار والطامعون حول جحه .. ويريدون أن يروا هذه الظاهرة الغريبة .. وأن يتنافسون في اقتنائها .. وعندما تكامل جمع التجار غمز جحه هذا الحمار غمزة فضرط فكان مع ضرطته جنيه ذهبي .. ثم غمزة ثانية فأخرج جنيهاً ذهبياً ثانياً.. هذكا إلى خمس جنيهات .. وأبقى في معدة الحمار خمس الجنيهات الأخرى لتكون ذخراً فيما لو أراد تجربة جديدة.!!

نافس التجار في اقتناء هذا الحمار فإذا قال أحدهم بعشرة آلاف قال الثاني بعشرين ألفاً .. واستمرت الزايدات إلى أن بلغت ثمانين ألف ريال .. وتوقف بعض التجار لأن هذا المبلغ فوق طاقتهم .. وانبرى أحد التجار الكبار والمرابين المشهورين في البلد .. وأخذ جحه من يده .. وانتحى به جانباً .. وقال له:-

إنني سوف أدفع لك في الحمار مبلغ مائة ألف ريال .. إنما أريد ذلك بشرط .. وهو أن تتظاهر أمام هؤلاء التجار بأنك لا تريد بيع الحمار .. ثم تأتي بالحمار إلى خفية في بيتي الذي في المكان الفلاني .. وليكن ذلك ليلاً فتسلم الحمار .. وتستلم ثمنه نقداً وعداً .. ثم تنصرف إلى حال سبيلك..



جحه ينادي بالبيع على حماره الذي كل فضلاته
الخارجة منه ذهب وجنيهات.!!

وكان هذا التاجر هو هدف جحه .. وهو المرابي الكبير الذي يتحكم في مصائر البلد .. ويستغل ظروف الناس السيئة فيأخذ منهم أرباحاً طائلة بطرق غير مشروعه .!! ولهذا فقد سارع جحه إلى إجابته إلى طلبه .. وظهر للتجار وقال لهم إني عدلت عن بيع حماري .. ثم أخذ بلجام حماره وذهب به وقلوب التجار كلهم متعلقة بهذا الحمار الفريد في نوعه .. ولعاب كل منهم يسيل على اقتنائه لأنه ثروة طائلة .. وكنز ثمين لا ينفد .. في نظرهم..

ولما جن الليل أخذ جحه بلجام حماره وقادة إلى بيت ذلك المرابي الكبير .. وأدخله عليه .. وطلب منه أن يستلم الحمار وأن ينقده الثمن .. ففعل المرابي ودفع لجحه مائة ألف ريال كاملة نقداً وعداً .. وعندما أراد جحه أن ينصرف استوقفه المرابي وسأله عن علف هذا الحمار وشرابه .. وطريقة معاملته.. والمكان الذي يجب أن يوضع فيه .. فقال له جحه :-

أنه يعامل كما يعامل جميع الحمير . !! لا فرق بينه وبينها في أي طبع من طباعها .. وإنما إذا كنت تريد منه ذهباً كثيراً.. فأعطه علفاً طيباً كثيراً وماء عذباً بارداً .. وافرش له الأرض بأنواع قوية من الفرش لئلا يضيع الذهب في التراب .. قال جحه هذه الكلمات وانصرف إلى شأنه .. مودعاً النقود في مكان أمين..

ثم خلع جحه ثوبه التنكري وعاد إلى حالته الأولى .. إلى جحه المختل الشعور الدائر في الأسواق على حصان من جريد

النخل .!!

أما ما كان من أمر المرابي الذي اشترى الحمار الذي لا يكون ضراطه إلا ذهباً .. فإنه هيأ للحمار مكانا نظيفاً .. بفرش نظيف وجاء له بماء بارد وقت كثير .. وغمز الحمار بعصى في أحد جانبيه .. فقفز وضرط وخرج منه جنبه ذهبي.. ثم ذهب التاجر فأحضر جميع أفراد عائلته ليريهم أعجوبة عصره .. وتجمع أفراد العائلة حول الحمار .. وعجبوا من هذا إلا كرام الزائد الذي يعامل به .. وقال التاجر لأفراد أسرته شارحاً لهم بعض صفات هذا الحمار ...

لا تعجبوا من إكرامي هذا الحمار فإن ضراطه ذهب.!! وروثه ذهب .. وبوله ذهب وكل ما يخرج منه ذهب في ذهب.! أما طعامه فهو عادي كأي حمار آخر.. وشرابه كذلك ومن الموكد أن في بطن هذا الحمار آلة خاصة تحيل جميع ما يدخله إلى جوفه إلى ذهب .. ثم غمز المرابي ذلك الحمار بعصى في أحد جانبيه فقفز ثم ضرط فخرج جنيه.. ثم ثانية وثالثه ورابعه .. فكان في كل مرة يغمزه أو يكزه بالعصى يقفز .. ثم يضرط .. فيخرج جنيهاً ذهبياً واحداً..

فتعجب جميع أفراد العائلة من هذا الحمار .. وعمهم الفرح والسرور بهذه الثروة الطارئة الطائلة التي سوف تبقى كنزاً بين أيديهم ينفقون من حاصلاته نفقات من لا يخشى الفقر .!! وتفرق أفراد العائلةليناموا ..

وجاء الصبح .. فكان أول من استيقظ كبير الأسرة أو كبير

المرابين .. وذهب مسرعاً إلى مكان الحمار قبل أن يغسل وجهه بالماء.. وكان يتخيل أنه سوف يرى الأرض وقد غطيت ذهباً أصفر .. ولكنه عندما نظر إلى مكان الحمار وجده قد ملأه بولاً وروثاً له رائحة خبيثة ومنظر خبيث ..

فقال في نفسه لعل الذهب يكون بين أكوام هذا الروث فجعل يحرث ذلك الروث ويفرق منه ما اجتمع .. ويفتت منه ما تماسك .. حتى يئس من وجود شيء من الذهب .. فعلم أنه خدع.. وأنما أخذت نقوده عن طريق الغش والاحتيال..

فضرب كفا بكف .. وقال كيف أجد هذا المحتال .. وتذكر ليعرف اسمه أو أوصافه أو بلده أو أي أمر قد يدل عليه.. فلم يجد في ذاكرته من هذه الأمور أي شيء.!!

وعاد إلى فراشه مهموماً حزيناً محتاراً .. لا يدري ماذا يصنع أمام هذه المشكلة العويصة .. التي خسر فيها ما بين ليلة وضحاها مبلغاً من المال لا يستهان به .. بذل في كسبه كل ذكائه ونشاطه وحيلته .. ثم ذهب هكذا فجأة .. وبحيلة فلاح بسيط وبطريقة بدائيه لا يمكن أن يتقبلها ذو عقل سليم.!! وهو أن الحمار يأكل برسيماً . ثم لا يخرج منه إلا ذهب.!!

جعل يلوم نفسه ويقرعها .!! ويعجب من نفسه كيف انطلت عليها هذه الحيلة .؟! وكيف صدق أن مثل هذا الأمر يكون.. وكيف جازف بمعظم ماله.. في هذه المجازفة .؟! وكيف . وكيف.؟! ولكن لا مجال للندم فات الفائت .. والحكي في الفائت نقص في العقل كما يقولون في الأمثال وعاد

هذا المرابي إلى طبيعته الأولى في المرابات واستغلال الظروف السيئة لبعض الناس وابتزاز أموالهم .. واندفع في هذا الطريق.. بقوة عظيمه حتى يعوض ما فاته من صفقة الحمار الخاسرة..

وجاء إلى هذا المرابي رجل مضطر إلى شيء من المال فقال المرابي إنني سوف أعطيك ما تريده .. كثيراً أو قليلاً العشر خمسة عشرة .. فقبل هذا المحتاد هذا العرض مهما كان فيه من أجحاف ظاهر وخسارة كبيرة.. وقال المرابي إن لدي شرطاً واحداً.. لا يمكن امام الصفقة إلا بقبوله .. فقال الرجل المحتاج وما هو.؟!

فقال المرابي إذا حان موعد تسديد الدين ولم تسدده فإن لي الحق في أن أقطع من جسدك لحمة مقدارها نصف كيلوا..

وكان الرجل مضطراً إلى المبلغ .. كما أنه لم يجد أحداً من التجار يعطيه ؛ خوفاً من عدم تسديد الدين في حينه فقبل الرجل هذا الشرط القاسي .. على مبدأ :- أن للأمر حلالاً.. وكما يقول المثل أحين اليوم واقتلن بكره.!!

وجاء موعد تسديد الدين .. ولم يكن عند الرجل أي شيء لتسديده وطلب منه المرابي أن يفي بالشرط ، وهو أن يقطع نصف كيلو لحمة من جسده .. وكبر على المدين هذا الأمر وبدأ يفكر في خطورة هذا الشرط وبشاعته .. وقال للمرابي إن هذا شرط باطل.. ولا يمكن تنفيذه .. فطلب المرابي أن يذهبا للقاضي ليحكم بينهما حكماً شرعياً .. وذهبا إلى القاضي وادعى المرابي ودافع الفقير عن نفسه ...

لكن القاضي قال إن المتبايعين على شروطهما .. والشرط أملك .. ولا بد من التسديد أو الوفاء بالشرط .. وهو قطع المقدار المحدد من جسدك .. وحاول الفقير أن يغير القاضي رأيه.. ولكن القاضي أصر .. فقال الفقير أمهلوني إلى الغد .. لأبذل جهدي في الحصول على المبلغ..

تفرق الخصمان .. وذهب الفقير إلى جحه حالاً .. وأخذه جانباً وقال له إن لدي مشكلة هي كيت وكيت وكيت .. وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها.. فقال جحه على أن أجعل القضية في صالحك وأن يسقط الدين الذي عليك .. وأن تأخذ عليه زيادة مبلغ من هذا المرابي الجشع ..

اطمأن الرجل إلى قول جحه .. لأنه يعرف علمه وفضله وسداد منطقة وقوة حجته .!! وقال الفقير إن القاضي ضرب لنا موعداً في الساعة الفلانية من يوم الغد .. فقال جحه .. الموعد عند القاضي .. وذهب الثلاثة : الخصمان وجحه كمحام للدفاع عن قضية الفقير..

قال القاضي بعد أن جلسوا أمامه في مجلس القضاء.. ماذا لديكم .؟! وهل أحضرت للرجل ماله .؟! فقال الفقير إني لم أجد من يعطيني مالاً بدين .. وليس لدي شيء أبيعه.. وقد وكلت جحه للدفاع عن قضيتي .. فأنا لا استطيع أن أدافع عن نفسي .. ولا أن أشرح وضعي وأفصح عن حجتي .. ولعل جحه يشرح لكم من وضعي يا فضيلة القاضي ما يقنعكم بالعدول عن الحكم .. وإنظاري إلى ميسره.!!

فقال القاضي لجحه ماذا لديك من دفاع.؟! فقال جحه ليس لدي دفاع .. وإنما أريد أن أسمع الحكم في القضية من فضيلة القاضي .. ومبررات هذا الحكم وحيثياته .. فقال القاضي: إن الأمر كذا وكذا وقد اشترط هذا التاجر أن يأخذ من جسد هذا الرجل قطعة لحم مقدارها كيلو .. إذا لم يسدد المبلغ في موعد التسديد..

فقال جحه قد قبلنا حكم فضيلة القاضي .. ورضينا بأن يقطع كيلو لحم من جسده .. وإنما على شرط أن لا يزيد على ذلك.. فإن زاد فإن عليه أن يعيد الزيادة إلى موضعها .. وإلى حالتها الطبيعية .. وإذا لم يتسطع فإننا نطلب أن يؤخذ من جسم هذا التاجر بمقدار ما قطع من الزيادة ..

فقال القاضي هذا لكم .. قوموا من عندي .. ونفذوا حكمي على هذا الأساس الذي ذكره جحه .!! فقاموا من عند القاضي .. وطلبوا من التاجر أن ينفذ الحكم .!! ورأى التاجر أن الأمر صعب جداً .. وأن هناك خطورة في الزيادة أو النقص.. ومن ثم خطورة في تعريض حياته للخطر .. وهذا فقد رأي من الأسلم أن يتخلص من هذه الورطه بأي ثمن .. وأن يدخل مع جحه في معارضات .. لعله يضفر فيها بالخلاص.!!

وبدأت المفاوضات.. وقال التاجر إنني مستعد بالتنازل عن قطع اللحمة.. ومستعد بالصبر وتأجيل دفع المبلغ إلى ميسره.. فقال جحه .. إنني نبابه عن موكلي لا أقبل اقتراحك ولا

رايك.. وإنما أقبل حكم القاضي .. وأطلب تنفيذه حالاً..
فقال المرابي هناك حل آخر وهو إنني مستعد بالتنازل عن الدين
جملة وتفصيلاً.!!

فقال جحه إنني نيابة عن موكلي لا أقبل هذا التكرم ولا
هذا التنازل.. وأصر إصراراً جازماً بتنفيذ الحكم .. فقال المرابي
لدي حل ثالث وهو أن أتنازل عن الدين وأدفع زيادة عليه مبلغاً
يساويه أدفعه نقداً .. فرفض جحه .. واستمرت المساومة ..
والأخذ والرد .. إلى أن إستقرت المساومة على أن يدفع المرابي
مبلغاً يعادل الدين خمس مرات .!! وعندئذ قال جحه إنني لا
أستطيع البت في هذا الموضوع وحدي بل لا بد من الرجوع إلى
صاحب الحق فهو الذي له الكلمة الأخيرة فيه..

ذهب جحه إلى موكله فاخبره بهذه النتيجة .. فسر سروراً
عظيماً .. وكاد أن لا يصدق بها .. لولا أن جحه معروف لديه
بالصدق والأمانة .. كما أنه معروف بسداد الرأي وقوة
الحجة.. والدراية الكاملة بشبكات المرابين التي ينصبونها
للناس.. وطرق التخلص من تلك الشبكات .!!

فقبل هذا الفقير ما وصلت إليه نتيجة المساومات وعاد
جحه إلى ذلك المرابي وقال لقد اقنعت موكلي بقبول ما توصلنا
إليه من نتيجة .. وإنني أريد أن تدفع المبلغ حالاً لئلا يأتيه من
يغير رأيه فينقلب .. وتعود المشكلة من جديد.!!

فدفع له المرابي ما إتفقا عليه نقداً وعداً .. وذهب جحه

بالمال إلى موكله فصبه في حجره ..فكاد أن يطير من الفرح بهذا الرزق الذي جاءه من حيث لا يحتسب .!!

ورجع الراوي من عندهم لم يعطوه ديناراً ولا درهماً ..
وكملت وحملت وفي اصيبع الصغير دملت.!!



سَـــــالفة :

٢٣- ولد الغني الذي افتقر

وجاء الليل وتجمع الأطفال حول جدتهم وقال لها أحدهم قصي علينا قصة ولد الغنى الذي افتقر .. فقالت الجدة حبا وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلى هنا هاك الرجال الذي أعطاه الله وأغناه .. ورزقه تجارة رابحة .. وأعطاه مالاً واسعاً .. إلا أنه لم يرزق بولد .. وحز هذا في نفسه .. والتمس العلاج عند كل طبيب .. وحتى وفق بعد جهد جهيد إلى طبيب ماهر عالجه مدة طويلة؛ رزق على أثرها ولداً سماه باسم والده.. ورباه تربية المدلل المشفق فهو وحيده ووريثه وحامل اسمه من بعده..

ولهذا فقد عاش الولد في أحصان العطف والنعيم والترف المفرط بحيث لا ترد له كلمة .. ولا يرفض له طلب .. ولا يكدر له خاطر . في أي حالة من الحالات وكان والده يفعل

هذا كله بدافع الحنان والشفقة والحب .!!

وتتابعت الأيام وتوفي الوالد .. وخلف ثروة طائلة من ثابت ومنقول لولده الوحيد الذي تملك هذه الثروة العظيمة التي نماها والده .. بواسطة حانوت كان يبيع فيه ويشتري ويتصل بالتجار والأسواق اتصالاً مباشراً .. إلا أن الولد خالف هذه القاعدة.. فقد التف عليه قرناء السوء وزينوا له أول ما زينوا أن يقفل حانوت والده وأن لا يتعب نفسه في بيع وشراء لا حاجة له إليه .!! فإن لديه من الثروة ما يكفيه ويكفي أولاده من بعده.. فراقت له هذه الفكرة فنفذها.. وأحاط الفراغ والثروة بحياة الشاب وبدأ قرناء السوء يجرونه إلى ألوان من الحياة .. طربة ومسلية .. ولا عهد للشاب بها في حياة والده..!

لذت له هذه الحياة فاندفع فيها اندفاعاً أهوج... وصار ينفق من ثروته باليمين وبالشمال .. وقرناء السوء يزينون له هذا الصنيع ويدفعونه إليه .. ويحفون به من كل جانب ؛ فيتمتعون على حسابه ويأخذون من ثروته كلما يستطيعون أخذه .. ويقضون معه أوقاتاً لا قيمة لها لديهم لأنهم عطل من العمل.. ولأنهم جربوا حظهم في الحياة فكان الاخفاق نصيبهم.!!

وكانت والدة الشاب ترى هذا الطريق المخوف الذي اندفع فيه ولدها .. فتنصحه ما بين الفينة والفينة .. ولكنه سادر لا يرعوي لقول ناصح.. ولا يلتفت لإرشاد مشفق .. ولا يستفيد من تجربة مجرب.! فهو في سكر مطبق من كل الجهاة.!! بسكر



الشاب الغني بالوراثة .. يلتف حوله قرناء السوء فيزينون له القمار وطرائق السوء الأخرى حتى افتقر.!!

الشباب وسكر الثروة .. وسكر الحرية فليس فوق يده إلا يد الله .. وشعرت الوالدة بالحالة التي يعيش فيها ولدها.. لكن العين بصيره واليد قصيرة.!! فهي لا تقوى على منعه بالقوة .. وهو لا يتأثر بإرشاداتها ونصائحها التي تجابهه بها في بعض المناسبات .. ولهذا لقد يئست والدته من إصلاحه .. وتركت أمره للأقدار .. لعلها تصدمه صدمة عنيفة تعيد إليه عقله..

لكن الأمور سارت على وثيرة واحدة .. واستمر الشاب على طريقته .. واستمرأها وألفها واتسعت النفقات .. وتعدد الطلبات .. وقرناءه السوء يزينون له ما هو عليه .. ويدفعونه إلى المزيد بطرق لا يكاد الشاب يشعر بمغبتها .. ونفد المال المنقول .. وكاد أن يتوقف ويقتصد..

لكن البطانة التي تحف به زينت له أن يبيع أحد البيوت لينفق من ثمنه ..فالأملاك كثيرة وثمينة .. ولا يليق بالمرء أن يقتر على نفسه ولديه كل هذه الثروات .. واقتنع الشاب بالفكرة وباع أول بيت ..وتبددت قيمته بأسرع مما كان يتصور.. ثم باع البيت الثاني والثالث والرابع..

لم يبق إلا البيت الذي يسكنه هو ووالدته .. وكاد أن يبيعه لولا أن والدته وقفت موقفاً صامداً .. وصدته عما أراد .. وبقي الشاب بلا نقود .. فتفرق عنه أصحابه .. ولم يبق بجانبه منهم أحد .. وبحث عنهم فلم يجدهم ..

وعندئذ عرف ما كان يحيط به من مكر وخداع ونفاق .. ولكن هذا المعرفة جاءت بعد فوات الأوان .!! ولم يبق له صديق

ولا ناصح إلا أمه فعاد إليها وارتمى في أحضانها .. ولازمها..

وطلب رأيها ومشورتها بعد أن نفد ما في يده.. وانسدت الأبواب في وجهه .. وضاقت به الدنيا .. وضاق بها .!!

وفكرت والدته ملياً .. ثم قالت يا ولدي إنني أعرف صديقاً لوالدك اسمه كذا . وبلده كذا .. فعليك أن ترتحل إليه.. وأن تحل عليه ضيفاً .. وأن تخبره باسمك .. وأن تشرح له وضعك .. وأن تسترشد برأيه .. وأن تكل له أمرك - بعد الله - فأخذ الشاب نصيحة والدته بحذافيرها .. وبدأ يهيء نفسه للرحيل وأعدت له والدته ما يلزمه في سفره وأعد هو ما يستطيع اعداده ثم شد الرحال إلى تلك البلد التي يسكن فيها صديق والده..

واصل ليله بنهاره .. وصار ينتقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى البلد المطلوب .. فسأل عن بيت الرجل فدل عليه.. فأناخ راحلته ببابه .. وقال للبواب إنني قادم من بعيد وضيف لصاحب هذه الدار.. فرحب به الحارس وهلا.. وأدخل راحلته وقدم لها العلف .. وادخل الضيف وقدم له القهوة والتمر واللبن .. وخصص له مكاناً للنوم والراحة .. وعرفهم الشاب بنفسه وقال إني قادم من بلدي قاصداً فلاناً لأسلم عليه.!! فهو صديق والدي - رحمه الله - وله علي حقوق التبجيل والتوقير.. فرحبوا به أيضاً ثم عرفوا سيدهم عن هذا القادم الجديد .. فعرفه وعرف والده.. وقال لهم : اكرموا هذا الشاب .. وقدموا له كلما يضمن راحته ..

ضرب موعد للمقابلة .. فاستعد الشاب لشرح وضعه .. ورتب القول الذي سيدلي به أمام صديق والده.. وحاول أن ينسب جميع الأخطاء إلى القضاء والقدر.!! وأن يتنصل من المسؤلية .. وأن يتباعد عن أسباب اللوم والتقريع .!!

وحصل اللقاء وعرف الشاب بنفسه .. وشرح وضعه وقال أن والدي توفي وأنا صغير غرير .. ليست لدي أية تجربة .. ولا خبرة بهذه الدنيا وأهلها .. وقدر الله علي أن أندفع في طرق ملتوية .. أودت بمال والدي الثابت والمنقول .. وبقيت بلا شيء.. وقد وصف لي ما بينك وبين والدي من صلات وعلاقات طيبة.. وصداقة متينة .. فجئت إليك لآخذ رأيك فيما قدر علي وحل بي من الفقر والحاجة .!!

فلم يعاتبه الرجل لأنه فات أو آن العتاب .. ولم يدل إليه بأي نصيحة .. لأنه رأى أن الشاب قد استفاد من تجربته هذه استفادة تامة .. وشعر فيها بالخطأ .. وإن كان لم يقل ذلك صراحة .. إلا أن شارات الندم واليقظة تظهر من تضاعيف كلامه .!

وكل ما قاله هذا التاجر لولد صديقه هو : لم يحصل إلا الخير إن شاء الله ولم يضع من مالك ما وعظك .. فدع الماضي وانظر إلى المستقبل .. وكن واثقاً بنفسك معتمداً عليها بعد الله..

ثم ترك التاجر هذا الشاب أياماً لا يقابله ولا يراه ولا يكلفه بأي عمل ..

وبعد هذه الفترة .. أسند إلى الشاب عمل بسيط وبراتب بسيط أيضاً .. فتقبله الشاب وفرح به وقام به خير قيام .. واستمر في عمله هذا جاداً مخلصاً مثابراً .. وكان يقبض راتبه الشهري فيبعث نصفه إلى والدته .. ونصفه الآخر ينفق منه بعض ما يحتاجه.. ويوفر الباقي .. ورأى التاجر جد الشاب وإخلاصه .. فرفع رتبته وراتبه ..

وازداد الشاب نشاطاً وحيوية وثقة بنفسه .. وتفانياً في خدمة هذا التاجر الذي انتشله من وهدة الفاقة والفشل والكسل .. إلى ذرى الجد والنشاط .. والعمل والأمل .!! ورأى التاجر من هذا الشاب ما جعله يثق به ويطمئن إليه فجعله رئيساً أعلاه لجميع شئونه التجارية والمنزلية ورفع راتبه أضعافاً .! فتحمل الشاب مسئوليته الجديدة بكل أمانة وجد وإخلاص.. وكان التاجر قد كبر سنة ورق عظمه .. فارتاح لتحمل الشاب جميع هذه المسئوليات كما ارتاح إلى إخلاص الشاب وسداد رأيه .. وحسن تصريفه للأمور .!!

ومضى الشاب على حالته هذه فترة جمع فيها مبلغاً من المال لا يستهان به .. واشتاق إلى والدته وإلى وطنه .. فأحب أن يسافر .. وفاتح التاجر في هذا الأمر فكانت مفاجأة غير سارة .. لأن التاجر كان يعتمد على الشاب ويثق به ثقة لا حد لها.. وقد تكررت جميع الأمور في يديه .. فيكف يذهب يترك هذه المسئوليات ولمن يتركها .؟! ومن يستطيع أن يتحمل أعباءها.؟!

قال التاجر للشاب استمر في عملك حتى نبحث عن شخص يقوم مقامك فلبى الشاب هذه الرغبة .. واستمر في عمله جاداً مخلصاً منمياً لثروة هذا التاجر .. حريصاً على حمايتها من كل ما يضرها بها .. وفكر التاجر في أمر يربط به هذا الشاب إليه .. ويجعله يبقى في عمله..

فوجد الوسيلة .. وهي أن يزوجه ابنته .. ويجعله شريكاً له في تجارته .. ولا شيء غير هذه الطريقة .. وفي يوم من الأيام دعا التاجر ذلك الشاب.. وزف إليه الخبر .. وقال له اذهب إلى وطنك فأقم فيه ما طابت لك الإقامة .. ثم هيء نفسك ووالدتك إلى المجيء إلى هنا والإقامة الدائمة في بيتك .. وبين أهلك وذويك .. فبهت الشاب لهذا العرض المغري الذي ما كان يخطر على باله في الأحلام .. والتمس العبارات المناسبة التي يمكن أن يوجهها إلى هذا التاجر في هذه المناسبة السعيدة.. فلم يجد شيئاً يتناسب مع عواطف الفرحة والابتهاج التي ملأت صدره .!! وكلما استطاعه هو أن يقوم ويقبل رأس هذا التاجر .. وأن يقول له :-

شكراً يا سيدي على تفضلك علي بهذه القربى .. فقال التاجر إنني اعتبر أبناء والدك كأبنائي وقد كنا قابلناك بشيء من الجفاء والغلظة أولاً لا للأساءة إليك ولكن لتربيتك .. ولمصلحتك .. وقد آتت هذه الطريقة ثمارها .. فصرت شاباً عاملاً ذكياً واعياً .. أرشحك الآن لأن تكون شريكي وخليفتي في تجارتي وأموالي وعلى أهلي وولدي .. فاذهب إلى والدتك .. وعد إلينا سريعاً ..

فأعد الشاب عدته.. وسافر إلى والدته بكثير من الهدايا والتحف.. والأثواب.. وفرحت والدته بقدومه ثم قص عليها قصته.. وأخبرها بالعرض الذي عرضه عليه التاجر صديق والده..

فرحت الوالدة فرحاً غامراً .. ورأت أن الحظ قد بسم لولدها.. بعد أن تنكر له دهره .!! وتنكر له أصحابه .. وبقي بلا مال ولا جاه ولا خبرة عريقة بهذه الحياة . . وسعدت الوالدة بنجاح ولدها وجاشت العواطف في صدرها فقبلت رأس ولدها ... وجرت دموع الفرح مدراراً على خديها..

وجعلت الوالدة وولدها يعدان أنفسهما للرحيل إلى جوار ذلك التاجر الشهم الذي انتشلهم من وهدة العوز والحاجة .. إلى ذرى السعادة والمال والثراءة .!!

وسمع التاجر بقرب قدومهما فأعد لهما استقبالاً حافلاً اشترك فيه كبار أهل البلد .. وعقد الزواج بعد قدوم الشاب بيوم أو يومين وأقيمت الإحتفالات وعمت الأفراح وصار الشاب في منزلة رفيعة .. ومكان مرموق .. ينظر إليه الكل نظرة تجلة واحترام ..

وعرف مكانه بين سكان هذه المدينة... فكان مثال المواطن الكامل كرماً وأخلاقاً وحسن سمت .!! وأخذ بيد الضعيف.. ومجاملة لكل قاصد وقضاء حق كل ذي حق.. فاشتهر الشاب بجيمع الخلال الحميدة التي يمكن أن يتحلى بها إنسان..

وعاش بقية حياته أسعد مما عاش أولها..

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت .!!

سَــــالفة:

٢٤- بنت زارع الكمون

«هذه سالفة رويتها عن الأخ الأستاذ صالح الجهيمان
وكتبتها بأسلوبي الخاص كما تراها هنا»

في هذه الليلة قال أحد الفتية الكبار قصي علينا يا جدتي قصة بنت زارع الكمون .. فاعتذرت الجدة لأن في هذه القصة ما يمس بالعجائز ويسيء إلى سمعتهن .. ولكن الفتى ألح وعندما زاد تمنعها اتفقت أصوات الأطفال كلهم على أن تقصها عليهم.. فأجابت الجدة مكرهة ..! وبدأت السالفة فقالت:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. إلى هنا هاك الرجال الفقير الذي يكسب رزقه من طريق الزراعة .. وكانت له زوجة توفيت وخلفت له بنتاً .. وكانت له أرض (حياله) في طرف البلدة وفيها بئر .. وكان يزرع الأرض ويغرس في أطرافها بعض الأشجار ويعيش من محصولها هو وابنته..

وكان عمل الوالد أن يسوق السواني لإخراج الماء من البئر.. وعمل البنت هو الذي لا يكلف جهداً وهو توجيه الماء إلى المواطن المحتاجة إلى الماء .. وإخراجه من شرب (حوض) إلى شرب مضافاً إلى ذلك قلع الأعشاب الطفيلة التي تضايق الزراعات المثمرة .. وتتبعها أينما وجدت والقضاء عليها قضاءاً تاماً..

وكان هذا هو عملها اليومي فإذا أقبل الليل أوقفها نشاطهما.. وجمعا الدواب في حضيرتها .. ووضعها لها ما تحتاجه من العلف .. ثم أقفلا باب هذه (الحيالة)، خوفاً من دخول البهائم فيها .. أما البشر ففي استطاعتهم أن يدخلوا وأن يخرجوا غير مشكوك فيهم .. إلا أن والد فاطمه وهذا هو اسم الفتاة .. كان يتظاهر بأنه لا يريد أن يمر أحد من بين مزارعه .. فكان الناس يحترمون إرادته .. ولا يمرون في وسط مزروعات .. واستمر الوالد وابنته فاطمه على هذه الحالة ..

ومر ذات يوم شاب من شباب القرية .. الذي لا عمل لهم يشغلهم .. ولا هدف لهم في الحياة إلا العبث والمجون .. واللذة العابرة والنظرة الفاجرة .. لأنهم قد كفوا شئون معيشتهم وليس هناك من ضرورة لكي يعملوا .. ويملأوا أوقاتهم بالنافع والمفيد.. وكانت حياتهم سبلهاً يقضونها في تتبع غفلات الناس واختلاس ما يمكن اختلاسه مما يطيب لهم .. من ملذات .!!

مر هذا الشاب على مزارع والد فاطمه.. ولمحها فعجبته.. ورمى إليها كلمة من رواء الجدار القصير فلم ترد عليه .. وراح



العجوز تبدأ دورها في جلب ود هذه الصبية وكسب ثقتها للانتقال بها بعد ذلك إلى الدور الآخر.!!

ثم جاء .. وطال تردده .. ولكنه خشي أن يراه والدها فيشكوه إلى والده .. أو خاف أن يراه أحد كبار القرية فيزجره.. وينهاها أو يبلغ عنه الإمارة فيحدث له ما لا تحمد عقباه..

ذهب هذا الشاب في اليوم التالي في حال سبيله .. مصمماً على الرجوع في يوم آخر..

وعاد في اليوم التالي وكان قد ألف جملة من الكلام يريد أن يستنطق بها هذه الفتاة ليعرف ما وراءها .. وجاء يمشي بقرب الجدار فلما حاذي أقرب نقطة من الفتاة قال: «يا بنت زارع الكمون هل تحبين من يحبكم ..؟!» فسمعت الفتاة هذا القول ولاذت بالصمت.. وجاء الشاب في اليوم الثاني .. وقال نفس الكلام وتركته أيضاً .. وعاد في اليوم الثالث فضاقت الفتاة بهذا الشاب وبتحرشاته .. وخافت أن يراه أحد يتكلم معها .. فينظن أنها تتكلم معه .!! ثم تشيع شائعات السوء عنها فتسقط في نظر مواطنيها سقوطا لا قيام بعده..

لهذا فقد ذهبت الفتاة لأبيها وأخبرته بما يجري . وطلبت رأيه في الأمر .. وكان والده لا يستطيع أن يصنع شيئاً بهذا الشاب فهو من أولاد الذوات وهناك له أنصار ومحبون يدافعون عنه يبرئونه من كل سوء .!! ويشهدون له بكل خير .!!

أما هذا الفلاح فهو مسكين مغمور ليست لديه القدرة على الكلام بما يدين به هذا الشخص .. وليست لديه المكانة المرموقة في المجتمع حتى يكون لكلامه تأثير على من بيدهم الحل والعقد والتدبير .. ولهذا فقد صاغ لابنته جملة من الكلام

قاسية .!! لتكون رادعة لشاب عما يريد..!! ومشعرة إياه بأنه لا يستطيع أن ينال من هذا الطريق أي كسب مهما كان طفيف!!

وعندما جاء اليوم التالي جاء الشاب على عادته .. ووقف عند أقرب نقطة إلى الفتاة وهي تقوم بعملها في توجيه الماء إلى المواطن الظمآي .. وتقتلع الأشجار الطفيلية من بين المزروعات النافعة .. وتحصن من بعض المواضع علفاً للمواشي .. فنظر الشاب إليها وألقى كلمته المعتادة : - «يا بنت زارع الكمون هل تحبين من يحبكم .؟!» فأجابته الفتاة بقولها : - «ما أحبكم ما أحبكم لا رحم الله أبوكم ولا جدكم.!!»

وعندما سمع الشاب هذه الجلبة صدم .. وعلم أن نسيج هذه العبارة ليس من الفتاة .. وإنما هو من والد الفتاة .. فأخذ الفتى طريقه بعدأن يئس من الوصول إلى شيء من هذا الطريق .. وقال في نفسه لقد علمها والدها اللعين ما تصد به عنها أيدي الطامعين .!!

وذهب الفتى إلى عجوز يعرفها ويتعامل معها وينفعها وتنفعه.!! وقال لها يا أم فلان ان لي إليك حاجة .. فقالت :- هي مقضية إن شاء الله .. فقال الشاب : أريد أن تجمعيني ببنت الفلاح فلان ..

فقالت العجوز .. وماذا تريد منها إنها فتاة ساذجة صغيرة.. ليست من طبقتك .. وليس فيها ما يغري .!! فقال الشاب أنا لا أريد إلا هذه الفتاة .!! ولا شيء غيرها.. فقالت

العجوز إنني سوف أبذل جهدي وأخبرك بالنتيجة بعد أيام .. فنقدها الشاب بضع دريهمات .. وشكرها مقدماً على تعاونها معه .. وتمنى أن تبلغ بلطف حيلتها .. وسعة مداركها .. كلما تريد في هذا الشأن .!! وكلما يريد هو .!!

ودرست العجوز وضع بنت زارع الكمون من جميع نواحيه.. ورأت أنها في النهار مشغولة هي ووالده فلا مجال للبحث عن فرصة في النهار.. وإذاً فلا مجال ولا أمل إلا في الليل .. وراقبت العجوز تحركات العائلة ليلاً.. فرأت أن الوالد يتناول عشاءه بعد صلاة المغرب ..ثم يخرج للاجتماع بأصحابه ولذاته للحديث التسلية .. ثم يعود إلى البيت بعد صلاة العشاء مباشرة .. فلا يخرج من البيت إلا إلى عمله في مزرعته صباحاً..

إذاً فلا مجال لديها إلى في الوقت الذي بين صلاة المغرب وصلاة العشاء .. وراقبت الوالد ذات يوم فلما خرج من البيت بعد صلاة المغرب دقت الباب ففتحت لها الفتاة .!! ورحبت بها وادخلتها عندها.. وعرفت العجوز صاحبة المنزل باسمها وشخصيتها.. وقالت للشابة : إن والدتك - عليها رحمة الله - صديقة لي .. وبيني وبينها صلة وثيقة .. وإن من حق والدتك علي أن أزورك وأن أراك .. وأن أقوم بأي خدمة أستطيع تقديمها إليك..

فشكرتها الفتاة .. وبالغت في الشكر .!! وقالت إنها تعيش مع والدها وحدة وفي عزلة عن الناس تامة ..فلا تعرف أحداً

ولا يعرفها أحد ..وأنها من البيت إلى المزرعة .. ومن المزرعة إلى البيت .. ولا فرصة عندها للاجتماع بلداتها .. أو القيام بزيارات لبعض العلائلات .. ولذلك فإنها تسير في حياتها على وتيرة واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل ..

فقالت لها العجوز : -إنني سوف آتي إليك ليلياً بعد صلاة المغرب لأسليك، ولأقص عليك بعض الأقاصيص الطريفة .. وسوف أعرف والدك بي فهو لا بد يعرفني .. وبعد صلاة العشاء جاء الوالد فأخبرته ابنته أن لديها عجوزاً اسمها فلانة .. وهي تريد أن تسلم عليه وتعرفه بنفسها..

فسلم الوالد على العجوز ورحب بها.. فردت التحية بأحسن منها .. وقالت للوالد إن لي صداقة مع والدة ابنتك - عليها رحمة الله - وقد رأيت أنها فرصة طيبة لزياراتها والقيام بمؤانستها .. وتسليتها ما بين وقت وآخر.!! فرحب الوالد بالفكرة وشكرها على شعورها الطيب نحوابنته .. ثم استأذنت العجوز وخرجت على أن تعود في الليلة القادمة ..

وهكذا جعلت العجوز تتردد على هذه الفتاة حتى ألفتها وصارت لا تسميها إلا أمي .. وكان الشاب في هذه الأثناء يسأل العجوز عن خطواتها .. في الموضوع بالحاح فتخبره بما عملت .. خطوة خطوة .! تقص عليه ما يجري بينها وبين الفتاة من حكايات .. ومناقشات .. فيزداد غرامة ويشتد هيامه .. ويستحثها على اختصار الطريق للاسراع بحصول النتيجة .!!

فتقول له العجوز إن الأشياء مرهونة بأوقاتها .. وإننا إذا استعجلنا فربما انكشف أمرنا وأمر الفتاة .. فنتعرض وتتعرض الفتاة لما لا تحمد عقباه.. فالمجتمع لا يرحم .. وإذا سقط فيه الساقط لم تقم له قائمة إلى الأبد..

اقتنع الشاب وترك الأمر للعجوز تخطط وتنفذ وتعمل ما ترى فيه سلامة الجميع .!!

استمرت العجوز على طريقتها في اتيان الفتاة في مواعيد معينة .. في يوم من الأيام قالت العجوز لوالد الفتاة .. ان ابنتك الآن كأنها ابنتي . وأنا أشفق عليها وأغار.. كما تشفق أنت عليها وتغار.. فاسمح لها بأن تذهب معي إلى بيتي لنغير المكان.. ولنجدد الهواء .. فقال الوالد . الرأي لكما فإذا وافقت ابنتي فاذهبا بعد المغرب.. وأنا أمر عليكما بعد العشاء لآخذ ابنتي..

كانت العجوز قد اقنعت الفتاة بالذهاب معها فاظهرت الموافقة أمام والدها.. فقال: إذا اذهبا .. وذهبت العجوز والشابة وأرتها بيتها ودارت بها في جيمع غرفة ثم أكرمتها وحرصت على راحتها.. ولما حان وقت مجيء الوالد كانت الفتاة قد أعدت نفسها للذهاب معه وجاء إليها في الموعد المحدد فذهبت معه..

سر الوالد بهذه العلاقة المفيدة.. التي أعطت ابنته شيئاً من التسلية والتغيير في أسلوب حياتها الرتيب..! كما أن هذه العلاقة أتاحت للوالد فرصاً كثيرة للاختلاط بالناس. والاندماج

معهم . وقضاء بعض الوقت مع أصحابه .. وبقيت الحال هكذا فترة من الزمن .. مرة تبقى العجوز في البيت مع الفتاة ومرة تأخذها معها إلى بيتها .. والفتاة لا ترى إلا ما يسرها ويرضيها.. من الإكرام والصيانة والتسلية .. وجاء الوالد يوماً بعد العشاء ليأخذ ابنته كما هي عادته . فقالت له العجوز إنها نائمة ... فقال أيقظيها.

فقالت العجوز إنه يصعب علي أن أوقظها .. فالبنت تعبة ونائمة وليس عليها أي خطر من نومها عندي.. فإذا جاء الصبح فتعال وخذها.. فخجل الوالد ولم يستطع أن يلح على العجوز أكثر مما ألح .. ومضى وترك ابنته تنام عند العجوز.. وجاء الوالد في الصباح وأخذ ابنته .. وسألها عن نومها . وراحتها .!! فقالت إنها بانت نومة مريحة وقامت وهي نشيطة.. ففرح الوالد وسر بذلك سروراً عظيماً .. وصارت الشابة تنام معظم الليالي عند هذه العجوز ..

هنا لاحت الفرصة للشاب.. فجاءت به العجوز وأعطته التعليمات اللازمة .. فجعل يقرب منها إذا استغرقت في النوم.. فإذا أحس بأنها شعرت به ابتعد عنها وتكرر هذا منها ومنه..

وضاقت الفتاة بهذه الحالة المزعجة..وصاحت ذات مرة يا أمي فقد كانت تسمى العجوز أمها .. فقالت مالك يا فاطمة فقالت إن شيئاً يزعجني ولا يتركني أنام فقالت العجوز إنه الفأر وأنا سوف أطرده عنك .. ورددت هذه الكلمات : «انحش يا

فار عن بنت الجار، انحش يا فار عن بنت الجار ..» فإذا قالت هذه الكلمات ابتعد الشاب عنها إذا هدأت ونامت عاودها حتى تعبته الفتاة ونامت نوماً عميقاً.. عمل فيها الشاب كلما أراد..

استمرت الحالة على هذا المنوال.. لا الشابة تدري بما يجري في الليل .. ولا الوالد يعرف شيئاً عما يحدث.. وعندما قضى الشاب وطره أرادت العجوز أن تجعل حداً لصداقتها مع فاطمة ..ووالد فاطمة .. فتظاهرت بأن لها بنتاً متزوجة سوف تضع قريباً .. وإنها ستسافر إليها في قرية سمتها لهم..

فانقطعت العجوز بهذه الحجة عن الاتصال بفاطمة .. بأي شكل من الأشكال فقد انهى الوطر منها.!!.

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!



سَـــالفة:

٢٥- الأصيقع والأبيقع

«هذه السالفة رويتها عن الصديق الاستاذ الكبير
الشيخ حمد الجاسر وكتبتها بأسلوبي الخاص كما تراها»

قالت الجدة للأطفال بعد أن اجتمعوا عندها .. إنني هذه الليلة سوف اختار لكم سالفة الأصيقع والأبيقع .. فعارضها أحدهم واقترح عليها سبحونة ثانية قد سمعها الأطفال وسمعها هو أيضاً معهم .. فارتفعت أصوات الصبية كلهم بتأييد رأى الجدة .. وقبلو ما تختاره.. فسكت الطفل المقترح .. وحيث تغلبت عليه الأكثرية .. وشرعت الجدة في السالفة قائلة :-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. وإلى هنا هاك الرجال الذي توفي أبوه وتوفيت أمه. وبقي وحيداً في هذه الدنيا ما عدا بعض الأصدقاء الذين تربطه بهم علاقة حب وتفاهم ووئام .. وأراد هذا الرجل أن يتتزوج لعل الوحشة والهدوء المخيف الذي يخيم على منزله أن يزول ويتبدد بوجود

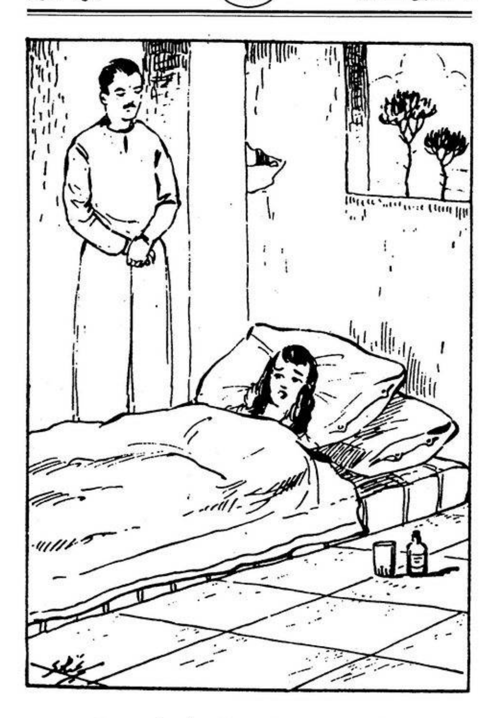
امرأة فيها .. تنظفه وتنظمه وتبعث فيه الروح والحركة .!!

وشرع الرجل في البحث عن زوجة . وبعد البحث والتحري؛ وصفت له امرأة بالحسن والجمال والعقل والكمال.. فوقع اختياره عليها .. ولكنه يجب أن يأخذ عنها معلومات أكثر وأن يراها ولو بعيني غيره .. فذهب إلى أحد أصدقائه .. وأخبره بعزمه على الزواج ووقوع اختياره على ابنة فلان ..

شجعه هذا الصديق على عزمه .. وتمنى له التوفيق . وقال الصديق الساعي إلى الزواج لصديقه إنني أحب أن أعرف شيئاً عن جمالها وأخلاقها.. وأريد منك أن تبعث زوجتك لتراه وتخبرك عنه .. وأنت بدورك تخبرني ..

لبي الصديق هذا الطلب .. وأرسل زوجته إلى تلك العائلة.. وعادت بالإخبار ووصفت ما شاهدت من أحوال تلك المرأة التي سوف تخطب .. ونقل الزوج بدوره إلى صديقه ما قالته له زوجته .. فاقتنع الصديق بتلك المعلومات ورأى أن فيها كلما يتطلبه ويريده من رفيقة الحياة .!!

وتوجه حالاً إلى والد الفتاة خاطباً .. فقوبل طلبه بالترحات والقبول .. وجرت مراسيم الزواج كالمعتاد تم كل شيء على ما يرام .. ووجد الزوج في زوجته كلما يريد .. فأحبها .. وسعد بالعيش بجانبها .. وامتلأ البيت حركة وحياة وسعادة .. الأمر الذي جعل هذا الزوج لا يترك المنزل.. وكان للزوجة صاحب قديم عزز هذا الزواج من حبها له وتعلقها به.. لأنها لا تحب زوجها.. لماذا.؟! أنها لا تدري .. أنه شيء تحس



الزوجة تتظاهر بالمرض للتحايل على زوجها
ليسافر فيخلوها الجو بحبيبها

به ولكنها لا تستطيع أن تعبر عنه ولا أن توضح لنفسها كنهه وحقيقته..

هذا في الوقت الذي يحبها فيه الزوج ويتفاني في هذا الحب.. ويبذل في سبيل راحة زوجته وارضائها كلما يستطيع.. ولكما تطلبه وتريده .!! ولعل الشيء الوحيد الذي قد يعزى إليه هذا النفور من قبل الزوجة.. هو تفاوت السن بينهما فالزوج قد شارف على الكهولة .. بينما الزوجة لا تزال في طراوة الصبي وربعان الشباب..

لم يكن في تلك الأزمان خيار للزوجة في اختيار زوجها أو حتى أخذ فكرة عنه ..فالزوج الذي يرضاه أهلها هو زوجها.. ورضى الأهل بالزوج قد لا ينظر فيه إلى مصلحة الزوجة .. وإنما قد ينظر فيه إلى اعتبارات أخرى.. من مال أو جاه أو أية عواطف ذاتية .. ولم يظهر من تصرفات الزوجة ولا علاقتها بزوجها أية إشارة تدل على الكراهية والنفور .. بل كانت تضغط على نفسها وتحاول أن تبادله عواطف الحب بمثلها .. وأن تظهر له بمظهر السعيد الراضي بمواقعة..

وضاقت الزوجة بملازمة هذا الزوج الذي لا انسجام بينها وبينه .. ولا حب متبادل يسود علاقتهما .. وإنما هو حب من جانب واحد هو الزوج ..وأرادت الزوجة أن تبعد هذا الزوج عنها بأي طريقة من الطرق ليخلو لها الجو.. وليكون الاتصال بينها وبين من تحب .. وفكرت في الأمر مليا .. ووجدت الحل أنه أن تتظاهر بالمرض .. وأن تدعي أن الدواء

الشافي لمرضها لا يوجد إلا عند طبيب في بلاد ثانية .. ولن يتواني الزوج في تلبية هذا الطلب .. والسفر إلى تلك البلاد..

شرعت المحبوبة غير المحبة في نسج الا عبيها .. وادعت المرض ولزمت الفرش .. وجعلت تتظاهر بأنها تتعاطى بعض الأدوية.. وكان زوجها إذا دخل البيت . لزمت الفراش وواصلت الشكوى والأنين.. فإذا خرج قامت من فراشها ودبرت أمورها الخاصة بها .. وعملت كلما تريد عمله . فإذا احست بقرب مجيء زوجها عادت إلى الفراش كأنها لم تقم منه.. منذ أن تركها زوجها..

استمرت على هذه الحالة فترة طويلة .. والزوج يغدو ويروح ويلبي طلبات الزوجة ورغباتها.. في احضار بعض العقاقير والبهارات لاستعمالها لمكافحة المرض.. ولكن المرض لم يخف بل زاد.. وعملت الزوجة الماكرة أقراصاً رقيقة من الحنطة.. وجففتها ثم وضعتها فوق ظهرها وبين جنبيها وسترتها بالملابس ، بحيث لا ترى..

فإذا قرب منها زوجها انقلبت على جنبها الأيمن فتحدث تلك الأقارص الجافة فرقعة ..ثم تنقلب على جنبها الأيسر فيحدث نفس الشيء .. فتئن تتلوى وتتظاهر بالتألم وتجأر بالشكوى .. فضاق الزوج ذرعا بهذه الحالة .. وتمنى لزوجته الشفاء.! وأظهر لها عواطف الحب والوفاء..

وقالت الزوجة لزوجها عندما أظهر حبه وعطفه عليها لقد وصف لي طبيب في البلد الفلاني ..ولديه دواء مفيد لمثل

المرض الذي أشكو منه.. فما رأي زوجي العزيز .؟!

فأظهر الزوج استعداده الكامل لبذل الغالي والرخيص في سبيل شفاء زوجته .. ووعدها بأنه سوف يعد العدة ، ويشد الرحل إلى ذلك البلد.. ويلقى الطبيب ويصف له ما تشكوه زوجته ويشتري منه الدواء بأي ثمن..

فشكرت الزوجة زوجها على وفائه لها وتجشم الشماق في سبيل شفائها .. وتمنت له سفراً سعيداً وعوداً حميداً ..

بدأ الزوج في إعداد العدة للسفر إلى تلك البلاد النائية .. وحمل هماً كبيراً لهذا السفر ، لأنه لم يتعود على الاسفار ولا خبرة لديه بالأقطار .. فذهب إلى صديق له.. وليستشيره في الأمر.. وفكر في أي أصدقائه الذي يمكن أن يمده بالرأي الصواب..

وهداه تفكيره إلى واحد مهم فذهب إليه .. وشرح له وضعه مع زوجته وما أصابها من المرض .. وما طلبته من دواء لعلاج هذا المرض ..وقال في جملة ما قال لصديقه : إنني قليل التجارب في الأسفار .. وأخشى من أخطارها ومفاجآتها بما لا أهواه.. وأنا أريد رأيك في كيفية السفر.. ومن أي طريق .. وعلى أية دابة .. وهل أجد رفقة في سفري؟!

فكر هذا الصديق ملياً .. ثم قال لصديقه :- إن هناك حجاً أقرب من سفر .. فأنت لست في حاجة إلى السفر.. وزوجتك غير مريضة .. بل هي متامرضة.. وتمارضها له سر.. وسره أنها قد تكون لا تحبك ..وقد يكون لها عشيق أو حبيب تريد أن تبعدك في السفر ليخلو لها الجو للاجتماع

بحبيبها.. فتغيرت ملامح الزوج.!. وتعكر مزاجه .. وقال لصديقه ان زوجتي تحبني وتبادلني جميع عواطف الحب والسعادة .. ولا أتصور أبداً أن يكون لها عشيق تفضله علي .. وتسعى في إبعادي من أجله .!!

فقال الصديق المستشار أن حدسي لم يخني في مرة من المرات .. وحدسي هذه المرة هو شبه يقين ..إن الأمر كما ذكرت لك .. ولكن لماذا نذهب مع الظنون ونبني أمرونا على تقديرات وتخمينات قد لا نطمئن لسلامتها .؟! إن علينا أن نرسم طريقاً نكتشف به الحقيقة .. ونعرف بواسطته جلية الأمر..

فقال الزوج التي واثق من وفاء زوجتي وحبها لي.. ومع ذلك فإنه إذاً قيل لك إن رأسك ليس على جسمك رحت تتحسسه .. وما علينا الآن إلا أن نعمل معاً ما يثبت لنا حقيقة ما قلت .. أو عدم ثبوته..

عليك أن ترسم لنا الطريق .. وعلي أنا أن أنفذ ما يرسم.. فقال الصديق المستشار إنني أراك مصراً على نظافة زوجتك .. ومطمئناً إلى إخلاصها .. ولهذا فإنني لن أرسم لك الطريق ولن أسير معك إلى نهاية الطريق إلا برهن.!!

فقال الزوج وما هو الرهن.؟!

قال المستشار الرهن هوأن أدفع لك هذا الحمار فتذهب به إلى زوجتك وتقول لها لقد اشتريت هذا الحمار لأسافر عليه ثم تعد عدتك .. وتتظاهر بأنك مسافر .. ثم تأتي إلى بيتي وتحل

ضيفاً علي لأرسم لك بقية الخطة .. فإذا ثبت أن زوجتك نظيفة الساحة يكون الحمار لك.. وإلا فإن عليك ان تعيد الحمار .. وأن تدفع لي مائة دينار.!!

فوافق الزوج.. وذهب إلى بيته وأظهر لزوجته أنه اشترى ذلك الحمار .. وحمل معدات السفر فوق ظهره .. ثم ودع زوجته وداعاً حاراً .. وتركها وحيدة في البيت..

وحل الزوج ضيفاً على صديقه .. ومكث عنده في الليلة الأولى وفي الليلة الثانية أخذه صديقه بيده ..وذهب به إلى بيته.. وعندما قربا من الباب قال للزوج : - اختف في زاوية قريبة حتى تسمع ما أقول وما يقال لي .! فاختفى الزوج في منعطف قريب من الباب. بحيث يسمع كل ما يقال ولا يرى..ودق صديق الزوج الباب فقالت الزوجة من الطارق .؟! فقال الصديق أنا فلان .. أين زوجك يا مليحة .. فقالت الزوجة «راح يدور دادوية أن أقفى تقرصه داب وإن رجع تقرصه حية».!!

وسمع الزوج هذا الكلام المسجوع الذي وقع على سمعه وقوع الصواعق وملأه غيضاً وغضباً .. إن في كلمات زوجته نغمة تفيض بالكراهية والحقد، ما كان يعرفها .. وفيها انقلاب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .. ما كان يدرك أسبابه.. إنه لم يسيء إلى زوجته قط ..ولم يرفض لها طلباً في أي ظرف من الظروف .. فما هو الداعي إذاً إلى هذا الحقد الأسود الذي هدفه التدمير والتحطيم .؟!

إن الزوج لا يعرف سبباً واحداً يدعو إلى هذا الإتجاه الخطير في نوايا زوجته تجاهه .. واندفع الزوج يريد أن يدخل بيته ليفتك بهذه الزوجة الغادرة .. ويفتك بمن يجده لديها .. ولكن صديقه أخذه بيده وقال تمهل أن الأمر يحتاج إلى ترو وتفكير وتقدير لجميع الاحتمالات .!! فتعال نعود إلى بيتي لنبحث الأمر على مختلف وجوهه.. ولنختار الطريق الصواب للخروج من هذا المأزق بسلام..

فذهب الصديقان وأويا إلى المنزل وبحثا في الأمر ورأيا أن أسلم طريق وأضمنه للنجاح .. أن يتركا مراقباً حول بيت الزوج.. فإذا جاء عشيق زوجته ودخل البيت .. بدأت الخطة بأن يأتي الزوج على حماره وكأنه عاد من سفره لأمر طاريء .. ثم ينفذ الزوج بقية الخطة التي اتفق الصديقان عليها ..

وهكذا وقع .. فعندما جاء الرقيب وأخبر الصديقان بدخول العشيق حمل الزوج عدته على حماره وتوجه إلى بيته .. ودق الباب فكلمته زوجته من وراء الباب .. وقالت من الطارق قال أنا زوجك .. فقالت زوجي العزيز .!! ورفعت بذلك صوتها وأشارت إلى عشيقها بأن يختفي..

جاءت الزوجة إلى الباب متثاقلة متظاهرة بالمرض.!. وفتحت الباب ودخل الزوج .. فعانقته زوجته وهي تتظاهر بالمرض وترسل بعض الأنات الخفيفة التي تتظاهر بها أنها تكتم آلامها في نفسها مراعات لشعور زوجها .. ولكن زوجها قد اكتشف كل شيء .. فلم تعد تنطلي عليه تلك المظاهر الماكرة

الخادعة .!! وسألت الزوجة زوجها في قلق .. عن أسباب هذا الرجوع المبكر..

فقال الزوج إنني نسيت شيئاً هاماً يلزمني في رحلتي .. ووضع الأحمال عن الحمار في الوقت الذي ذهبت زوجته تجر قديمها ورمت نفسها على الفراش مواصلة أنينها .. وتظاهرها بالآلام المتواصلة فتجاهلها زوجها كل التجاهل وجعل يبحث في زوايا البيت كأنه يبحث عن حاجة من حاجات سفره .. وبينما كان يبحث في إحدى الحجر عثر على العشيق مختفياً وراء كومة من الحطب فقبض عليه وشد وثاقة..

ثم قاده حتى أوقفه أمام زوجته .. التي بهتت ولم تستطع حراكاً .. وانعقد لسانها فلم تستطع كلاماً .. فركلها الزوج برجله وأقامها من فراشها وأوثقها بالحبال أيضاً .. ثم وقف أمام العشيقين الخائنين وقال لهما في لهجة جادة وحازمة : اختار ا القتلة التي تريدان أن أنهى بها حياتكما الملطخة بالغدر والخيانة..

ثم تابع الزوج كلامه قائلاً هل تريدان أن أدفنكما في الأرض أحياء .. أم تريدان أن أقطعكما إرباً إرباً .!! أم أن أضربكما بالعصى الغليظة حتى تفارقا الحياة .. اختارا واحدة من هذه الثلاثة !!. فسكت العشيقان ولم يحيرا جواباً .. فحثهما الزوج على الكلام .. وطلب منهما الاختيار .. فقال العشيق إنه لا خيار فيها.. فكلها مخيفة وقاسية .. أما الزوجة فقد ماتت في جلدها ولم تستطع أن تنبس ببنت شفة !!.

فأخذ الزوج جملة من العصى الغليظة .. وقال يظهر انكما قد وكلتما إلى اختيار واحدة من الخلال الثلاث التي عرضتها عليكما .. وإنني أختار إماتتكما ضرباً بالعصي الغليظة.. وركل العشيق برجله حتى ألقاه على الأرض .. وشرع في ضربه أمام الزوجة الغادرة .. حتى ملأ جسده جراحاً .. ثم سحبه وألقاه في جانب من جوانب المنزل !!.

أما الزوجة فقد وقف أمامها .. وهي موثقة بالحبال وقال لها: أما أنت أيتها الماكرة .. فإنني أترفع عن ضربك وأترك أمر القصاص منك للأقدار .. ولتأنيب ضميرك إذا كان لديك بقية من ضمير .. فابقي هكذا في قيودك .. وليبقى عشيقك في قيوده .. حتى يأتي الليل .. لأرى فيكما رأيي الأخير..

عندما جاء الليل .. فك الزوج إسار العشيق ودفع به إلى الشارع !. فقام متحاملاً على نفسه يجر قدميه جراً متجها إلى منزله .. وهو فرح بهذه النتيجة على ما فيها من قسوة ومرارة.. لأنه كان قد أيقن بالهلاك .. أما الزوجة فقد قال لها زوجها بعد أن فك اسارها خذي من هذا البيت ما تشائين .. ثم ارحلي عنه حالاً .. وتظاهري أمام أهلك بأنني مسافر .. وأنك كرهت أن تبقي في بيتي وحيدة !!.

وهكذا كان فقد أخذت الزوجة من بيت زوجها كلما تريده مما يخف حمله ثم خرجت من البيت .. فأقفله صاحبه .. وذهب إلى صديقه الذي اكتشف هذه الخيانة .. فاستقبله صديقه هاشاً باشاً ... ومنشداً النشيد التالي:

«يا لصيقع يا لبيقع يا منيتيف اللحية .. الذهب صبه بردني والجحش رده عليه !!..».

ومعنى السيد أن هذا الصديق قد كسب الرهان .. وأن على هذا الزوج الطيب القلب أن يدفع الرهان لصديقه فيعطيه المال المتفق عليه ويرد عليه الجحش الذي أخذه منه...

وفي الزوج بكلمته أمام صديقه.. وأعطاه ما اتفقا عليه.. وشد الرحال في جولة في بعض البلدان مبتعداً عن بلده التي صدم فيها صدمة عنيفة .. في كيانه العائلي حتى تحطم هذا الكيان وتبددت أشلاءه!...

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دمت!!.



سبحونة:

٢٦- الأمير المشرّد.!

«هذه السبحونة رويت أصلها عن الصديق الأستاذ
إبراهيم بن عبدالله بن عمار وقد صغتها بأسلوبي الخاص
واثبتها كما تراها هنا»

اجتمع الأطفال حول جدتهم .. كعادتهم.. وكان الفصل شتاء .. والجو ماطراً .. فالتف كل واحد من الأطفال بأسماله.. والتفت الجدة بأسمالها .. وطلب منها أحد الأطفال أن تسبحن عليهم سبحونة الأمير المشرد فقالت الجدة حباً وكرامة:-

هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي .. وإلى هنا هاك الأمير الذي ورث الإمارة عن أبيه وجده .. وكان هذا الأمير سعيداً بإمارة .. وعادلاً في رعيته . ومحبوباً من بعض أقاربه .. ومحسوداً من بعضهم الآخر..

عاش هذا الأمير فترة من الزمن آمناً مطمئناً محبوباً .. وفي ليلة من الليالي الحالكة .. هجم على قصره أولاد عمه...

ومعهم أنصارهم .. ومعهم من أستطاعوا أن يستجروه من أفراد الشعب بالأغراء والطمع والمكاسب .. وكان هذا الأمير ذكياً حذراً .. عارفاً أنه محسود على مركزه .. وأنه مغبوط بما هو فيه من نعمة وجاه وثروة .. ولهذا فهو لا يأمن تقلبات الزمن في أي لحظة من لحظات حياته..

لهذا فعندما هجم عليه أبناء عمه .. لم يكن في استطاعته أن يقاومهم لأنهم جاؤوه على غرة .. وهو مجرد من الأنصار والأعوان .. بينما هم مستعدون لهذه الفرصة استعداداً كاملاً!!..

فرأى أن أفضل طريقة في هذا الظرف العصيب أن ينجو بنفسه .. وإذا سلم العود فالحال تعود كما يقولون في الأمثال.. أما منازلة أبناء عمه والوقوف أمامهم وجهاً لوجه مع عدم تعادل القوى فإنه يعتبر عملية انتحارية .. لا يقدم عليها إلا اليائس.. بينما هو شاب في مقتبل العمر وله في هذه الدنيا آمال طوال.. وإذا انتصروا عليه في هذا الظرف بالذات فقد تأتي ظروف أخرى مواتية يستعيد فيها ما أخذ منه !!..

أخذ قوسه وسهامه ثم خرج من باب خلفي مهجور .. وتوجه إلى الصحراء .. وهام في فيافيها .. لا يدري أين يتجه.. ولا ماذا يعمل ؟! .. لأن هول الصدمة أفقده رأيه .. وحطم آماله .. وجعل الدنيا في نظره غادرة فاجرة لا تدوم على حال .. ولا يأمن تقلباتها .. إلا الأغرار الجهال ..!!

بقي هذا الأمير يهيم في الصحراء .. ويصيد من صيدها ويأكل من أعشابها.. وينتقل فيها من مكان إلى مكان وفي ذات



الجمل يطير بالأمير المشرد ومعه شريكه الشيخ ... متوجهاً بهما
إلى بغداد .. بحثاً عن الرزق .. والكسب ..!

يوم فوجيء بمنظر عجيب لم ير مثله طيلة أيام حياته !. فقد رأى ذئباً يطارد غزالاً.. ويريد أن يصطاده ليأكله .. وشاهد الذئب يعدو بسرعة والغزال هارب منه بسرعة أيضاً !!. ولكن الذئب يدنو من الغزال شيئاً فشيئاً فقد أنهكه الجري .. وحطم قواة الخوف..

كاد الغزال أن يتوقف عن الهرب .. وأن يستسلم ولكن هذا الأمير وضع سهما في قوسه ثم سدد هذا السهم إلى الذئب فأطلقه عليه .. فأرداه قتيلاً .. وسقط على الأرض مضرجاً بدمائه .. وعندما توقفت المطاردة .. توقف الغزال فرأى عدوه الذئب يتخبط في دمائه.. ونظر فيما حوله فرأى هذا الأمير الشهم الذي أنقذ حياته .. بعد أن كانت على حافة الهاوية..

نظر الغزال إلى هذا الأمير نظرة شكر وامتنان وتقدير .. ثم ذهب في حال سبيله ..

ولم يحاول أن يزعج هذا الغزال بأكثر مما أزعجه هذا الذئب.. بل تركه يذهب إلى حيث يشاء .. والصيد كثير .. وأبواب الرزق متعددة ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها..

وبقي هذا الأمير في هذه الصحراء .. لا يدري ماذا يصنع.. فقدالتبست عليه الأمور كما قلنا .. فلا يدري أين يتجه .. ولا ماذا يعمل ..!؟

وفي أثناء حيرته هذه لم يشعر في يوم من الأيام إلا بشيخ وقور يقبل عليه .. ويلقي عليه التحية ثم يسأله عن نفسه من هو فيخبره . ويعلم هذا الشيخ أن هذا الأمير يعيش في دوامة

من الحيرة لا يدري كيف يخرج منها ..فقال الشيخ لهذا الأمير : لماذا أنت باق في هذه الصحراء القاحلة؟!

فأجاب الأمير بأنه يعيش في حيرة من أمره.. فقد فقد كل شيء كان يملكه .. وشرده أبناء عمه عن وطنه .. ولهذا فهو يعيش من غير هدف..بل في ضياع وشكوك وأوهام لا أول لها ولا آخر !!..

فقال له هذا الشيخ إن لدي اقتراحاً :-

فقال الأمير وما هو:-

فقال الشيخ أن نعقد شراكة فيما بيننا .. علي في هذه الشركة راس المال.. وعلي رسم الخطة التي تعود علينا بالربح وعليك أنت كشاب.. السعي والعمل والتنفيذ!! . فأجاب الأمير بأنه موافق على هذا لاقتراح..

وقال الشيخ ولدي شرط واحد..!!

فقال الأمير وما هو:-

فقال الشيخ : هو أن لا تعصيني في أي أمر أرى فيه المصلحة .. لأن الإختلاف هو مصدر كل شر .. وهو مفرق كل جماعة ..

فقال الأمير المشرد: إنني أقبل هذا الشرط وأعدك بأنني سأحرص على الوفاء به..

وعندئذ قال الشيخ للأمير انتظرني هنا لحظات لأحضر الراحلة التي سوف تحملنا إلى بغداد..

بقي الشاب في مكانه .. وبعد دقائق معدودة .. جاء هذا الشيخ .. ومعه راحلة جميلة المنظر . . عليها الشداد

والخرج.. ويعطي جوانبها أنواع من الزينة التي توضع عادة على مثل هذه الراحلة!!.

جاء الشيخ بهذه الراحلة حتى أناخها بقرب الأمير .. وقال له اركب على الشداد في المقدمة .. فقال الأمير معاذ الله بل المقدمة لك يا سيدي .. فأنت أكبر سناً وأحق بالتقديم .. فقال الشيخ ألم أقل لك لا تعارضني في أي تدبير أدبره..

وهنا تذكر الشاب الأمير شرط الشيخ فركب في المقدمة مكرها .. وركب الشيخ خلفه ..

حرك الشيخ رجله فتحركت الراحلة وسارت ..

وجعلت تسير بهما في الصحراء سيراً عادياً ..ثم أخرج الشيخ قصبة من إحدى الحقائب فغرزها في أحد جنبي الراحلة.. ثم أخرج قصبة ثانية فغرزها في الجانب الآخر .. فانقلب هاتان القصبتان إلى جناحين رفعا الراحلة قليلاً قليلاً عن الأرض حتى حلقت بهما في الجو...

دهش الأمير وأراد أن يتكلم وأن يسال عن كثير من الأسرار المغلقة .. ولكنه تذكر شرط الشيخ .. وهو أن لا يسأل عن بعض الأسرار ولا يعترض على شيء من الأوامر والتدابير .! فسكت مكرهاً !!. والمهم أنهما بعد فترة وجيزة من الزمن لم يشعرا إلا بالراحلة تحط بهما في ضاحية من ضواحي بغداد .. ومشت بهما مشياً عادياً .. ولكنها لفتت الأنظار بما عليها من الدل والزينة .. ومشت بهما في شوارع بغداد والفرحة تغمر قلبيهما .. وكأنها فاتحان .. منتصران في معركة حول المدينة.. استولوا بعدها على تلك المدينة ..

استمرت الراحلة تسير بهما في شوارع بغداد والناس ينظرون إليها في إعجاب ظاهر...

ومرت الراحلة بقصر عظيم مهجور .. فأناخوا الراحلة بجواره .. ونزل الشيخ .. وسأل صاحب حانوت بالقرب من هذا القصر.. وقال له :

لمن هذا القصر؟ .. وهل يمكن أن نستأجره؟!. فقال صاحب الحانوت أن القصر خال ومهجور وهو ملك لقوم ورثوه عن آبائهم.. ولكنهم كلما أجروه على قوم ماتوا.. وتعدد المستأجرون وكانت النتيجة واحدة .. هي أن كل من يسكن هذا البيت يموت !!.

ولذلك بقى هذا القصر بلا ساكن..

فقال الشيخ إننا نريد نستأجره ونسكنه .. مهما كان فيه من أخطار؟!. فقال صاحب الحانوت ان أهله سوف يؤجرونه بأبخس أجر وعلي أن أكون الواسطة ..

وأغلق صاحب الحانوت حانوته.. وذهب إلى أصحاب القصر .. واستأجره منهم بأجر زهيد.. وقال الشيخ للأمير إننا سوف نستأجر هذا القصر !!..

فقال الأمير .. إنه سوف يكون غالياً .. ثم إنه من ناحية ثانية فوق حاجتنا .. وأكبر من أن نشغله..

فقال الشيخ ألم أقل لك أن لا تعترض على أي تصرف من تصرفاتي !!.. فسكت الأمير ولم يقل شيئاً .. وفي هذه الأثناء كان صاحب الحانوت قد جاء بمفاتيح هذا القصر .. وجاء بعقد الإيجار زهيداً.. وقد وقع العقد من المؤجر .. فوقعه بدوره

المستأجر.. ودخلوا القصر وأناخوا الراحلة في حديقته إلى أن جاء الليل ثم أطلقوا لها العنان فذهبت إلى حيث لا يدري الأمير.. أما الشيخ فإنه يدري أين ذهبت وفي استطاعته إحضارها في أي وقت شاء..

استقر الشيخ والأمير في القصر وقال الشيخ إنني سوف أعطيك تعليمات وأريد منك أن تنفذها بدقة تامة.. وأن لا تخرج عنها قيد أنملة !! لأن الخروج عن أية واحدة منها فيه خطورة شديدة على حياتنا وقد يسبب فشل الخطة التي رسمناها..

فقال الشاب الأمير إنني سوف أصغي إليك .. وأنفذ كل ما تقوله بدقة تامة..

فقال الشيخ إنني أريد منك أن تقول لكل من سألك عن نفسك إنك أمير من أمراء الجزيرة .. وأريد منك شيئاً ثانياً وهو أن لا تشرب ماء هذا القصر ولا قطرة واحدة .. وحتى اشعار آخر.. وكلما احتجت إلى الشراب فاخرج من البيت إلى أي مكان واشرب منه ثم عد إلى القصر .. فوعده الشاب الأمير بتنفيذ جميع هذه التعليمات.

نظف البيت وأضيئت فيه الأنوار.. وكثر فيه الداخل والخارج.. وملئت جميع الأواني بعد تنظيفها بالماء العذب.. وجاء الليل فخرجت حية عظيمة .. من أين خرجت لا أحد يدري .. وجعلت هذه الحية تطوف على الأواني وتشرب من كل واحد منها ثم تقذف فيه ما شربت!! بعد أن يكون تلوث بسمها الذعاف !! ثم تركت الأواني بما فيها من السم الذي

صار يتفاعل مع الماء .. ويشتد مفعولة كلما مر عليه الزمن ..

وجاءت الليلة الثانية .. والأواني مملوءة بالماء .. فجاءت الحية .. وظنت أن الماء الأول قد شرب وأن هذا ماء جديد.. فجعلت تشرب من كل إناء ثم تقذف ما شربت منه إلى الإناء.. وتسممت الحية من سمها الذي تفاعل مع الماء في الفترة الماضية .. وتضاعف مفعولة .. وماتت الحية قتيلة لسمها الذي طالما قضت به على أناس كثيرين..

وجاء الشيخ فوجد الحية العظيمة ملقاة على الأرض فاقدة للحياة .. فدعى الشيخ أميره الشاب وأراه الحية .. وقال له أن هذه الحية هي سبب موت من يسكن في هذا القصر.. لأنها تعمل كيت وكيت .!! وقد قتلها سمها الآن .. وما علينا إلا أن ننظف الأواني .. ونضع فيها الماء.. ثم نشرب منه ونستعمله لجميع شئوننا بلا خوف ولا وجل..

نظفت الأواني تنظيفاً كاملاً وملئت بالماء وزوال الخطر وقال الشيخ للأمير إشرب الآن من الأواني ولا تخش أي ضرر.. ثم صار الشيخ والأمير يطوفون بغرف القصر .. ويتعجبان من جودة بنائه وحسن تصميمه..

ولما انتهيا من الجولة في أعلا القصر نزلا إلى سراديب تحت الأرض كلها كنوز ومجوهرات .. وأواني ثمنية وتحف نادرة.. وكان في جملة هذه التحف النادرة سبحة.. لا يوجد في العالم منها إلا إثنتان واحدة هي هذه التي بين أيديهما .. والأخرى لا يعلم أحد أين مصيرها.. فأخذاها وأخذا من الذهب وصارا ينفقان بكرم وسخاء نادرين بحيث لفتا إليهما الأنظار.. وصار

قصرهما كعبة للزوار.. وكان كل من سألهما من أين جاءا ومن يكونان يقولان أنهما من أمراء الجزيرة .. جاءا إلى بغداد للسياحة والنزهة..

واشتهر أمرهما في بغداد وبلغت الخليفة أخبار هذين الوافدين الجديدين وسمع عن نبلهما وكرمهما فأرسل إليهما ولده ليزورهما .. وليطمئن على راحتهما .. كان هذا هو هدف الزيارة الظاهر ولكن هناك أهدافاً أخرى باطنة.. هي معرفة هذين الزائرين عن قرب والتحقق من هويتهما .. وأغراضهما.!!

جاء إلى الشيخ وإلى الأمير من يقول لهما إن ولد السلطان سوف يزورهما في الوقت الفلاني ليرحب بهما نيابة عن والده وليطمئن على راحتهما.. ورحب الشيخ والأمير بهذه الزيارة.. ورأيا أنها بادرة طيبة .. ولفتة كريمة من الخليفة . . واستعدوا لاستقبال الزائر الكبير .. وأعدوا كلما يلزم من مظاهر الحفاوة والتكريم.. وكانت السبحة مع الأمير فقال له الشيخ.. إذا جاء ولد الخليفة فصع السبحه بينك وبينه فإنه سوف يأخذ ويبعث بحباتها .. وسوف تعجبه ويسحره جمالها .. فإذا أراد أن يقوم فإنه سوف يعيدها إليك.. ولكن عليك في هذه الحالة أن ترفض قبولها.. وأن تصر على أن يأخذها هدية متواضعة للزائر الكبير..

وهكذا حصل فقد جاء ولد الخليفة.. فاستقبلوه استقبالاً حافلاً وأكرموه غاية الإكرام وآنسوه بأحاديثهم اللطيفة. وأخذ ولد الخليفة السبحة كما توقعوا وصار يعبث بحباتها .. ويقبلها في يده ويفحصها ويمعن فيها النظر.. فعرف أنها سبحة ثمينة نادرة لا يوجد لها نظير!!.

وعندما انتهت مراسيم الاستقبال أعاد ولدالخليفة هذه السبحة ولكن الأمير رفض أن يأخذها..وقال إنها هدية متواضعة أقدمها للزائر الكبير تقديراً لمشاعره الكريمة نحونا .. فقبلها ولد الخليفة شاكراً.

وانصرف من قصرهم . وهو مسرور بهذه الزيارة معجب بهؤلاء المزورين..

وذهب ابن الخليفة إلى والده فحدثه عنهم وعن كرمهم.. وأصالتهم .. ولطف أخلاقهم .. فأعجب بهم الخليفة أيضاً .. ودعاهم إلى حفلة .. خاصة في قصره.. فلبوا الدعوة وسلموا على الخليفة.. وشكروه على عنايته ورعايته لهم وتكررت الزيارات بين الشيخ والأمير من جانب وبين الخليفة وابنه من جانب آخر.. وقويت الصلة فيما بينهم..

وكان للخليفة بنت شابة كلما تزوجها زوج.. توفي بعد فترة قليلة من زواجه.. وظنوا في مبدأ الأمر أن الوفاة صدفة فزوجوها من ثان وثالث ورابع إلى سبعة أزواج.. وكان مصيرهم واحداً.. ونهايتهم متشابهة.. الأمر الذي جعل الرجال يتقاعسون عن خطبتها خوفاً من هذه النتيجة المؤلمة التي تكررت لكل من يتزوج بها.. فبقيت هذه الشابة حزينة كاسفة البال.. فقد انقطع أملها في الزواج بعد أن حدث كما حدث.. ورأت أنها سوف تبقى طيلة حياتها وحيدة لا أنيس لها.!! ولا ذرية!!..

ولكن الخليفة لم يفاجأ في يوم من الأيام إلا بالأمير الشاب يخطب منه ابنته.. فدهشوا ولكنهم قالوا في أنفسهم لعله لا يعلم

بما حل بأزواج هذه الشابة السابقين .. فما عليهم إلا أن يخبروه .. حتى لا يموت على غره..

فأرسل إليه الخليفة رسولاً يخبره بأنهم يرحبون بهذه الخطبة.. ويوافقون على زواجه بابنتهم .. ولكنهم يخشون على حياته.. ولا يرغبون أن تكون نهايته على يد إبنتهم فهو شاب كريم الأخلاق.. كريم المحتد.. وفقدانه خسارة فادحة .. وكان الشيخ قد قال للأمير انهم سوف يقولون لك هذا الكلام فاشكرهم.. وقل لهم إنك تريد الزواج منها وإنك تقبلها .. ولا تصدق أن ما جرى لأزواجها بسببها.. بل هو القضاء والقدر والنهاية المحتومة لكل واحد منهم .. والتي لا مفر منها ولا مهرب !!.

فوافق الخليفة على أن يزوجه ابنته .. وأعدت الاستعدادات لحفلة الزواج وزفت العروس إلى زوجها .. أو زف الزوج إلى عروسه.

كان الشيخ قد أعطى الأمير تعليمات حازمة ومحددة وصريحة .. بأن لا يواقع زوجته عندما يدخل بها إلى اشعار آخر.. وله أن يداعبها .. ويقبلها ويعمل معها كلما يطيب له ما عدا الجماع..

ودخل الأمير على عروسه ..وسرت به وسر بها وسعدت به وسعد بها..

وعندما جاء الصباح نقلوها إلى قصره .. في احتفال ساحر.. وموكب مهيب..

وعندما جاء الليل قال الشيخ للأمير .. أدخل إلى عروسك

وداعبها وهيجها .. فإذا اهتاجت .. فاستدرجها إلى خارج غرفتك .. ودخل الأمير على زوجته فقبلها وداعبها.. حتى أثارها .. وأهاجها.. وعندئذ استدرجها إلى خارج غرفته الخاصة.. فخرج هو إياها.. وإذا بالشيخ في انتظارهما.. وقد أجج ناراً عظيمة يكاد لهبها أن يصل إلى السقف فأخذ الشيخ بنت الخليفة بين يديه .. وأسرع بها نحو هذه النار .. وأهوى بها كأنه يريد أن يقذفها في وسطها ! ! .

وفي هذه اللحظة من الخوف والانفعال والمفاجآت المثيرة.. صرخت الأميرة صرخة ارتد لها البيت وارتج لها جسم الأميرة رجة عظيمة .. خرجت على أثرها قطعة سوداء في حجم الكف من فرجها.. وبعد لحظة من خروج هذه القطعة السوداء تحركت هذه القطعة وحاولت الهرب.. ولكنهم اسرعوا فقتلوها.. وإذا هي عقرب عظيمة كانت تعيش في بطن هذه الشابة الأميرة.. فإذا أهيجت هذه الأميرة .. انحدرت هذه العقرب العظيمة إلى باب الفرج.. فأي جسم غريب يدخل عليها تلدغه.. فيتسمم حالاً ويموت صاحبه.. وهذا هو السر في موت أزواج هذه الشابة الأميرة..

بعد هذا الإجراء الوقائي.. قال الشيخ للأمير : الآن يمكنك أن تعيش مع زوجتك الأميرة عيشة عادية .. كأي زوج مع زوجته .. فقد زال مصدر الخطر!!.

وتعجب الناس من بقاء هذا الأمير على قيد الحياة .!! إنها معجزة حققها هذا الأمير .. بينما لم يستطع أن يحققها سبعة أزواج قبله.. كلهم لاقوا حتفهم !!.

ولم يعرف الناس السر .. بل بقي خافياً لا يعلمه إلا الشيخ والأمير الزوج.. وسر الخليفة بانسجام ابنته مع زوجها الجديد.. وسر أكثر فأكثر بأنه لم يصبه ما أصاب من قبله .. كما سرت الأميرة بهذا الزوج وشريك الحياة الذي بقي بجانبها.. وأزال عنها تلك الحشرة الضارة التي كانت تفرق بينها وبين أزواجها السابقين!!.

والمهم أن الزوجين عاشا سعيدين منسجمين كل الانسجام سعيدين كل السعادة!!.

وطال مقام هذا الأمير الشارد في بغداد فمل جوها ومل هواءها.. ومل ازدحامها .. واشتاق إلى وطنه!.. اشتقا إلى تلك الأراضي الجرداء.. والرمال الصماء .. والشمس المحرقة.. والعواصف الهوجاء.. لقد كره العيش في المدينة .. واشتاق إلى وطنه على ما فيه من قسوة الحياة وشظف العيش!!.

أخبر الشيخ برغبته هذه فلم يمانع .. وقال الشيخ للشاب إذهب إلى الخليفة واستأذنه في الرحيل!.. فذهب الشاب إلى الخليفة واستأذنه في الرحيل .. فقال له الخليفة .. ولماذا ترحل؟!. هل ينقصك شيء من أمور الدنيا .. هل تريد ولاية من ولايات مملكتنا؟!.. هل تريد مركزاً في حكومتنا؟!..

ويضيف الخليفة إلى ما سبق قوله: إنك شاب لك رأي وفي رأيك سداد.. ونحن نحب أن نستفيد من آرائك الصائبة.. وجهودك وإخلاصك!!..

فشكر الأمير المشرد الخليفة على هذا الثناء العاطر والثقة الكاملة..إلا أنه أردف شكره بقوله: - إنني مشتاق إلى أهلي

ووطني..ولن يطول غيابي إن شاء الله عنكم.. بل إن لي عودة إلى كنف عظمتكم .. والأنس بالقرب منكم.. والتمتع بمجالسكم العامرة.. والاستماع إلى أرائكم الصائبة..

ولن أنسى طيلة أيام حياتي هذا الشرف العظيم الذي توجتموني به.. وهو تزويجي بذات العفة والكمال ابنتكم العزيزة..

إنه في نظري شرف لا يعادله شرف.. وإكرام لا يعادله إكرام.. وسوف أبقى أسير فضلكم ومعروفكم ما دمت على قيد الحياة..

فوافق الخليفة على سفر الأمير المشرد على أساس الوعد بالعودة.. وبدأ يستعد للرحيل وأرسل الخليفة إلى ابنته فجاءته وسألها هل ترغب في الرحيل مع زوجها.. أم البقاء في بغداد حتى يزور أهله ثم يعود إليها.. فتلجلجت في الجواب وخجلت من أن تقول إنها ترغب في السفر معه.. ولهذا فقد قالت إن الأمر راجع لله ثم لكم.. فإذا وافق والدي على سفري ورغب زوجي في هذا السفر فلا مانع لدي من ذلك..

فهم الخليفة أن ابنته ترغب في السفر مع زوجها.. فقال لها إنني من جهتي أوافق على سفرك مع زوجك وأرجو أن أراك في وقت قريب وأنت في صحة وسعادة..

وذهبت ابنة الخليفة إلى زوجها فأخبرته بالمحاورة التي جرت بينها وبين والدها .. فقال لها الأمير المشرد:- إنني أريد أن تسافري معي.. فقالت الأميرة وأنا أريد ما تريد فليس لي رأي يخالف رأيك..!! واتفق الزوجان على السفر معاً.. وبدأت لاستعدادات للرحيل.. وتم كل شيء وأعدت قافلة عظيمة

تحمل الذهب والفضة والجواهر والهدايا والتحف الكثيرة التي انهالت على بيت الأمير المشرد من كل جهة وصوب.. كما أخذوا من كنوز القصر الذي يسكنونه الشيء الكثير!!..

ساروا في الصحراء .. ومعهم هذه الثروة العظيمة ومعهم رجال مسلحون يحمون هذه الثروة ويدافعون عنها فيما لو أرادت إحدى العصابات أن تغير عليها .. وأن تسلبها من أهلها..

ساروا في الصحراء عدة أيام ثم قربوا من وطن الأمير المشرد.. وكان الأمير لا يستطيع أن يذهب إلى المدينة التي طرده أبناء عمه منها واستولوا على الحكم فيها بالقوة.. ولهذا فقد قرر أن يسكن في مدينة قريبة منها.. ولكنها ليست تحت سلطة أبناء عمه بل هي مستقلة .. يحكمها أمراء آخرون.

جعل وجهة سير القافلة إلى تلك المدينة التي قرر السكن فيها.. وعندما قربت القافلة من المدينة المقصودة .. توقفت:- وجاء دور القسمة .. وقسمة الغنائم والمكاسب بين الشيخ والأمير المشرد فقد كان الشرط أن يقتسموا ما يرزقهما الله بالسوية.!! وقسمة الغنائم والأسلاب هي في العادة مصدر الخلاف والتنافس والكراهية والبغضاء!!.

قال الشاب الأمير للشيخ اقسم بيننا ما رزقنا الله إياه.. فقسم الشيخ كل شيء قسمة عادلة رضي بها الطرفان وأقراها.. وجاء الدور على الزوجة.. إن الشرط عام شامل .. وهذه الزوجة الأميرة الجميلة الوفية المخلصة هي من جملة ما رزقهم الله من مكاسب وكل واحد من الاثنين يريد نصيبه منها.. وإذاً فلا بد من قسمتها.!! هكذا قال الشيخ !!.

وفزع الأمير المشرد من هذا الاتجاه ، وهذه المفاجأة التي ما كان ينتظرها من الشيخ..

وقال الأمير : إننا يا سيدي إذا قسمنا الأميرة لم تستفد أنت من نصيبك ولم أستفد أنا من نصيبي ولدي حلول أريد أن أعرضها عليك فاختر واحداً منها.. فقال الشيخ وما هي الحلول:-

فقال الأمير المشرد: - الحل الأول أن تقوّم هذه الأميرة بثمن فتأخذ نصيبك من ثمنها وتتركها لي.

فقال الشيخ : أنا أرفض هذا الحل..

فقال الأمير المشرد: - الحل الثاني أن نخيرها بيني وبينك فأي واحد مننا اختارته فهي له!!..

فقال الشيخ وهذا الحل أيضاً مرفوض..

فقال الشاب والحل الأخير لدي أن تأخذ جميع ما كسبناه من مال وثروة .!! وتترك لي هذه الأمير فقط..

فقال الشيخ وحلك الأخير هذا لا أقبله بأي وجه من الوجوه.. فقال الأمير المشرد للشيخ.

إذاً فاعرض علي عدة حلول لاختار واحداً منها فقال الشيخ ليس لدي إلا حل واحد وهو حسب الشروط والاتفاقات التي بيني وبينك .. أن نقسم الأميرة نصفين كما قسمنا ما معنا من الأموال والمواشي .!! فتأخذ أنت نصفك وآخذ أنا نصفي حسب الشرط.. فالشرط أملك .. وما كان شرطاً كان سلاماً .. وأرجو أن تكون عادلاً ومنصفاً .. وراضخاً للحق!!..

بهذه الكلمات القاسية الحاسبة خاطب الشيخ شريكه الأمير

المشرد..

واختار الأمير.! ماذا يصنع؟!.. إن نفسه لا تسمح له بأن يوافق على قسمة الأميرة؟!!.. إنها حياته إنها سعادته .. إنها معنى وجوده فكيف يسمح بأن تقتل بمرأى منه وبمسمع.. إن هذا شيء قاس ومثير .. ولا تتحمله أعصابه.. وقال لنفسه ما هو الحل؟!..

فوجمت نفسه ولم يجب بشيء .. وفكر في الأمر ملياً للخروج من هذا المأزق الذي هو فيه!!. كل هذا والشيخ يعد عدته.. ويشحذ شفرته!.. استعداداً لشق الأميرة نصفين!!.

وعندما تم للشيخ اعداد كل العدة جاء إلى الأمير المشرد وقال له: ماذا ترى هل نشرع في قسم الأميرة إلى نصفين..

فسكت الأمير المشرد ولم يجب بكلمة.. بل استولى عليه اليأس والقنوط .. وتمنى أنه مات وأن مأزقاً مثل هذا لم يعرض له في حياته..

وكرر الشيخ طلب الموافقة من شريكه على هذه القسمة... ولكن الأمير المشرد قال أخيراً واليأس يعصر قلبه: إنه لا رأى لي في هذه القسمة .. فليفعل الشيخ ما يرى!..

وفهم الشيخ من هذا الكلام الموافقة ... فجاء بالأميرة وأخرج ذلك السكين الحاد فأهوى به عليها وعندما رأت الأميرة تلك السكين الهائلة تهوي عليها صرخت صرخة عظيمة .. فخرج من فرجها بسبب هذه الصرخة قطعة سوداء في حجم الفأرة.. ثم تحركت هذه القطعة وذهبت تسعى فلحقوا بها وإذ هي عقرب فقتلوها.. وبقيت الأميرة ممدة على الأرض من آثار

الخوف والرعب الذي أصابها عندما أهوى الشيخ بالسكين عليها!!. إلا أن السكين لم تصبها.. فقد راغ بها الشيخ عن جسم الفتاة عندما قربت منها.

وقال الشيخ للأمير المشرد.. إن هذه العقرب لا سبيل إلى إخراجها إلا بهذه الطريقة القاسية.. وهي بنت العقرب السابقة.. كما أنها الأخيرة من العقارب التي يحويها جسم الأميرة.. فاهنأ بعروستك الأميرة.. وخذ المال كله فلا أريد منه شيئاً ..وأنا قبل أن أفارقك أريد أن أعرفك بنفسي فأنا والد الغزال الصغير الذي قتلت عدوه وأنقذته من موت محقق.. فهذا كله مكافأة لك على جميلك!!. كما أنني مستعد أنا وعشيرتي بعونك في أي شأن من شؤون حياتك!..

فإذا حز بك أمر أو احتجت إلى شيء لا تقدر عليه فقل كلمة السر التي سوف أكتبها لك في ورقة .. وأتركها عندك..

ثم ودع الشيخ الأمير المشرد.. وذهب وتركه فاغراً فاه من العجب!!..

أما الأمير فقد توجه بهذه القافلة وما تحويه من ثروة طائلة إلى تلك المدينة التي قصدها.. فاستقر فيها.. وأقبل عليه أميرها ووجهاؤها يسلمون عليه ويرحبون به في مدينتهم فاستقبلهم استقبالاً كريماً .. ونزل في أكبر قصر موجود في المدينة .. وفتح بابه على مصراعية للداخل والخارج .وفتح صدره لكل قاصد.. حتى صار قصره كعبة الزوار.. وملجأ المحتاجين..

لم تمض عليه مدة وجيزة حتى ساد تلك المدينة بكريم أخلاقه.. وسخائه النادر بماله وبجاهه لكل قاصد .. والتفت

الناس حوله. وساد أهل المدينة سيادة كاملة.. بمكارم أخلاقه.

أما أمير المدينة السابق فإنه لما رأى هذا الوافد الجديد وكرمه وسعة ذات يده انكمش على نفسه.. وتخوف على مركزه ولكنه ليست لديه الإمكانيات ليقف في وجه هذا الوافد الجديد.. ولهذا فقد اكتفى بالسيادة الاسمية لمدينته.. أما السيادة الحقيقة فهي لهذا الوافد الجديد..

عرف الأمير المشرد مدى سلطته في المدينة.. كما أنه يعرف الإمكانيات المادية التي يملكها والتي تمكنه من السيادة الكاملة على هذه المدينة التي سكنها.. ولكن أهدافه كانت أكبر من ذلك فهو يطمع في أن يسود هذه المدينة .. ويطمع أيضاً أن يسود المدينة التي طرد منها.. والتي لا تبعد عنه إلا عدة أميال..

ويتمنى اليوم الذي يرى فيه نفسه منتصراً على خصومه اللذين طردوه من بلده.. وأن يدخل تلك المدينة التي كان يحكمها دخول الفاتحين المنتصرين.!!

تلك بعض الأماني والآمال التي كانت تراود فكر الأمير المشرد.

إلا أن الراوي جاء من عند هذا الأمير قبل أن تنتهي فصول الرواية.!!

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت.!!

سَــــالفة:

٢٧- السلطان وابنته الوحيدة

«رويت أصل هذه السالفة عن الصديق الأستاذ إبراهيم بن عبدالله بن عمار وصفتها بأسلوبي الخاص وأثبتها هنا كما ترى»

اجتمع الأطفال عند جدتهم .. كعادتهم .. وسبقتهم الجدة إلى القول.. واقترحت أن تقص عليهم قصة السلطان الذي يحب ابنته الوحيدة فوافق الأطفال كلهم على ذلك وشرعت الجدة في سرد القصة فقالت:

هنا هاك الواحد والواحد اله في سماه الله العالي وإلى‌هنا هاك السلطان في قديم الزمان قد تجمعت له جميع أسباب السعادة من جميع الجهات.. ولم يكن يشغل باله إلا أنه لا يولد له.. حتى ظن في نفسه أنه عقيم . وكان دائم القلق من هذه الناحية .. لأنه يريد بنين وبنات يخلدون اسمه.. ويفرح بفرحتهم ويتمتع بعاطفة الأبوة التي هي ولا شك عاطفة هامة

ومن عواطف البشر لا بد من أشباعها..

استشار هذا السلطان الأطباء.. وتعاطى مختلف الأدوية .. وأخيراً رزق ابنة .. ففرح بها واستبشر ..لقد كان يريدها ولداً ذكراً ولكنها صارت أنثى .. لا يهمه ذلك المهم أن ينقشع عن نفسه كابوس العقم..ويشبع عاطفة الأبوة لديه.. ولو بأنثى .. ولعل الأيام الآتية تخبيء له أولاداً ذكوراً..

اهتم السلطان بتربية ابنته وتعليمها والمحافظة على صحتها.. وعلى حياتها .. وعلى مستقبلها.. وكانت هذه الابنة تكبر ويكبر معها في نفس السلطان الحب والحنان والخوف عليها من الأنس والجان .. وكبرت البنت ..وصار والدها من حبه لها وخوفه عليها يجعلها ترفقه في السفر والحضر ..وقد أعد لها صندوقاً جميلاً وقوياً .. فلا ينام إلا بعد أن يجعلها في هذا الصندوق.. ثم يغلق عليها ويجعل المفتاح في جيبه الخاص..

هذا مع الحراسة الشديدة .. حوالي المكان الذي يكون فيه هذا الصندوق..

واستمر السلطان على هذه الطريقة وكبرت الفتاة وبلغت مبلغ النساء .. إلا أن والدها السلطان كان كلما كبرت الفتاة كبر حبه لها.. وازدادت مخاوفه عليها..وألفت الفتاة هذه الشفقة الزائدة من أبيها كما ألفت الصندوق الذي يقفل عليها فيه .. فصارت هذه الأمور عندها شيئاً عادياً لا ضير فيه.. ولا اعتراض عليه..

وفي سنة من السنوات عزم السلطان على الحج فأعدت



ابنة السلطان بعد أن سرقها الأعرابي اللص تشاهده وهو يصارع الأسد
فيصرع الأسد.. ويقتله. والرعب والخوف ظاهر
على وجه الأميرة من هول ما ترى.!!

العدة وسارت قافلة السلطان في الصحراء متجهة إلى بيت الله الحرام ..

وكان السلطان قد أعد لابنته خيمة خاصة هي بجوار خيمته..

فإذا حلوا مكاناً كانت خيمة ابنته هي أقرب الخيام إليه .. كما أنه جعل لها حراساً خاصين هم المسؤلون أمامه عن المحافظة على حياتها وهم المسئولون عن جميع شؤونها..

وحل الموكب السلطاني في يوم من الأيام قرب مورد ماء في الصحراء .. وجاء الليل .. وأراد السلطان أن ينام فوضع ابنته في صندوقها الخاص.. وأقفل عليها .. وأخذ المفتاح في جيبه.. وتفقد الحرس فرأى أن كل إنسان منهم في مكانه المناسب .. ونام السلطان قرير العين .. ناعم البال..

وكان هناك لص يرقب حركات السلطان يرقب حركات الحرس .. ليتسلل إلى مضارب السلطان في غفلة من غفلات الحراس فلعله يجد خزانة السلطان فيأخذها ويهرب بها في مجاهل الصحراء.. فسيتغني بها بقية أيام حياته .. ويترك حياة اللصوصية التي تكلفة الكثير من المشاق .. وتعرض حياته لشتى الأخطار!!..

وجاء آخر الليل .. فتساقط الحراس واحداً أثر واحد وراحوا جميعاً في نوم عميق.. وهذا اللص يرقب أوضاعهم .. فلما سنحت له الفرصة .. انتهز بسرعة فائقة فتسلل إلى تلك الخيمة التي رأى السلطان مهتماً بها.. ومحتاطاً في حراستها كل

الحيطة .. ودخلها .. وبحث فيها فلم يجد إلا هذا الصندوق.. وأراد أن يكسره... ولكنه خشي أن ينشأ عن الكسر صوت يوقظ النائمين .. أو ينبه الغافلين!!.

لهذا رأى أن أفضل طريق يسلكه هو حمل هذا الصندوق والهرب به .. أنه سوف يجد فيه شيئاً ثميناً.. لأنه هذه الحراسة المشددة لن تكون إلا على شيء ثمين!!.

حمل الصندوق وذهب به إلى مغارة خفية في جبل قريب من مورد الماء..

وأدخل الصندوق في المغارة .. وحاول فتحه محاولة جدية.. فانفتح .. وكشف غطاءه وهو يؤمل أن يفاجأ بمال وفير.. ذهب أو فضة أو أحجار كريمة..

وما أشد دهشته عندما فوجيء بفتاة جميلة تنهض من وسط هذا الصندوق.. وهي خائفة ومرعوبة.. فهدأ هذا اللص من روعها.. وقال لها:- أنه لا خوف عليك فاهدئي وقري عيناً..

ولكن كيف تهدأ .. وهي لا تعلم ما هو مصيرها.. وفكر اللص قليلاً .. أنه لا مطمع له في هذه الفتاة .. إنه يريد مالاً: ذهباً أو فضة أو جواهر.. ولكن هذا حظه.. لقد رماه حظه شيء لا مطمع له فيه وجعل يقلب الأمر على وجوهه بينه وبين نفسه .. هل يقتل هذه الفتاة ويرتاح منها أم يتركها تهيم على وجهها في الصحراء حتى تأكلها وحوشها.. أو يقتلها الجوع والظمأ . أم يعيدها إلى حيث أخذها..

فكر في هذه الأمور جميعاً . وأخيراً راودته نفسه الأمارة بالسوء .. أن يفعل الفاحشة في هذه الفتاة .. وقالت له نفسه كيف تشقى وتتعب ثم تخرج من عيد المولد بلا حمص!!.

اقتنع بأن يفعل الفاحشة .. وقرب من الفتاة فقرأت في نظراته ما هم به.. واستعدت للدفاع عن نفسها مع أنه لا جدوى من هذا الدفاع.. إلا أنه شيء لا بد منه فليس من السهل أن يستسلم المرء هكذا .. وبلا بذل أي جهد..

قرب هذا اللص من الفتاة .. وجعل يداعبها.. ويحاول أن يقبلها.. وهي تتباعد عنه وتحاول أن تصد وجهه عن وجهها بمختلف الوسائل .. وقبض اللص عليها وشدد قبضته .. وهي تدافع دفاع المستميت .. وكاد أن ينتصر عليها لولا أن الله لطف بها.. حيث خرج عليهما أسد من إحدى مغارات الجبل .. وجاء متجهاً إليهما.. يمشي مشية الواثق من نفسه.. المدل بقوته الواثق بالنصر..

ونهض الرجل مسرعاً وامتشق الحسام.. ومشى إلى الأسد مشية البطل الصنديد.. وأوقع الأسد وكشر عن أنيابه وزأر فتجاوبت أصداء زئيره بين الجبال.. وتحفز الأسد للوثوب.. وصاحبنا اللص أمامه وجهاً لوجه .. يتقدم إليه تقدماً منتظماً ليس فيه تسرع الطائشين.. ولا بطء الخائفين وقرب اللص من الأسد.. فجمع الأسد نفسه ثم وثب إلى اللص.. فاستقبله اللص.. وبطرف السيف فطعنه طعنة أوقفته في مكانه .. ثم في أسرع من لمح البصر رفع سيفه إلىأعلى ثم أهوى به على

الأسد فقده نصفين . وتركه ملقى على الأرض بعد أن مسح بقايا الدم العالقة بالسيف في لبدة الأسد!...

أعاد السيف إلى غمده.. وعاد إلى الفتاة وهو هادىء الأعصاب. رابط الجأش.. كأنه لم ينازل أسداً ولم يصاول وحشاً مخيفاً.. بل سيد الوحوش!!.

عاد اللص إلى مداعبة الفتاة .. وهو بصورة عادية فكل شيء فيه مستعد.. ودافعت الفتاة عن نفسها وكاد أن ينفد صبر اللص فيأخذها بالقوة.. إلا أنه في هذه الأثناء طلع عليهما نمر من بين الصخور.. وجاء متجها إليهما.. فقام اللص مسرعاً وامتشق الحسام.. ومشى إلى النمر.. وصار النمر يتقدم إلى اللص.. واللص يتقدم إلى النمر إلى أن التقيا في منتصف الطريق.. وعندما تقابلا توقف كل واحد منهما ليرى أين نقطة الضعف في خصمه ليهاجمه من طريقها ولكن كل واحد من الاثنين كان حذراً يقظاً مستعداً للنزال..

رأى النمر أنه ليس أمامه إلا الهجوم الخاطف . فلعل فيه ما يحقق له النصر .. ودار النمر حول اللص.. ولكن اللص كان يقظاً واعياً . مدركاً لخطورة الموقف .. ورأى النمر أنه لا بدمن المغامرة وبدأ المعركة .. ولتكن النتائج ما تكون.. فقفز إلى اللص قفزة مفاجئة.. كاد فيها أن يصيب مقتلاً من خصمه لولا أن اللص تقهقر قليلاً.. ثم طعن النمر طعنة جعلته يختل توازنه .. ثم في هذه الأثناء رفع اللص سيفه فأهوى به على النمر فخر صريعاً على الأرض.. ومسح اللص بقايا دم النمر في

جلده ثم أغمد سيفه..

عاد إلى الفتاة التي هالتها شجاعة هذا اللص.. وقوة ساعده .. ورباطه جأشه ..لقد عاد إليها هادىء الأعصاب طبيعي الأنفاس وصار يداعبها.. ويحاول أن ينال منها.. ولكنها تدافع عن نفسها بحسب إمكانياتها.. وضاق اللص ذرعاً بهذه الممانعة من الفتاة .. وهم أن ينال منها قسراً.

ولكنه في هذه الأثناء خرج عليهما ذئب عظيم من بين تلك الجبال .. وجاء إليهما يمشي مشياً لا هو بالسريع.. ولا بالبطيء .. وقام اللص وامتشق حسامه.. واستقبل القادم الجديد في منتصف الطريق.. وعندما قرب كل واحد منهما من الآخر توقفا .. ليعرف كل واحد من القرنين خصمه .. وليرى مدى استعداده للمعركة..وما هو السلاح الذي سيقابله به..

كشر الذئب عن أنيابه .. وتحفز لوثبة .. واللص واقف أمامه منتظراً من خصمه أن يبدأ المعركة .. ليوجهها إلى صالحه.. وهجم الذئب هجمة عنيفة.. استقبلها اللص بسيفه فأوقف الذئب ..ثم رفع سيفه بسرعة البر الخاطف فأهوى به على الذئب فقده نصفين.. فسقط صريعاً بجانب الأسد والنمر.. ومسح بقايا دمه في جلده ثم أعاد السيف إلى غمده..

ورجع إلى الفتاة .. ولكنه في هذه المرة لم يذهب إليها للمحاولة في نيلها.. بل توقف قبل وصوله إليها مفكراً في أمر هذه الفتاة.. إن هناك سراً إلهيا.. يحول بينه وبين الوصول إليها

وإذاً فلتمت هذه الشهوة البهيمية.. وليتعفف فلعل الله يعوضه عما فاته في هذه المرة.. ما هو خير منها في أوقات أخرى..

صمم كذلك على أن يعيد الفتاة إلى حيث أخذها .. فوضعها في صندوقها .. وأقفل عليها .. وأعاد كل شيء إلى ما كان عليه.. ثم حمل الصندوق فوق ظهره.. وجاء به يمشي مترفقاً حذراً.. خوفاً من أن يستيقظ أحد الحراس.. واتجه إلى الخيمة التي أخذ منها الصندوق فوصل إليها بأمان واطمئنان .. ووضع الصندوق في مكانه المعهود ثم انصرف.. دون أن ينال مكسباً من مغامرته هذه...

جاء الصباح .. واستيقظ السلطان .. وجاء إلى خيمة ابنته ففتح الصندوق .. ولم يظهر للسلطان أي إشارة تدل على ما حدث في الليل .. ومرت هذه الحادثة بسلام.. وأتم السلطان حجه.. ثم عاد إلى عاصمة ملكه سالماً..

كبرت الفتاة وبلغت سن الزواج.. وتقدم إلى السطان أحد أبناء عمها يخطبها ويطلب القرب من السلطان بهذه الوسيلة التي سوف تكون نوراً على نور.. ورحب السلطان بهذه الخطبة ووافق عليها .. وأمر حالاً بأن يهيأ لابنته وابن عمها قصر يتناسب مع مكانتهما في الأسرة المالكة .. وهيء القصر ... وهيأت الاستعدادات اللازمة للزواج.. وزفت العروس إلى ابن عمها في احتفالات بهيجة .. وفرحة غامرة ..

ودخل على ابنة عمه التي لم تره قبل هذه المرة .. ولم يرها.. كما أنه لم يستشرها والدها في هذه الزواج .. ولما

استشارها لاذت بالصمت وتركت حرية التصرف لوالدها.. والمهم أنه دخل عليها في ليلة الزفاف شاب يتمايل في مشيته .. ناعم العود .. مترف الحركة لا يكاد يتصرف إلا بحساب فكلامه بحساب .. وقيامه بحساب .. والتفاته بحساب..

والمهم أن هذا الشاب قد بلغ في الإناقة ذروتها وفي النعومة والرقة منتهاها.. وقرب الشاب من زوجته وجعل يداعبها ويقبلها .. ويتحسس بعض المواضع من جسمها .. والخلاصة أنه كان منسجماً معها كل الانسجام.. وفي لحظة من لحظات السعادة الغامرة التي تخيم على الزوجين قفزت قطة على أحد الأواني الموضوعة في مكان عام فسقط هذا الإناء.. وصار لسقوطه صوت مزعج بددالسكون الذي كان يخيم على الزوجين.. فانتصب الزوج واقفاً منزعجاً.. وصار يتطلع إلى مصدر الصوت بانفعال وتأثر ورعب..

وأخيراً علم بمصدر الصوت وأسبابه.. فجلس وقلبه لا يزال يخفق .. وأنفاسه لا تزال تتلاحق .. ولونه ..لا يزال كاسفاً .. فقد هربت الدماء من وجهه .. من آثار الرعب الذي سببه له سقوط ذلك الإناء..

وفي هذه اللحظات .. تذكرت الفتاة ذلك اللص الذي اختطفها في الصحراء .. وتعرض لأخطار عظيمة فخرج منها وهو هادىء الأعصاب.. رابط الجأش .. وعملت في ذهنها مقارنة سريعة بين صورة الماضي وصورة الحاضر .. فلم تملك نفسها أن ضحكت ضحكة مكتومة حاولت إخفاءها .. ولكن

ابن عمها كان رقيق المشاعر حساساً..

لاحظ الزوج هذه الابتسامة .. وفهم حالاً منها أن عروسة تهزأ به وتسخر منه .. فتأثر تأثراً عارماً أفقده صوابه .. فلم يكن منه إلا أن نهض من مكانه ولبس ثيابه على عجل.. ثم خرج من غرفة الزوجة وتركها وحيدة .. ونام في مكان آخر..

فلما جاء الصباح .. ذهب هذا الشاب إلى السلطان .. وسلم عليه .. ثم طلب الخلوة به لأن لديه أمراً يريد أن يسر به إلى السلطان..

فقام السلطان وأخذ يد ابن عمه.. ودخل هو وإياه وأقفلوا الباب على أنفسهم .. فقال الشاب يا عظمه السلطان إنني أشكو إليك زوجتي العزيزة .. فقد سخرت مني في ليلة الزواج.. وتصرفت تصرفاً غير لائق.. حتى أغضبتني وجعلتني أترك لها غرفتها وأنام منفرداً..

فغضب السلطان على ابنته .. وقال لابن عمه أن علي أن أؤدبها الأدب الرادع.. وأجعلها تعرف لك قدرك وتعتذر منك.. وتعدك أن لا تعود لمثلها فطابت نفس الأمير وهدأ باله.. وعلم أن السلطان سوف يؤدب هذه الأميرة التي تسخر من زوجها في ليلة الزفاف..

ودخل السلطان إلى جناح الحريم.. وخلا في غرفة منفردة.. وطلب حضور إبنته حالاً..

فأحست الأميرة بأن في الأفق عاصفة .. وأن هذه العاصفة

تهدد شرفها وكرامتها .. واستعدت الفتاة للدخول في المعركة .. ولكنها معركة غير متكافئة .. فهناك جانب قوي يأمر فيطاع.. ويتصرف فيبرر الناس تصرفه مهما كان جائراً أو منحرفاً!!. أما الجانب الآخر في المعركة فهو فتاة ضعيفة تقيدها قيود المجتمع .. وتشل حركتها التقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد..

دخلت الفتاة على والدها فرأته يكاد يتميز غيظاً وغضباً فسلمت عليه سلام الخائف االضعيف .. الذي لا يملك إلا سلاح اللطف والوداعة .. والمسالمة .. فرد عليها والدها رداً جافاً .. وأمرها بالجلوس أمامه .. وقال لها:-

كيف تسخرين من زوجك في ليلة الزواج ..هل هذا التصرف من الآداب .. هل يليق بابنة السلطان أن تسخر من ابن عمها.. ثم أن الاستهزاء بالناس والسخرية بهم شيء لا يليق.. ولا يشرف بل هو يدل على الطيش والنزق ونقصان العقل.. وسوء التربية ولقد أوقفتينا بتصرفك المشين في موقف حرج جداً لا ندري كيف سنخرج منه..

فقالت الفتاة يا والدي العزيز لقد فهمت القضية من جانب واحد .. ولعلك لو فهمتها من الجانب الآخر لاستطعت أن تحكم فيها حكماً عادلاً .. بعيداً عن الاندفاع أو التحيز لجانب دون جانب.

فقال السلطان تكلمي .. اشرحي لي الوضع كله لأعرف من أين دخل الشر بينكما .. ولأعرف من المتسبب فيه.. ومن المعتدي ومن المعتدي عليه..

فقالت قبل كل شيء أطلب من عظمة السلطان أن يمنحني الأمان .. وأن لا يتسرع في الحكم .. حتى يحكم عقله .. لا عاطفته .. فقال السلطان لك الأمان..

فقالت يا والدي العزيز . لا شك أن عظمتكم تذكرون السنة التي أديتم فيها فريضة الحج وكنت برفقتكم فقال نعم إنني أذكره ذلك..

فقالت الفتاة إننا كنا في ليلة الفلانية .. في المكان الفلاني.. وعندما أردت أن تنام دخلت أنا في الصندوق وأغلقته على وأخذت المفتاح..

قال السلطان نعم أذكره ذلك..

قالت الفتاة: فلم أشعر آخر الليل إلابالصندوق ينقل من مكان إلى مكان .. وظننت أنهم الخدم والحرس؛ ينظفون ويرتبون أثاث الخيمة .. ولكنني لم أشعر بعد وقت قصير إلا بالصندوق يفتح .. وظننت باديء ذي بدء أن الذي يفحته هو أنت لأنني ما كنت أتصور أن أي إنسان يجرأ على فتح صندوق أنت أغلقته .. وإلا أنني فوجئت بمنظر أعرابي لص هو الذي حمل الصندوق.. وإذا بي أجدني في وسط غار لا أرى منه إلا جبالاً ووديانا وصحاري لا أول لها ولا آخر..

في هذه الحالة داخلني الرعب .. وتخوفت على نفسي وصممت على الكفاح والدفاع حتى لو كلفني ذلك حياتي .. فما قيمتي إذا نال مني هذا الأعرابي !! .. إن موتي في هذه الحالة خير من حياتي .

قرب الأعرابي مني فدفعته عن نفسي .. ولكنه كان أقوى مني .. وكاد أن يسيطر علي لولا أن الله لطف بي .. فأخرج أسداً جاء يمشي متجهاً إلينا فقام هذا الأعرابي وسل سيفه ثم قابل الأسد في منتصف الطريق فهجم الأسد على هذا الأعرابي.. ولكن الأعرابي طعنه بالسيف.. فوقف الأسد في مكانه ثم في مثل لمح البصر رفع يده بالسيف فأهوى به على الأسد فقده نصفين.. وخر الأسد صريعاً على الأرض فمسح الأعرابي بقايا دم الأسد التي علقت بالسيف في لبدته ثم أعاده إلى غمده وعاد إلى مكرراً محاولاته للنيل مني .. وكان بعد رجوعه من قتل الأسد هادىء الأعصاب .. مطمئن البال كأنه لم ينازل سيد الوحوش..

وقرب الأعرابي مني فدافعت عن نفسي وعندما شدد بضته علي خرج علينا نمر شرس جاء يعدو إلينا مسرعاً .. فقام الأعرابي إلى سيفه وسله من غمده وقابل النمر .. فقفز النمر على الأعرابي .. ولكن الأعرابي صد قفزته بالسيف فوقف النمر حيث كان ثم رفع الأعرابي يده بالسيف كالبرق الخاطف وأهوى به على النمر فقده نصفين .. فخر صريعاً على الأرض فمسح بقايا الدم العالقة بسيفه في جلد النمر ثم أعاد إلى غمده..

وعاد إلى مكرراً محاولته وكنت أقاومه .. وأمانعه لعل فرجاً يأتي من الله .. من حيث لا أحتسب فينقذني من هذه الورطة التي رمتني فيها الأقدار .. وشدد القبضة علي.. وكاد أن ينال مني ما يريد لولا أن الله لطف بي فأخرج ذئباً جاء يعدو

مسرعاً، ومتجهاً إلينا.. فقام الأعرابي أيضاً مسرعاً.. وسل سيفه من غمده وقابل الذئب في ميدان المعركة .. وهجم الذئب على هذا الأعرابي فاستقبله بطعنة بالسيف أوقفته في مكانه ثم رفع السيف وأهوى به عليه فقده نصفين فخر صريعاً على الأرض بجانب تلك الوحوش التي سبقته..

عاد الأعرابي ..وقد رأيت في وجهه آثار التوبة والندم .. وما كان منه إلا أن أعادني إلى الصندوق.. ثم أغلقه كما كان ثم حمله فوق ظهره.. وأعاده إلى حيث كان..

فيا سيدي الوالد لقد دخل علي ابن عمي فارتعب من صوت إناء سقط فانكسر .. وتتابعت أنفاسه وأسرعت دقات قلبه وامتقع لونه .. وصار في حالة يرثي لها.. وفي هذه اللحظة جاءت في ذاكرتي صورة ذلك الأعرابي .. وقارنت بين حالة ابن عمي وحالة الأعرابي .. فلم أتمالك نفسي أن تبسمت .. وحاولت إخفاء ابتسامتي .. ولكن ابن عمي كان حساساً.. فلاحظ هذه الابتسامة وظنها هزءاً به وسخرية.. بينما أنا لم أقصد بها شيئاً من هذا.. وإنما أرغمني عليها التفاوت الشاسع بين صورة ابن عمي في حالة الخوف.. وصورة ذلك الأعرابي اللص...

هذه خلاصة ما جرى.. فإن كنت يا سيدي السلطان مخطئة فإنني مستعدة لتحمل العقوبة.. وإن كنت معذورة .. فمولاي السلطان سوف يعذرني .. وينصفني من ابن عمي الذي خلق الحبة قبة وأهانني في ليلة زفافي إليه.. وخرج من

غرفتي فتركني وحيدة.. وتتنازعني الهواجس وأحسب ألف حساب لا لرضى ابن عمي ولكن لرضا مولاي السلطان..

وعندما سمع السلطان ما قالته ابنته .. تعجب أشد العجب. وزال عنه غضبه ..وقال يا بنيتي أنت معذورة كل العذر.. أنه شيء مضحك بل هو يدعو إلى السخرية والرثاء .!! والآن ماذا تريدين يا بنيتي:-

هل تريدين ابن عمك.. أم تريدين هذا الأعربي اللص..

فقالت ابنة السلطان .. إنه ليس لي خيار في هذا الأمر.. بل الخيار والأمر والنهي لعظمة السلطان ولكني أحب أن أقول:- إنني أرغب في الرجل رجولته وصموده أمام الأحداث . والذي لا يكون كذلك فإنني أسميه رجلاً .. ولكن بدون رجولة!!.

والمرأة يا مولاي السلطان تريد في الرجل رجولته قبل كل شيء.. فهي شيء أساسي تأتي بعده أمور أخرى قد يستغنى عن بعضها.. فقال السلطان إنني أوافقك على كلامك.. وقد فهمت مرادك.. وإنني سوف أزوجك بهذا الأعرابي .. فهل تقبلين!!.. فسكتت إبنة السلطان حياء وخفراً..

وقالت معلقة على هذا العرض ..ولكن يا مولاي السلطان كيف تجده وكيف تعرفه ؟!!.

فقال السلطان إن لي طريقتي الخاصة في معرفة الرجال.. وسوف أحضره إليك بعد فترة وجيزة من الزمان...

وبعث السلطان في اليوم الثاني إلى تلك المنقطة التي سرق

فيها اللص ابنته.. وأمر منادياً ينادي فيها بأن السلطان سوف يقيم حفلة في عاصمة ملكة لسكان هذه المنطقة ..وحدد اليوم والشهر الذي ستقام فيه هذه الحفلة.. وأن الهدف منها انتخاب أمير للمنطقة .. وأن عظمة السلطان سوف يهيء الرواحل والطعام والشراب لأبناء المنطقة منذ مغادرتهم لمنطقتهم حتى يعودوا إليها..

نادى المنادي بأمر السلطان هذا .. وسرى الخبر بين الناس وبدأوا يستعدون لحضور هذا الحفل كما بدأ كل واحد منهم يؤلف حوله الأنصار لانتخابه ..وتوافد أبناء المنطقة على العاصمة.. وضربت لهم الخيام وأقيمت لهم المآدب..واستقبلوا في عاصمة مملكتهم استقبالاً لا نظير له..

وجاء موعد حفلة السلطان.. لسكان المنطقة .. وهيئت الموائد.. وتمت جميع الاستعدادات وكان السلطان قد أمر بترتيب الأمر لمعرفة الأعرابي اللص.. فقد هيء طريق واحد إلى مكان المائدة.. التي دعا إليها كبار رجال الدولة وتجار البلاد.

وجاء موعد الحفل وكان الطريق إليه واحداً .. وجعل في نهاية الطريق إلىالمائدة أسداً رابضاً بجانب هذا الطريق .. وجعل طريق فرعي آخر إلى المائدة يبدأ قبل مكان الأسد بعدة خطوات إلا أن هذا الطريق الفرعي ضيق وملتو وفيه الكثير من العوائق والصعوبات..

فكان المدعون يأتون إلى مكان الحفل واحداً اثر واحدا .. فإذا أقبلوا على الأسد توقفوا والتمسوا طريقاً لا يمر بهم على

الأسد فيسلكون هذا الطريق الضيق المتعرج المليء بالحفر والمضايقات !!.. واستمر المدعوون هكذا كل واحد منهم يرى الأسد يبحث عن طريق آخر غير ذلك الطريق !!.

وجاء أحد الأعراب فاستمر في هذا الطريق الواسع المستقيم.. ورأى الأسد في نهايته فلم يتوقف! بل استمر في سيره حتى حاذي الأسد!.. فضرب بيده على لبدة الأسد.. فكشر الأسد عن أنيابه تكشيرة هادئة هي بمثابة التحية.. وحرك ذنبه دليلاً على التودد والمسالمة! .. وكان هذا كله بمرأى من السلطان وابنته.. فقال لها هل هو هذا فقالت ابنة السلطان نعم إنه هو بعينه وسنه !!..

وانتهى الاحتفال .. وتوصل السلطان إلى مقصودة فأرسل إلى هذا الرجل رسولاً يسأله عن اسمه ولقبه ونسبه وآبائه وأجداده ..فأخبره الأعرابي بكل ما سأله عنه..

وجاء الرسول فأخبر السلطان بكل المعلومات التي عرفها عن الرجل فاستدعاه السلطان فحضر إلى مجلسه ..

فأدنى السلطان مكانه وحدثه ..وآنسه بالحديث وقال له لقد علمت من أحد الثقات أن جداً من أجدادك .. كان له موقاف حميدة مع آبائي وأجدادي عند تأسيس مملكتهم هذه!!..

وإنني من باب الوفاء وعرفان الجميل أريد أن أوليك إمارة المنطقة التي أنت فيها.. وسوف أوعز لسكان المنطقة أن يختاروك لهذا المركز فأوليك بناء على اختيارهم ..كما أنني أعد لأمور كبار سوف تعلم بها في حينها!!.

فشكر هذا الأعرابي السلطان على كريم عطفه ووفائه لمن كانت لهم سابقة طيبة في تأسيس هذه المملكة ..وهكذا صار.. فقد أوعز السلطان إلى سكان المنطقة بأن ينتخبوا هذا الأعربي.. فانتخب وتولى الإمارة .. وعظم شأنه وارتفعت مكانته لا في منطقته فحسب بل لدى جميع رجال الدولة وسكان المملكة ..

واستدعاه السلطان إلى حضرته .. وقال له لقد سمعنا عن سداد رأيك .. وحسن تدبيرك .. وصلابتك في الحق.. ولهذا فإنني آمر بأن تجعل لك نائباً في المنطقة يدير شئونها ويرعى مصالح أهلها... وأن تنتقل أنت إلى العاصمة لتكون بالقرب مني.. حتى أستشيرك في بعض شئون المملكة التي لابد فيها من رأيى الناصح الأمين لتسير الأمور سيراً نافعاً ومفيداً ومستقيماً.!!.

فلبى الأعرابي طلب السلطان وأناب عنه في المنطقة من يقوم بشئونها من أبناء عمه وانتقل إلى عاصمة المملكة فأكرمه السلطان وأنزله قصراً ممتازاً بخدمه وحشمه وجميع ما يحتاجه ساكنه ..ثم بعد فترة أوعز السلطان إلى بعض خاصته بأن يقول لهذا الأعرابي أخطب ابنة السلطان فإن له بنتاً في سن الزواج، والسلطان يعزك ويعلي مكانك ولا شك أنه سوف يجب طلبك فتكون بهذا أضفت شرف القرب من السلطان إلى الثقة المتينة التي يوليك إياها..

فقال هذا الأعرابي .. وهل تعتقد أن السلطان يزوجني إبنته إذا خطبتها؟ .. فقال الناصح إنني لا أشك في ذلك.. فقد

سمعت أن السلطان يثني عليك في كل مناسبة ويعدك لأمور جسام في شؤون مملكته... ولا شك أن لن يرفض طلبك الزواج من ابنته...

اقتنع هذا الأعرابي بهذه الفكرة وصار يبنيى على تحقيقها آمالاً كباراً .. وفي خلوة من خلوات الأعرابي بالسلطان قال له الأعرابي:

مولاي السلطان ان لي رغبة في كلمة .. ولكنني لخطورة هذه الكلمة ما زلت أقدم رجلاً وأوخر أخرى.. فقال له السلطان مشجعاً ومرحباً..

قل لي أي كلمة تريدها فإن كان طلباً لك حققته .. وإن كان رأياً في صالح ممكلتنا نفذته .. فأنت عندنا في المكان الأرفع.

فقال يا مولاي .. إنني أخشى أن تفسر كلمتي التي سوف أقولها بأنها تعد لحدودي . وتجاوز لمستواي !!.. فقال السلطان لهذا الأعرابي:

إنني أعتبرك كفرد من الأسرة الحاكمة فلا فرق عندي بينك وبين أي فرد من أفراد أسرتي الحاكمة.. فقل ما لديك .. ولا تخجل فأنت عندنا في الموضع الذي لا ترد لك فيه كلمة...

وهنا تشجع الأعرابي .. ووضح له الطريق فالسلطان يقول انه يعتبره فرداً من أفراد الأسرة الحاكمة .. وإذاً فلا مانع من أن يزوجه ابنته .. وقال الأعرابي لعظمة السلطان إنني أريد القرب

منكم .. والتشرف بالزواج بفتاة من الأسرة الحاكمة.. ولم يقل باديء ذي بدء بابنتكم حتى يرى وقع هذه الجرأة من نفس السلطان..

فقال السلطان : لقد قلت لك إنني أعتبرك فرداً من أفراد الأسرة الحاكمة .. فأي فتاة في الأسرة تعجبك فاخطبها فإنني سوف أزوجك بها..

بعد هذا الكلام الصريح تجرأ الأعرابي وقال إنني أريد القرب من عظمة السلطان شخصياً وأخطب إلي ابنته..

فرحب السلطان بهذه الخطبة وأبدى سروراً ظاهراً إلا أنه قال .. إن الأمر راجع للفتاة .. وأنه سوف يخبرها .. ويرى رأيها...

وانصرف الأعرابي من عند السلطان وهو واثق كل الثقة بأن طلبه مجاب.. وأن خطبته سوف تتحقق .. وأن السلطان إذا رغب أمراً نفذه.. وكانت ابنة السلطان قد طلقت من ابن عمها حيث دام الهجر بين الطرفين فترة طويلة من الزمن فرغب ابن عم الملك أن يتزوج واستشار السلطان فقال له السلطان إنني أوافق على زواجك على شرط أن تطلق ابنتي فطلقها!!..

وفي التالي من الخطبة طلب السلطان ذلك الأعرابي الخاطب.. وأخبره بالموافقة على زواجه .. وحدد يوم الخطبة .. وليلة الدخول .. بعروسته .. وبدأت الاستعدادات لحفل الزواج على قدم وساق.

وجاءت ليلة الزواج فزفت العروس إلى زوجها الذي فوجيء بأنها هي تلك الفتاة التي سرقها ثم أعادها إلى مكانها .. وتعارف الزوجان واندمجا في حياة كلها حب ووئام ووفاق!!..

وحملت وكملت وفي أصيبع الصغير دملت!!.



جدول بإيضاح الكلمات الشعبية الواردة في الكتاب

الكلمة	تفسيرها	رقم الصفحة
	حرف الألف	
أبو الحصين	كنية الثعلب وهو مشهور بالمكر والحيلة والخداع	٩٥
أبيقع	الذي بقع به بمعنى أخذ وسلب منه أعز ما يملك	٣٥٠
أخمك	يعني آخذ فجأة بشدة وقوة	٧١
اشتافي	انظري وتطلعي فيما حولنا	٢١
أصيقع	تصغير أصقع وهو الأقرع رمز للضعف والجدب	٣٥٠
أطيح فيه	يعني أسقط وأقع	٢٢
أظهر	يعني أخرج من قعر البئر	١٦٩
الأعفر	يعني الأبيض	٢٤٢
أقفى	بمعنى ذهب وولى الجالسين قفاه	٣٤٦
اللي	يعني اللتي	٥٨
الّك	يعني أضمك إلى حضني بعنف وشدة	٧١
أم عبية	يعني صاحبة العباءة	٦٠
انحنى	يعني أحدودب ظهره من الكبر	٢٢٣
انحش	بمعنى أبعد وأهرب	٣٣٧
	حرف الباء	
باصريني	يعني ساعديني بالرأي أنيري بصيرتي بتداول الأفكار	٢٤٣
بداد	أي متناثر	٢٠١
البر	الصحراء	٢٢
البسباسة	هي نبات صحراوي حار يأكله البشر والحيوان	٦٩
البعروص	هو الدعموص.. دويبة تنشأ في مياه الأمطار الراكدة	٦٩
البعاد	يعني البعيدة	٢٠١
البكرة	هي الراحلة الأنثى الصغيرة	١٩٠
	حرف التاء	
تبطبط	يعني ترمي من ثمار الشجرة	٦٠

حوقل	: هو فرخ الطائر عندما يخرج من البيضة	٢٨٧
الحيالة	: هي الأرض الزراعية التي تكون معظم زراعتها خضروات	٣٣٠

حرف الخاء

خدار	: هو لبسا نسائي يوضع فوق الرأس والرقبة	٢٢٣
خليت	: بمعنى تركت	٢٠١

حرف الدال

دادوية	: بمعنى دواء مؤلف من عدة مركبات	٣٤٦
الدراجة	: هي خشبة اسطوانية يركب عليها سريح لتدور به	١٦٨
دفقت	: يعني صببت وأرقت	١٩٠
الدلالة	: المرأة التي تنقل البضائع الخفيفة وتدخل كل بيت لبيعها	٧٩
الدّمرة	: الذي دمر عقله فلا يحس بما يحاك حوله من الدسائس	٢٨٧
دمّلت	: أي نشأ دمل في أصبع الصغير يقال من باب المداعبة	٥٥
الدوبلي	: يعني الكبير أوالذي يكون واسع الوسط مستديرة	١٦٩

حرف الراء

الرهطاء	: هي باب الجحر الذي يخرج منه اليربوع التراب ثم يسده في النهاية	٩٦
ردني	: طرف ثوبي	٣٥٠
رقوا	: يعني صعدوا	٦٩
الرّنّان	: هو الذي له صوت عندما يراد امتشاقه من غمده	٢٠٧
الروغان	: هو سرعة الانحراف يميناً وشمالاً أثناء الجري	٩٦

حرف السين

السبات	: هو النوم العميق وهو دليل على الأمن والصحة	٥٥
السريح	: هو الحبل الذي يربط في فم الغرب الأسفل	١٦٨
سريويل	: تصغير سروال وهو معروف	٦٠
السلم	: شجر صحراوي معروف وهو كثير الشوك متشابك الأغصان	١٢٥
السواني	: هي الدواب التي تستعمل لإخراج الماء من البئر	٣٢٩

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

القارة : هي الجبل الصغير المنفرد والمرتفع ٦٩
قراره : هي بقايا الطعام التي ترسب في القدر بعد الطبخ ٦٩
القطين : هي مضارب الحي القاطنين ٢٠١
القعود : هو ذكر الإبل الصغير ٢٤٢

حرف الكاف

الكاينات : يعني الوقائع والحروب ٢٢٣
كسار : أي يتكسر من كثرة ما يطعن به الأعداء ٢٢٣
كمّلت : يعن كَمُلَتْ وانتهت

حرف الميم

ما عاد : أي لم يعد أي إنه ترك شيئاً بعد أن كان يحبه ٢٠١
محالة : هي البكرة التي تركب على البئر ويجعل الرشاء فوقها لتدور به ١٦٨
المرة : يعني المرأة والمراد بها هنا الزوجة ٢٨٧
المطيار : هو الفرخ عندما يتكامل نمو ريشه ويصبح قادراً على الطيران ٢٨٧
المعصاد : هو عود عرجون النخل يحرك به الطعام ليختلط ٦٩
معلفها : هو الحوض الذي يوضع علف الدابة فيه لتأكله ١٢٠
مقصاب : هو فرخ الطائر إذا بدأ ريشه يظهر ويطول ٢٨٧
مكرهية : يعني كراهية وعداوة وبغض ١٨٧
مليحة : يعني جميلة ١٨٧
منيتيف : تصغير منتوف وهو من يخلع شعرلحيته من باب التشويه ٣٥٠
المنسمح : يعني السمح العادل الذي لا انحراف فيه ١٢٠
منصبه : يعني أفية وهي واحدة من الأحجار الثلاثة توضع تحت القدر ١٥٣
من زندك : أي اعطني لحمة من زندك وهو العضد ٢٧٥

حرف النون

نبات : يعني زرع وهو دليل على الرخاء والنعمة ٥٥
النّباقات : يعني اللاتي يجنين النبق وهو ثمر السدر ٥٧
نبيقة : تصغير نبقه وهي الواحدة من ثمر السدر ٥٧

فهـــرس

